
د.أحمد شوقى الفنجرى
الإسلام والفنون
Bibliotheca Alexandrina
0136566

الإسلام والفنون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾

صدق الله العظيم

دار الأمين

طبع * نشر * توزيع

٨ شارع أبو المعالى
(خلف المعهد البريطانى) العجوزة
تليفون / فاكس : ٣٤٧٣٦٩١

١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق
(خلف قاعة سيد درويش) الهرم
تليفون / فاكس ٥٦٣٤٦٩٩
ص.ب:١٧٠٢ العتبة ١١٥١١

الطبعة الأولى

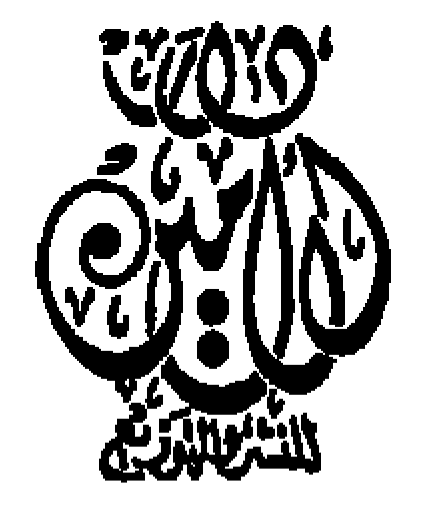
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

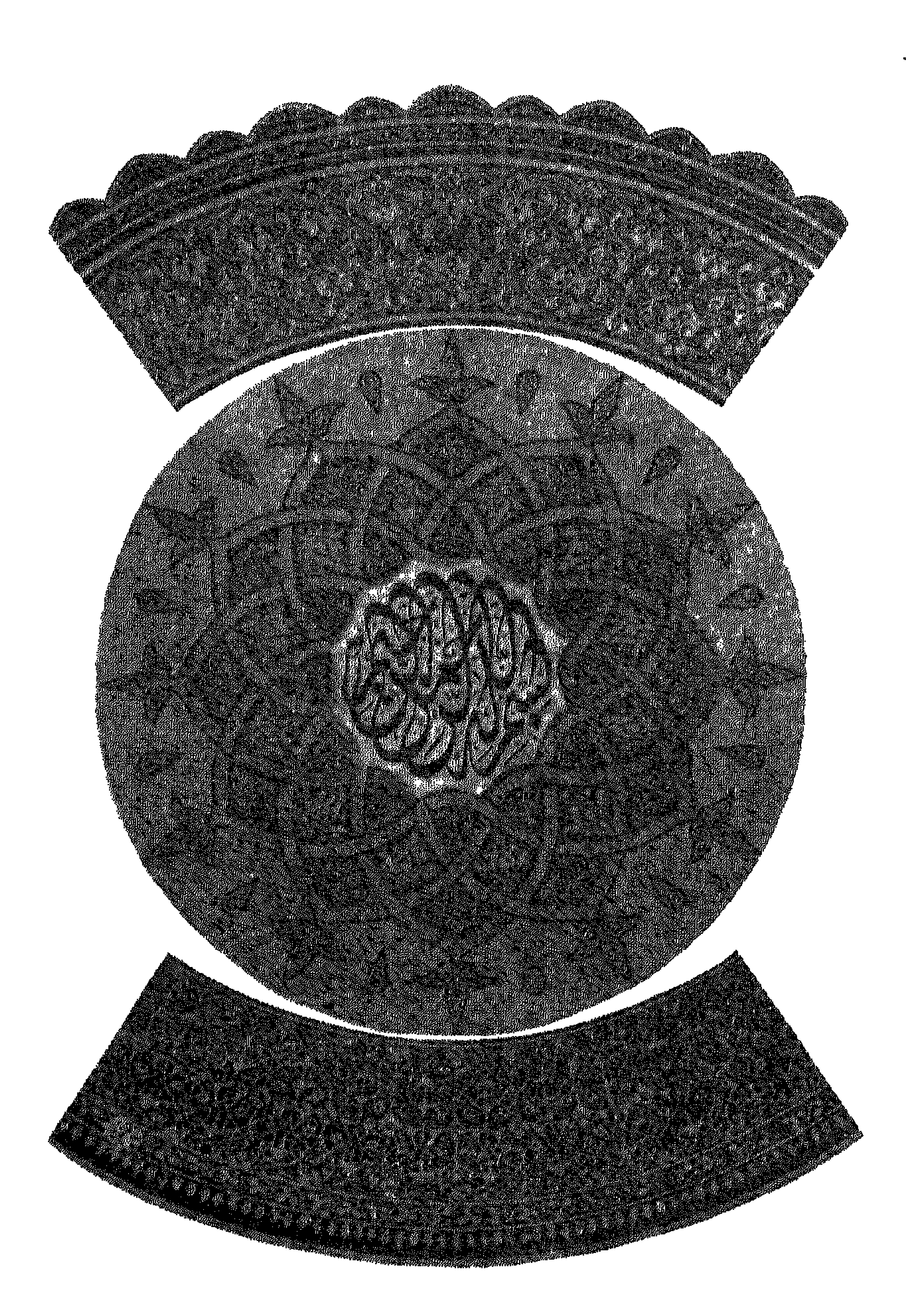
رقم الإيداع ٣٠١٦/١٩٩٨

ISBN

977-279-190-0

الإسلام والفنون





الفهرس

الموضـــوع	الصفحة
تقديم :	13
تمهيد : رحلتى مع الفن والدين – عن هذا الكتاب ..	15
الباب الأول : (1) الفنون وموقف الدين منها .	
1 – تعريف الفن .	25
2 – منافع الفن .	29
3 – الفن والفساد .	32
4 – الفن والثقافة الإنسانية .	37
(2) الإسلام والفنون :	
1 – حكم الدين فى الفن .	41
2 – هل هناك خصومة بين الإسلاميين والفن ؟ .	45
3 – موجة تكفير الفن .	55
(3) حاجتنا إلى الاجتهاد فى قضايا الفن :	
1 – الفقه الإسلامى وقضايا الفن .	63
2 – حاجتنا إلى اجتهاد عصرى .	67
3 – شروط نجاح الاجتهاد .	69
4 – أضرار توقف الاجتهاد .	72
5 – شروط الاجتهاد فى القضايا المعاصرة والمستجدة .	73
6 – الاجتهادات المعاصرة فى قضايا الفن	76

الموضـــــوع	الصفحة
(4) الفنون ودورها فى احياء اللغة العربية .	87
(5) تأثير الإسلام على الفن وظهور الفن الإسلامى.	93
الباب الثانى : الفنون التشكيلية .	
1 - تعريف علمى .	99
2 - الفن السكيلى ودوره فى الحضارة المعاصرة والعلم الحدىث.	101
3 - الإسلام والفنون التشكيلية .	109
4 - فقهاء المسلمين ورأيهم فى الفنون التشكيلية .	118
الباب الثالث : فن السماع .	130
1 - تعريف علمى .	130
2 - الإسلام وفن السماع .	133
3 - الأحادىث الضعيفة والموضوعة حول السماع .	139
4 - الفقه الإسلامى وفن السماع .	141
5 - النهضة الموسيقية فى ظل الإسلام .	151
6 - أمثلة من الأغانى العربية الهادفة .	154
الباب الرابع : فن الرقص .	165
الباب الخامس : فن التمثيل .	
1 - لمحة تاريخية .	174
2 - التمثيلية والغزو الفكرى .	175
3 - الإسلام والتمثيل والرد على المعارضين للتمثيل .	180
4 - أهداف التمثيلية الإسلامية .	188
5 - حول منع ظهور بعض الشخصيات فى التمثيلية الإسلامية .	191
6 - الرقابة الدينية .. فوائدها ومخاطرها .	193
7 - ما هو المطلوب لإنجاح العمل الإسلامى .	196
8 - فيلم " محمد رسول الله لماذا منع	200

الموضـــــوع	الصفحة
الباب السادس : فن العمارة الإسلامية – أثر الإسلام فى المعمار .	207
الباب السابع : فن الخط العربى .	
1 – قصة لها دلالتها .	219
2 – الخط العربى علم وفن .	219
3 – جمالية الخط العربى .	225
4 – أنواع الخط العربى .	226
5 – القيمة المادية لهذا التراث .	227
6 – الأرقام الأوروبية أصلها عربى .	229
الخاتمة :	233



كلمة شكر

أتقدم بخالص شكرى وتقديرى إلى كل من ساهم فى هذا الكتاب ، وساعد فى ظهوره بهذه الصورة المشرفة سواء بالجهد الفنى أو الرأى الدينى

وأخص بالشكر زوجتى السيدة أمال محمد زكى التى تابعت كل صغيرة وكبيرة وراجعت كل صفحة وكل سطر ، والفنانة الدكتورة روحة محمد توفيق الإخصائية فى علم النحت والتصوير والدكتور حسن صادق الأستاذ بكلية الفنو الجميلة الذين راجعوا الجانب الفنى

وأشكر الأستاذ الكبير والصديق العزيز الدكتور أحمد شلبى أستاذ الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامى على ما قام به من مراجعة التصويب فى النواحى الدينية والفقهية ثم التقديم الكريم للكتاب

جزاهم الله جميعا كل خير عن كل من يعود عليه هذا الكتاب من خير وصلاح

د . أحمد شوقى الفنجرى

تقـــديم الكتاب

سعدت على مدى فترة طويلة من العمر بصحبة وصداقة الأستاذ الدكتور / أحمد شوقى الفنجرى الطبيب والكاتب الإسلامى .. وخاصة فى مشواره الطويل فى خدمة الإسلام عن طريق مؤلفاته وكتاباته فى الصحافة والكتب وأحاديثه فى التليفزيون .

وهذا الكتاب " **الإسلام والفنون** " صادر عن عالم فاضل يجمع بين الفهم الصحيح للدين والشريعة وبين الفكر العصرى المتحرر. ويجمع بين النظرية العلمية والتجربة العملية ، وأعماله فى ميدان الفنون كثيرة ومتنوعة .

والكتاب يبدأ بعرض عن الفنون المعروفة عند العرب فى الجاهلية وقبل ظهور الإسلام حيث كانت كلها لخدمة هدفين هما الشرك بالله وعبادة الأصنام وأنواع الفساد والخلافة فى الجاهلية ، وجاء الإسلام الحنيف وغير كل شىء ، فنفى عن هذه الفنون كل أنواع الانحلال ونطفها من الدنس ، فالإسلام لم يحرم أى فن رفيع هادف سواء كان موسيقى أو غناء أو رسم أو نحت أو تصوير ، أو رقص أو تمثيل طالما بعدت عن الشرك أو الفساد .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستمتع بكل واحدة من هذه الفنون بعد تنقيتها ، ويصطحب عائلته معه لمشاهدتها .

فقد استمع الرسول إلى غناء نساء الأنصار وهن يعزفن على الدفوف ويرقصن لمقدمه قائلات " طلع البدر علينا " ، واستمع الرسول فى بيته إلى جاريات يغنين ، واصطحب زوجته عائشة لتشاهد رقص الأحباش عند قدومهم إلى المدينة .

وللأسف الشديد أن هناك فى عصرنا هذا أناس يحاربون الفنون باسم الإسلام ، والإسلام برىء من هذا ، وقد عنى علماء المسلمين فى مختلف العصور بتصحيح هذه المفاهيم الباطلة منهم الإمام الغزالى والإمام القشيرى والشوكانى والشيخ شلتوت والحافظ القيسرانى ، وكل منهم أباح مختلف الفنون بعد أن تخلصت من انحرافات الجاهلية .

وختامًا فإنى واثق من أن القارئ سوف يجد فى صحبة هذا الكتاب الكثير من الفائدة الدينية والعلمية إلى جانب المتعة الفكرية .

والله ولى التوفيق ...

دكتور

أحمد شلبى

أستاذ الحضارة الإسلامية بجامعة القاهرة

تمهيد

رحلتى مع الفن والدين :

منذ مراحل دراستى الأولى كنت أهوى الفنون بجميع أنواعها من موسيقى وغناء ، ورسم وتصوير .. وعندما كنت طالبًا فى الجامعة كونت جميعية لهواة سماع الموسيقى الكلاسيك . كما اشتركت فى فرق التمثيل وفرق الرسم والتصوير . وفى نفس الوقت كانت لى ميول دينية ونشاط دينى كبير من خطابة ومقالات ومحاضرات .

وكان بعض الأصدقاء والزملاء يتعجبون من ذلك . ويعتبرونه نوعًا من التناقض فى الشخصية . فكان يقوم بينى وبين الكثيرين منهم حوار طويل .. فمنهم المتطرفون فى الدين الذين يعتبون أن الدين يرفض الفن ويعتبره نوعًا من الفساد واللهو وضياع الوقت .. ومنهم عشاق الفن الذين يتصورون أن الدين يقف حجرًا عثرة ضد الفن وضد الأحاسيس الرقيقة وضد الجمال .

ورغم أننى كنت فى مقتبل الحياة . ولم تنضج معلوماتى ودراساتى عن الجانبين ، الفن والدين .. إلا أننى كنت دائمًا أومن بالفطرة بأنه لا تناقض بينهما .. بل هناك عنصر هام مشترك .. فالفن الهادف الجاد يعمل على الرقى بمشاعر الإنسان وأحاسيسه .. وتهذيب سلوكه .. وصيانته عن الانحراف .. وهذه هى نفس رسالة الدين ..

والإنسان الفنان يكون فى نظرى أقرب من غيره إلى الله .. لأنه بحسه الفنى يدرك جمال الدنيا وعظمة الخلق .. مما يجعله أكثر تقديرًا لعظمة الخالق .

ومع مرور العمر .. زاد شغفى وتعلقى بالدين والفن معًا .. وزادت دراساتى وتعمقى فى الجانبين .. وقد ساعدنى هذا فى تسخير هواياتى الفنية لخدمة الإسلام .. فألفت سلسلة التمثيليات[1] الإسلامية التى تتناول حياة بعض كبار الصحابة وبعض أحداث التاريخ الإسلامى .. وكونت شركة " الفن الإسلامى " لإخراج هذه التمثيليات للتليفزيون والمسرح . أيضًا استفدت من هواية التصوير فى تأليف كتب ومراجع حافلة بالصور الملونة[2] عن الحضارة الإسلامية والعلوم الإسلامية . وهكذا أكون قد شاركت فى جميع الأعمال الفنية فى خدمة الإسلام ومنها التصوير والتأليف المسرحى وأيضًا الإنتاج الفنى .

عن هذا الكتاب :

عندما فكرت فى هذا البحث بعنوان " الإسلام والفنون " كانت لدى الخبرة القديمة والتجارب النظرية والعملية وعلى مدى سنين من العمر التى تدفعنى وتسهل على الأمر فى الكتابة والبحث .. غير أنى قررت كبداية أن أجمع وأدرس كل ما كتب فى هذا المجال فى العصر الحديث .. فاكتشفت أن هناك فيض من الكتب والمؤلفات فى هذا

---

(1) راجع صفحة " كتب المؤلف " ، وهى سلسلة من 9 تمثيليات إسلامية " الناشر دار القلم " .

(2) كتاب " موسوعة العلوم الإسلامية " الناشر مؤسسة الكويت للتقدم العلمى 3 أجزاء .

الميدان .. وبعضها بنفس العنوان " الإسلام والفنون " بحيث أننى تصورت أن الموضوع قد قتل بحثا ولم يعد هناك مزيد من الإضافة أو الاجتهاد .

ومن هذه المؤلفات على سبيل المثال لا الحصر كتاب " موقف الإسلام من الفن " لشيخ الأزهر السابق الدكتور عبد الحليم محمود سنة 1979 وكتاب " الإسلام والفن للدكتور يوسف القرضاوى سنة 1996 وكتاب " الإسلام والفنون الجميلة " سنة 1991 للدكتور محمد عمارة هذا إلى جانب مجموعة كتب الفتاوى المعاصرة والتى أصدرها جمهور كبير من رجال الدين المعاصرين وتعرضوا فيها لقضية (الإسلام والفنون) منهم الشيخ محمد الغزالى والشيخ جاد الحق على جاد الحق والشيخ ابن باز والشيخ بن عثيمين فى السعودية وفتاوى الخمينى و فقهاء الشيعة فى إيران . وسوف أتعرض بالتحليل لها جميعًا .

وكانت نيتى منذ البداية أننى إذا وجدت فى هذه المؤلفات والاجتهادات الفقهية الحديثة ما يحقق حاجة المجتمع الإسلامى المعاصر ، وما ينهى هذه القطيعة والصدام بين الدين والفنون ، فلن أحتاج إلى المزيد من الكتابة والاجتهاد .. ولكنى وجدت أن القضية مازالت معلقة ومازالت بحاجة إلى نضال واجتهاد حتى نضع الأمور فى نصابها .. وزاد من عزمى على الكتابة فى هذا المجال ما رأيته من تصرفات بعض الجماعات المتطرفة والإرهابية فى العالم العربى وخاصة فى مصر والجزائر من تكفير كل أنواع الفن ومحاربة وسائل

الفـن مـن تليفزيـون وراديـو وسـينما ومسـرح إلى حـد وضـع القنـابل الحـارقـة وقتـل الأبريـاء وحـرق محـلات الفيديـو والسـينما .. هـذا إلى جـانب مـا تفعلـه الـدول التـى تدعـى الحكـم بالإسـلام مثـل إيـران وأفغانستـان من قرارات جمهورية بمنع الموسيقى والغناء والتمثيل فى الإذاعة والتليفزيون باعتبارها فى رأيهم كفر وفساد .

وختـامًا .. أحب أن أنبه هنا إلى أمر هام وحيوى :

فمن عنوان هذا الكتـاب فإنه ينقسم إلى شقين : شق علمى وهـو الفنون .. وشق دينى وهو رأى الإسلام فيها .. وقد حرصت فى الجـانب الأول على تقديم كل فن على حدة والتعريف بـه وفوائـده وتـاريخ هـذا الفن منذ عرفه الإنسان الأول وكيف تطور حتى عصرنا الحديث .

وكـان لى من وراء ذلك هدفان رئيسيـان :

الهـدف الأول : أن نعرف أهميـة هـذا الفـن وفائدتـه فـى الحيـاة المعـاصرة فبعض الإسلاميين يتصوران جميـع الفنـون مضيعـة للوقـت وصرف للإنسـان عن النـافع مـن الأمـور ، وأن الحيـاة يمكـن أن تتقـدم والشعوب أن تنهض بدون الفن . فإلى هؤلاء نقول إن كل من يريـد أن يدلى برأى أو فتوى فى قضية الفن عليه أولاً أن يعرف كل شئ عن هذا الفن وعن فوائده وأهميتـه فى حضـارة القـرن العشرين . لأن مـن يصـدر فتوى بغير دراسـة ولا علم ويحـرم فيهـا المسلمين من أمـر نـافع يرتكـب

وزرًا كبيرًا فى حق الله والأمة . وهو أقرب إلى القاضى الذى بحكم على المتهم بالإعدام بدون أن يدرس مستندات البراءة .

الهدف الثانى : أن نعرف كيف كان حال هذا الفن وكيف كان يمارس عند نزول الإسلام ، فبغير هذا الجانب التاريخى لا يمكن للإنسان المعاصر أن يتفهم أوامر الإسلام وحكمة التحريم أو الاباحة وأسباب نزول كل نص فبغير معرفة هذا الجانب التاريخى لا يمكن لأى عالم أو فقيه أن يجتهد فى الفتوى فى قضايا الفن .

أسلوب الترقيم : لقد التزمت فى هذا الكتاب بالأرقام العربية الأصيلة التى نقلتها أوروبا عنا ومازالوا يسمونها فى مراجعهم بالرقم العربى بينما نسميها نحن الأرقام الأوروبية .. أما الأرقام التى نستعملها فى المشرق العربى فى عصرنا هذا فأصلها هندى .. وقد شرحت هذه الحقيقة بالتفصيل فى باب فن الخط العربى . فالعودة إلى هذه الأرقام تعتبر أنسب فى كتاب يتحدث عن " الإسلام والفنون " .

وفى الكتاب مجموعة من الصور مأخوذة من النماذج الإسلامبة القديمة فى عصر أزدهار الإسلام . وهى فى الأصل صور ملونة . وليس

القصد من هذه الصور مجرد تجميل الكتاب .. أو عرض جمالية الفنون الإسلامية .. ولكن للدلالة على مدى رقى هذه الفنون فى العصر الذهبى للحضارة الإسلامية . فالحكمة تقول : " إن الصورة الواحدة أبلغ وأكثر إقناعًا من آلاف الكلمات " .

دكتور أحمد شوقى الفنجرى

القاهرة – المعادى – أبراج عثمان

برج 14 دور 24 ت : 3511756

جائزة وقف الفنجرى

لخدمة الدعوة والفقه الإسلامى

هذا الكتاب كان أحد البحوث التى فازت بجائزة فى مسابقة وقف الدكتور محمد شوقى الفنجرى لخدمة الدعوة والفقه الإسلامى لسنة 1997 . وتتكون اللجنة التى تقوم بتقويم هذه البحوث من كل من .

1 – فضيلة الأستاذ الدكتور سيد طنطاوى شيخ الأزهر.

2 – الأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق أمين المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

3 – الأستاذ الدكتور أحمد شلبى أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية .

4 – الأستاذ المستشار عبد الحليم الجندى رئيس هيئة قضايا الدولة .

5 – فضيلة المرحوم الشيخ محمد الغزالى الداعية والمفكر الإسلامى .

6 – الأستاذ الدكتور صوفى أبو طالب أستاذ الفقه المقارن بجامعة القاهرة .

وتجتمع هذه اللجنة كل عام لتدارس القضايا والمسائل التى تشغل بال الرأى العام الإسلامى أو التى حولها خلاف فى الرأى بين المسلمين .. والتى تحتاج من المفكرين والمشرعين الإسلاميين إلى مزيد من الاجتهاد فى الفقه والشريعة حتى يتناسب مع مقتضيات العصر . وذلك بطرح هذه الموضوعات وجعلها موضوع بحث ومسابقات بين سائر الكتّاب الإسلاميين من مختلف التخصصات والإتجاهات .

وكـان رأى اللجنـة قـد اسـتقر علـى اختيـار موضـوع (الإسـلام والفنون) كأحد هذه القضايا الحيّة والحسّاسة التى يكثر فيها الجدل والخلاف فى الرأى على المستوى العام والخاص . واختارته موضوع مسابقة 1987 .

وختامًا عسى أن يكون فى هذا الكتاب . وما جاء فيه من دراسة وفكر ورأى .. نفعًا للعالم الإسلامى .. حتى لا تتخلف هذه الأمة عن ركب الحياة والحضارة .

الباب الأول

(1) الفنون وموقف الدين منها

1 – تعريف الفن .

2 – منافع الفن

3 – الفن والفساد .

4 – الفن والثقافة الإنسانية

1 - تعريف الفن :

إذا سألت أى إنسان مثقف ما هو الفن ؟ سوف يقول لك إنه الموسيقى والغناء والرسم والنحت والرقص والتمثيل .. وربما أضاف آخرون إلى هذا الفنون الأدبية كالشعر والنثر .. وفن المعمار فى المعابد والبيوت .. ولكن الحقيقة أن الفن له أبعاد أوسع من ذلك .. ومجالات أخرى تدخل فى كل فرع من حياتنا اليومية .. فطهو الطعام فن .. وإعداد المائدة فن .. وتذوق الطعام فن .. وترتيب البيت وزينته فن .. ولباقة الحديث فن .. ومعاملة المرأة فن .. واكتساب الأصدقاء فن .. والحرب والحب والسياسة فن .

وأتذكر أننى وقفت أتابع أحد الطباخين المهرة ممن يسمون فى أوروبا (CHEF) أى الرئيس تقديرا لمهنته .. فكان ينسق مائدة طعام ضخمة بذوق رفيع حتى جعلها تحفة فنية حافلة بالألوان الزاهية والمتناسقة من المأكولات والأشربة والزهور .. فشعرت بأننى أمام فنان رفيع المستوى وكان يمكنه لو تغيرت ظروفه أن يكون رساما شهيرا .

فرغم اختلاف الفنون وتنوعها فإنها تصدر جميعا من نبع واحد وهو الإبداع والإحساس الإنسانى .

ومن هنا نستطيع أن نستوعب خيالات الفلاسفة وأحلام الشعراء عن الفن :

فشوبنهور يقول عن الموسيقى إنها فن الشعر بالآلة بدلا من القلم .

وأن الراقص حين يتثنى فى الهواء يكتب قصيدة من الشعر بيديه .

ويصف تولستوى لوحات مايكل أنجلو بأنها سيمفونيات بدون صوت .

أما سيمفونيات موزار فهى لوحات مليئة بالألوان الزاهية .

وتمثال فينوس كأنه قصائد من الرخام .

فجميع هذه الفنون تتداخل فيما بينها لأن العين تلمس واليد ترى والفن يشم والأنف يتذوق والأذن تتمايل .

والفن ليس فى يد الرسام ولا أذن الموسيقى ولا أقدام الراقص ، ولكنه ينبع من القلب والعقل ، وفى ذلك يقول برنارد شو عن الرسام العالمى روفائيل " إنه كان سيظل أعظم فنانى التاريخ حتى ولو ولد بغير ذراعين .. وأن الموسيقار العالمى بتهوفن قد أنتج أعظم سيمفونياته بعد أن أصيب بالصمم " .

ونستطيع أن نقسم الموهبة الفنية إلى قسمين : الإبداع والإحساس .

أما الإبداع فهو لمن يحترف الفن ويعمل به . وينتج للإنسانية فنا فى أى مجال من مجالات الفنون المعروفة .

والإبداع يحتاج إلى موهبة خاصة .. تخلق مع الإنسان .. وتصقل مع الدراسة والرعاية والعلم .. ولكنها موهبة لا يتمتع بها إلا القليل والصفوة من البشر.

وأما القسم الثانى فهو الحس الفنى : وهو ضرورى لكل إنسان متحضر ومثقف . ليس ضروريًا أن يكون الإنسان محترفًا للفن أو يتكسب ويعيش منه حتى يقال عنه فنان .. فهذا مفهوم ضيق

للفن .. ولكن المهم أن يكون لدى كل إنسان حس فنى يستطيع أن يميز به بين القبح والجمال .. وبين الفوضى والإتقان .. وأن يرتقى بمشاعره وسلوكه وتصرفاته فى الحياة والمجتمع .

فالفن كالحب .. يدفع الإنسان إلى النظافة .. ويحمله على التأنق فى الملبس والمأكل والمشرب ويحثه على التفوق على أقرانه سواء كان هذا التفوق فى المال والاقتصاد .. أو العلم والفكر .. أو الرياضة البدنية أو العمل والرزق .. أو فى الفنون المرئية أو المسموعة .

والحس الفنى ضرورى لكل حاكم أو زعيم أو إدارى يتعامل مع الجماهير والدول .. وهو ضرورى لكل قائد عسكرى يضع الخطط ويقود الجيوش . ولذلك تسمى دراساته بالفنون العسكرية لصلتها الوثيقة بالفن ..

وهو ضرورى لرجل المال والاقتصاد وخاصة إذا كان يضع السياسة المالية للدول والشركات .. وهو بلا شك حيوى لرجل الدين إذا كان عالمًا كبيرًا يجتهد فى الفتوى والفقه والتشريع .

والحكمة فى ذلك أن هذا الحس الفنى والثقافة الفنية تجعل الإنسان واسع الأفق يميل إلى اليسر لا إلى العسر .. ويتصرف فى القضايا الهامة والحساسة .. بفن .

وكثير من أصحاب هذه المهن القيادية والرفيعة يكون أيضًا فنانًا منتجًا .. وليس مجرد ذواقة للفن . فمن أصحاب البلايين فى أمريكا وأوربا والذين لشركاتهم فروع فى أنحاء العالم . ويسيطرون على الاقتصاد العالمى .. منهم من إذا جلس فى بيته وخلا لنفسه يبدأ بممارسة هوايته المفضلة .. قد تكون العزف على آلة معينة .. أو الغناء

مع أسرته .. أو الرسم بالفرشاة .. أو الرقص مع زوجته .. أو تنسيق حديقته .

وحتى فى عالمنا العربى الإسلامى .. هناك الكثير من كبار علماء الفقه والشريعة وكبار المفسرين و المقرئين ممن يحبون الفن .. منهم الإمام الشافعى الذى كان هو نفسه شاعرًا ويحب الشعر وكان يستمتع بالغناء والموسيقى .. ومنهم الشيخ محمد عبده الذى كان يزور متاحف أوربا ويستمتع بالصور والتماثيل(١) .

وكل أسرة فى العالم المتحضر لها يوم فى الأسبوع أو أكثر من يوم تذهب فيه إلى إحدى دور الفن .. سواء كانت دار الأوبرا أو المسرح أو السينما أو قاعة الرقص أو المتاحف الفنية لكى تشاهد وتسمع وتشجع وتستمتع ..

ولا يدعى أى فرد من هؤلاء جميعًا .. أن الاهتمام بالفن يعطله عن الجاد من الأمور .. أو يصرفه عن العمل والإنتاج كما يدعى بعض أعداء الفن .. ولكن الحقيقة والواقع أن هذه اللمسة الفنية فى حياتهم هى التى تؤهلهم لمزيد من النجاح فى مهنتهم وتفوقهم .

ولكى يزدهر الفن ويترعرع فلابد من توافر عنصرين رئيسيين :

الأول : هو الديمقراطية .. والثانى : هو الرعاية الفنية .

فالديمقراطية والحرية السياسية عنصر هام لابد منه .. لأن الفن والإبداع ينبع من داخل الإنسان ومن مشاعره الخاصة ولايمكن أن يملى عليه أو يفرض عليه بالقوة كما أنه لاينمو فى ظل الخوف والقيود .

---

(١) أنظر فتوى الشيخ محمد عبده عن الفنون التشكيلية بعد زيارته لعدد من المتاحف فى أوربا فى باب الفنون التشكيلية .

وقد حاول بعض الطغاة والمستبدين على مر العصور أمثال هتلر وموسوليني تسييس الفن وتسخيره في الدعاية لأشخاصهم ونظام حكمهم .. فكانت النتيجة فنًا هزيلاً تافهًا سريع الزوال .. وذلك رغم أن هؤلاء الحكام كانوا ينفقون على الفنون بسخاء من أموال الشعب .. ويبنون دور الفن الفاخرة .. ويرصدون الجوائز الكبرى ويجعلون الفنانين أقرب الناس إليهم ويحتضنوهم .. أما في الدول الديمقراطية وفي ظل الحرية فتظهر العبقريات الفنية .. وتنطلق مواهب الفنانين من عقالها بغير حدود ولا قيود ولا خوف ولا تردد .

العنصر الثاني هو تشجيع الدولة ورعايتها :

فالدول الناهضة .. ترعى مواهب أبنائها وتنميها .. بينما الدول الخاملة الهاملة تهمل طاقات أبنائها ولا ترعى الأجيال الجديدة حتى تموت المواهب مع الزمن . ويصبح الشعب عقيمًا غير منتج .

2 - منافع الفن :

للفنون منافع كثيرة لاتعد ولاتحصى .

أولها : الترفيه والتسلية : وهو أمر حيوي للإنسان لا يمكن لأي شخص مثقف ومتحضر أن ينكره . فبغير الترفيه الجيد بين الحين والحين .. لايمكن لأي شخص جاد أن يواصل العمل والإنتاج .

ومن أهم فوائد الفن تهذيب غرائز الإنسان وسلوكه في الحياة . وتربية الذوق السليم والحس المرهف .. والحرص على الجمال والأناقة سواء في طعامه أو ملبسه أو في بيته وفي العمل والطريق العام .

والفن من أهم عناصر شغل أوقات الفراغ : وهو هام جدًا لتلاميذ المدارس وطلبة الجامعات .. لأنه يصرفهم عن الأفكار الهدامة والمنحرفة .. ويبعدهم عن إخوان السوء .. وعن تعاطى المخدرات والمسكرات أو الانشغال بالجنس قبل الأوان .. ويبعدهم عن الزنا والانحراف .. ومن أكبر الكبائر التى ترتكب فى حق شبابنا المسلم هو حرمانه منذ نشأته من أى هواية فنية سواء فى المدرسة أو فى البيت بحجة أن الفن يأخذ من وقت الدراسة والعلم أو من وقت العبادة والدين . والإنسان السوى الناضج يستطيع أن يجمع بين ضرورات الحياة .

ولا تقتصر هذه الفائدة على مرحلة الشباب وحدها .. بل إن الرجل المتزوج ورب الأسرة إذا كانت له هواية فنية يمارسها فى بيته .. فإن هذا يعمل على استقراره مع أسرته وقربه من أولاده وزوجته بدلاً من قضاء وقت الفراغ خارج البيت أو فى المقهى أو مع أصحاب السوء .

وقد أصبح الفن فى عصرنا الحاضر من أهم عناصر العلاج النفسى وخاصة لمن يصابون بالاكتئاب والإرهاق الذهنى بل هو أيضًا وسيلة لعلاج مرضى الأمراض العقلية وأمراض التوتر كالضغط واضطراب القلب . فيعالجونهم بالموسيقى أو الغناء أو الرقص أو الرسم .

ومن أهم فوائد الفن التسجيل التاريخى .. ولولا فن الرسم والتماثيل فى معابد القدماء المصريين لما عرفنا شيئًا عن تاريخهم وعراقة حضارتهم . ولولا ما سجلوه على حوائط المعابد والأسوار حول معاركهم الحربية وانتصاراتهم الباهرة وحول عقائدهم الدينية لضاعت معالم التاريخ . واليوم تحرص جميع دول العالم المتحضر على إنشاء

بانوراما تاريخية ووطنية مثل بانوراما حرب أكتوبر فى مصر.. وعشرات مثلها فى أنحاء العالم. تبن بالرسم والموسيقى والتماثيل أمجاد هذه الأمم وانتصاراتها.

والفن من أهم مصادر الرزق والتجارة والعمل.. فجميع شعوب العالم تشجع اليوم الأسر المنتجة على الأعمال اليدوية الفنية.. وتساعدهم فى بيع منتجاتهم فى الأسواق أو تصديرها إلى الخارج. ويقدر الدين يعملون فى هذه المهنة فى مصر بالملايين من العمال المهرة والفنانين.. وواجب الحكومة أن تساعد هؤلاء فى الارتقاء بإنتاجهم والتدريب على أعمال مستجدة ومتطورة لكى يكسبوا عيشهم ويحلوا مشكلة البطالة والفقر..

وقد أصبح الفن فى القرن العشرين دعامة من دعائم العلم. فلا يوجد اليوم أى علم من العلوم الإنسانية كالطب والبيطرة والميكانيكا والهندسة وعلم النفس إلا ويعتمد على الفن فى تطوره وإتقان رسالته.. وسوف نأتى إلى دور الفن فى تقدم هذه العلوم.

ومن أهم فوائد الفن وأعظم أهدافه التقريب بين الشعوب الإنسانية.. والربط بينها.. فالفن لغة عالمية يفهمها كل إنسان.. وسواء كان هذا الفن صورة أو تمثالاً.. أو موسيقى أو أغنية.. أو رقصًا أو تمثيلية عالمية.. فإن جميع الشعوب المتحضرة يستمتعون بهذه الفنون.. ولا يحتاجون إلى ترجمة لغوية. ولا دليل للشرح.. وقد زرت جميع بلاد العالم. وصاحبت الأفواج السياحية فكان جميع السياح من مختلف الشعوب ما أن يدخلوا بلدًا جديدًا حتى يتجهوا أولاً إلى معاقل الفنون من متاحف.. ومعارض.. وقاعات موسيقى وأوبرا وباليه.. وكل ما يقدمه هذا البلد من فن محلى أو عالمى.. ونقوم بين

الجميع صداقات فى الفن .. ويتبادلون الإعجاب والتقدير واستضافة الوفود .

والفن هو الدليل الحى الناطق على نهضة أى أمة وتقدمها فالشعوب المتخلفة والجاهلة .. والشعوب التى تعيش تحت حكم فاسد مستبد .. هذه الشعوب لا يمكن أن تنتج فناً راقياً .. لأن الفنون هى الثمرة الطبيعية للمجتمع السليم الصحى .

3 - الفن والفساد :

الفن الذى نتحدث عنه فى هذا الكتاب والذى ندعو إليه وندافع عنه هو الفن النظيف الهادف الملتزم .. وهذه حقيقة لن نحتاج إلى تكرارها فى كل باب من أبواب الكتاب .. بل نعتبرها قضية منتهية ولا جدال فيها .

وكبداية يجب أن نشرح معنى الفساد . فكثير من الناس يتصور أنه قاصر على الإثارة الجنسية وحدها .. كعرض الصور أو المشاهد الجنسية . والأغانى الهابطة التى تثير الغرائز .. والرقص الخليع الذى فيه عرى وحركات جنسية .. إلى غير ذلك من مظاهر استغلال الجنس من أجل الكسب التجارى .. ولكننا هنا سوف نخرج عن هذا المفهوم الضيق والمحدود لمعنى الفساد ونضيف إليه معنى أوسع .

فالدعوة إلى نبذ الدين وتعاليمه فساد .

وتشجيع العنف والقتل وسفك الدماء فساد .

وتمجيد الظلم والقهر والتفرقة العنصرية فساد .

والاستهتار بالقيم الدينية والاجتماعبة والإنسانية فساد .

هذا هو المعنى العريض والأفق الواسع لكلمة الفساد . فإذا استغل الفن في مجال الفساد فهذا لا يعتبر بالمقاييس العلمية فناً .. بل عمل هابط لا يمكن نسبته إلى الفن .. فالفن وسيلة للتعبير . وهو مثل أى شئ من وسائل الحضارة يحكم عليه حسب استعماله .. السلاح مثلاً .. قد يستعمل فى الدفاع عن النفس والدعوة إلى الحق .. وبذلك يصبح مشروعًا .. وقد يستعمله شخص آخر فى الجريمة والعدوان على الناس فيصبح محرمًا .. والذرّة قد تستعمل فى الهدم والتدمير وقد تستعمل فى علاج الأمراض .. وهذا المبدأ ينطبق على العلم كله وعلى الفكر والفلسفة وعلى الحضارة كلها .

وحتى لا تختلط الأمور .. فقد وضع العلماء المتخصصون فى كل فن من الفنون قواعد وضوابط لهذا الفن .. فهناك قواعد للرسم والتصوير وقواعد للرقص وأخرى للموسيقى والغناء . وأخرى للدراما والتمثيل .. وهكذا .. وهذه الضوابط لها معايير كثيرة جدًا .. منها الدين والتقاليد والآداب العامة .. ومنها المستوى الفنى فى المضمون والوسيلة والأداء .. ومنها عدم الإساءة والتجريح لأى فئة بسبب الدين أو الجنس .

وفى الكثير من بلدان العالم .. تقام كل عام مهرجانات عالمية ودورية لمختلف الفنون .. من موسيقى وغناء وسينما ومسرح ورسم ونحت وتصوير ورقص . ويشرف عليها فرق من النقاد المحترفين . وتشمل هذه الفرق إلى جانب الفنيين أخصائيين فى الرقابة وعلم النفس وعلم الاجتماع .. وإذا وجدوا فى أى عمل يدخل هذه المسابقات والمنافسات نوعًا من الفن الهابط أو فسادًا فإنهم يستبعدون هذا العمل .

وبطبيعة الحال فإن بعض هذه المقاييس والضوابط قد يختلف من بلد إلى بلد ومن بيئة إلى أخرى .. فبعض المقاييس التى تطبق فى أوروبا وأمريكا لا تصلح فى العالم الإسلامى والشرقى . وما يشترط لدينا ليس بالضرورة أن يكون مقبولاً لديهم .

■ موقفنا من الأعمال الأجنبية :

قد يعترض البعض أن العالم الغربى والمسيحى قد أصبح متحررًا من القيود الاجتماعية وأن هناك الكثير من الأعمال الفنية الغربية التى تعرض فيها مشاهد جنسية فاضحة .. أو دعوة إلى العنف أو تمجيد القهر والظلم .. وغير ذلك من أنواع الفساد التى يرفضها المجتمع الإسلامى وتنهى عنها التعاليم الإسلامية .. فنقول إن هذا غير ملزم لنا.. ﴿ **لكم دينكم ولي دين** ﴾ [الكافرون 6] ، ﴿ **ولا تسألون عما كانوا يفعلون** ﴾ [البقرة 14] .

إنما واجبنا فى هذه القضية يتلخص فى الآتى :

أولاً : أن يكون لدينا رقابة مستنيرة متخصصة واعية تستطيع أن تميز بين الفن والفساد . وبين الخير والشر ، وأن تستبعد أى فساد سواء باستبعاد العمل كله أو أجزاء أو عبارات منه . وسوف نتحدث عن شروط هذه الرقابة وقواعدها بحيث لا تنحرف عن مهمتها ولا تخضع للأهواء الشخصية أو الأفكار المتطرفة . فالرقابة قد تكون سلاحًا ذا حدين .

ثانيًا : أن يكون لدينا إنتاجنا الفنى الجيد الرفيع المستوى الذى يلتزم بقواعد ديننا وتقاليدنا ومجتمعنا ويكون وسيلة للرقى بهذا

المجتمع والدعوة إلى الفضيلة ومحاربة كل فكر منحرف أو تقاليد ضارة أو فساد .

ثالثًا : أما ما يدعو إلبه بعض المتطرفين والجهلة من منع الفن الغربي كله .. ومقاطعته .. فدعوة مرفوضة حضاريًا وإسلاميًا ومنطقيًا .. فالفن الغربي ليس كله فسادًا كما يتصور هؤلاء الناس .. بل هو علم حضاري راق .. ومتعة حسية ونفسية وثقافة عامة وحكمة وفلسفة .. وأبتكار .. فهو لا غنى عنه لأي أمة تريد التطور والنهوض .. ويمكن أن نقسم الناس في هذه المسألة إلى نوعين : النوع الجاهل الذي ليست لديه القدرة أو الثقافة على التمييز .. فهذا لا يقدم إليه العمل الفني الأصلي إلا من خلال الرقابة اليقظة كما هو حادث اليوم في تليفزيونات البلاد العربية والإسلامية . والنوع الثاني هو المثقف المتعلم المستنير .. والذي يستطيع أن يميز بين الخير والشر وبين الحلال والحرام وبين الفن والفساد .. فهذا لا يجب أن يوضع عليه أي رقيب أو يحرم من أي فن . فالرقيب عليه هو ضميره وعلمه ودينه .. وحتى إذا شاهد في البرامج الفضائية والخارجية أي شئ يتنافى مع مجتمعنا الإسلامي فإنه يستطيع أن يميز ولا يتأثر كما يتأثر الجاهل وأن يمنع أو يسمح بحكم علمه وثقافته .

أقول هذا بمناسبة ما أعلن في بعض البلاد الإسلامية مثل إيران وأفغانستان والسعودية من أوامر مشددة لمنع تركيب الأطباق الفضائية .. بحجة أن بعض القنوات تذيع في أوقات معينة مشاهد خارجة .. ولو كانت كل المعاملات وكل المشاكل في الحياة تعالج بأسلوب البتر والقطع لما بقيت مشكلة في هذه الدنيا .. إلا وكان علاجها البتر والمنع .. وهذا أسلوب العاجزين والمتخلفين .

ولو كنا نأخذ بمبدأ البتر والمنع لكان واجبًا أن نمنع جميع شباب المسلمين من السفر إلى الخارج سواء بهدف تلقى العلم أو للتجارة والعمل والرزق أو للسياحة بحجة أنهم سوف يشاهدون الإباحة فى الغرب .

ومعنى ذلك أن نتقوقع فى بلادنا ونغلق حدودنا ونتحول إلى دول بوليسية أو سكان الكهوف المنعزلين عن العالم .

■ رجل الشارع والربط بين الفن والفساد :

الثقافة الفنية تكاد تكون معدومة بين عامة المسلمين .. فإذا جاءت سيرة الفن أو نطق باسمه بينهم فإن أول ما يتبادر إلى أذهانهم هو الفساد .. فإذا كان الحديث عن الغناء والموسيقى فإن أول ما يتبادر إلى أذهانهم الأغانى الهابطة التى تعتمد على إثارة الغرائز الجنسية سواء باللفظ أو بحركة المغنى والمغنية .. أو بطريقة الإلقاء .. وإذا كان الحديث عن الرقص فأول ما يتبادر إلى أذهانهم الرقص الشرقى الذى يعتمد على العرى وكشف العورات والحركات الجنسية . ونفس الشئ إذا كان الحديث عن الفيديو والسينما والتمثيل والمسرح .

ولاشك أن السبب الرئيسى لهذا التفكير المضلل هو انعدام الثقافة الفنية .. فالشخص الذى لم يَرَ فى حياته إلا هذه النوعية الهابطة من الفنون معذور فى تصوره الذى يربط بين الفن والفساد .

فهذا الجهل هو السبب فيما نراه اليوم من تعرض رجل الشارع وخاصة من الجماعات الإسلامية المتطرفة إلى كل وسائل الفن ..

فبعضهم يحرق نوادى الفيديو والسينما وبعضهم يحطم التليفزيونات والمحلات العامة وبعضهم يضع القنابل الحارقة فى المسارح .. وقد شاهدت بنفسى بعض هؤلاء الجهلة يتعرضون بالضرب لأحد السياح لأنه كان يقوم بالتصوير فى أحد المواقع السياحية الإسلامية وحطموا الكاميرا وأحرقوا الفيلم .

4 - الفن والثقافة الإنسانية :

فى جميع أنحاء العالم المعاصر هناك ارتباط وثيق بين الفن والثقافة وجميع الوزارات والمؤسسات المعنية بالفن تسمى وزارة الثقافة والفنون .

ولاتوجد دولة متحضرة فى عصرنا الحاضر إلا وتكون فيها وزارة متخصصة بالفنون والثقافة .. ومن أهم واجباتها بعث الذوق الفنى العام لدى الشعب . وتوجيه الأجيال الجديدة .. منذ مراحل الطفولة وحتى التخرج من الجامعة إلى أهمية تذوق الفن .. والاهتمام به .. وجميع الدول المتقدمة تنفق على مختلف الفنون بسخاء مذهل .. فيقيمون المؤسسات الفاخرة والمبهرة لكل نوع من الفن القديم والمعاصر .. فهناك متاحف للرسم والتصوير والنحت وجميع الفنون التشكيلية ، وهناك مكتبات متخصصة فى الموسيقى تعرض فبها شرائط وأفلام وأسطوانات موسيقية ، وفيها قاعات خاصة للاستماع وأخرى للاستعارة الخارجية .. وهناك المسارح الضخمة التى تقام فيها أعظم المسرحيات القديمة والمعاصرة أو تعرض فيها الأفلام ذات

الطابع الثقافى . فكل واحدة من هذه المؤسسات تعتبر مدرسة شعبية ينهل منها جميع أفراد الشعب على مختلف الأعمار أنواع الثقافة العامة .

ولم تعد الدول المتقدمة تكتفى بأن يكون الفن والثقافة فى المناطق المختصة والحجرات المغلقة . بل إنهم يخرجون بالفنون إلى الطريق العام وأماكن العمل وإلى الناس فى بيوتهم .. فنرى الفرق الموسيقية تجوب الشوارع أو تعزف فى الحدائق والأماكن العامة فى كل المناسبات ويقيمون التماثيل الرائعة واللوحات الفنية فى الميادين والشوارع ومكاتب العمل .. وقد زرت مترو الأنفاق فى موسكو والذى يعتبر أعظم وأجمل متحف للفن فى العالم كله .. فعندما قامت الثورة الروسية وصادرت الحكومة عددًا كبيرًا من قصور القياصرة والحكام السابقين .. أمروا بجمع مئات التحف الفنية الرائعة فى تلك القصور .. ووضعوها فى محطات مترو الأنفاق لتجميلها .. وليصبح الفن جزءا من الحياة اليومية لهذه الملايين من أبناء الشعب الذين يستعملون المواصلات العامة بدلاً من أن يظل حبيسًا فى قصور قلة من الأثرياء .

والدول الناهضة تحرص على إظهار العبقريات الكامنة فى شعوبها وأبنائها فتقيم لهم المنافسات الدورية وتقدم لهم الجوائز التشجيعية .. التى قد تصل إلى ملايين الدولارات للمتفوقين والموهوبين .. فهناك مسابقات فى العزف والموسيقى وأخرى فى الغناء وأخرى فى الرقص بأنواعه .. سواء كان رقص باليه أو الرقص الفولكلورى أو الرقص على الجليد أو بالعجل (Patinage) ومسابقات فى الفنون التشكيلبة كالرسم والنحت والتصوير وهكذا .

(2) الإسـلام والفنـون

1 - حكم الدين فى الفن .

2 - هل هناك خصومة بين الإسلاميين والفن .

3 - تكفير الفن .

الإسلام لم يحرّم أى نوع من الفنون الجميلة ولكنه يحرم الشرك والفساد

فإذا غاب هذا المعنى عن بعض الإسلاميين !! . فالعلة فى مفاهيمهم وليست فى الإسلام ..

والإسلام برئ من جهل بعض أتباعه !!

1 - حكم الدين فى الفن :

لم يكن العرب فى الجاهلية أهل فن .. فليس فى جزيرة العرب أنهار ولاخضرة ولا شجر - وكانوا يتنقلون أيامًا كاملة من أجل قطرة ماء .. أو عشب لرعى الغنم .. وهذا جعل حياتهم جافة خالية من أى فن جاد ومتطور .. فلا موسيقى ولا أغانى فردية أو جماعية .. ولا تمثيليات ولا رسم ولا نحت ولا رقص شعبى أو جماعى .

والفن الوحيد الذى عرفه العرب وبرزوا فيه هو البلاغة من شعر ونثر .. أما الفنون الأخرى فكانت بحالة بدائية أقرب إلى إنسان العصر الحجرى .. إلى جانب هذا فكانت هذه الفنون فى خدمة هدفين رئيسيين .. الأول هو عبادة الأصنام والثانى هو حفلات المجون والخلاعة فى الخمارات .. حيث الخمر والقيان .. ولهذا كان المجتمع العربى يحتقر الفن ويربط بينه وبين الفساد لأنه لا يتصور أن هناك فنون حقيقية لها قواعد علميه .. وأهداف إنسانية راقية مثل غيرهم من الشعوب ذات الحضارة العريقة .

والمعروف أنهم كانوا يصنعون التماثيل لآلهتهم كاللات والعزى ومناة وأثاف وغيرهم .. وكانوا ينصبونها داخل الكعبة وخارجها . .. وكانت هناك صور ورسوم داخل الكعبة للأنبياء الأولين إبراهيم وإسماعيل تظهرهم وهم يستقسمون بالأصنام .

وفى وسط هذه الأمة الأمية البدائية بعث رسول الله ﷺ برسالة كبرى لهداية الإنسانية كلها .. ومن أهم أهدافها الدعوة إلى توحيد الله

ونبذ الفكر الوثنى الذى يسجد للصورة والصنم من دون اللّه . ويقدم لهم الذبائح والقرابين والنذور.. ومن أهم أهدافها أيضًا الدعوة إلى الفضيلة ونبذ الدعارة والسكر والخلاعة والمجون .

ومن هنا كانت دعوة الإسلام إلى هجر كل أنواع الفنون المرتبطة بالجاهلية وعقائدها .. وسلوكياتها .. فنهى عن صناعة التماثيل للعبادة وعن رسم كل ما فيه روح .. وعن أغانى الخمر والقيان والفجور.. وعن الرقص الذى فيه عرى وفساد .

وبديهى أن هذا النهى لا يقصد به محاربة الفن .. بل محاربة الكفر والفساد .. والفن الأصيل الهادف أبعد ما يكون عن ذلك كله .. فإذا أنتفى ركن الشرك والفساد عن أى فن فهو بلا شك مقبول من الدين .

وهناك أمثلة عديدة على أمور فى الجاهلية نهى الإسلام عن استعمالها لما فيها من الكفر والفساد .. فلما زالت عنها هذه الأهداف عاد فأذن بها .. ومن هذا أن الرسول ﷺ قد نهى المسلمين عن زيارة المقابر فى بداية الإسلام والحكمة فى ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يقدسون الموتى .. ويبنون لهم مقابر فاخرة ويضعون فيها الأسرجة لإنارتها ليلاً .. ويزورونها ويتبركون بها فنهاهم الرسول عن زيارة المقابر . وأمر بتسوية هذه المقابر بالأرض ..

فقد جاء فى صحيح مسلم عن على بن أبى طالب : (كان رسول اللّه فى جنازة فقال ايكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلا كسره ولا قبرًا إلا سواه . ولا صورة إلا لطخها . فقال أحدهم أنا يا رسول اللّه . فأنطلق فهاب أهل المدينة فرجع . فقال على بن أبى طالب : أنا

أنطلق يا رسول الله " فلما عاد فقال يا رسول الله لم أدع بها وثنًا وإلا كسرته . ولا قبرًا إلا سويته ولا صورة إلا لطختها . فقال رسول الله : من عاد لصنعة شئ من ذلك فقد كفر بما أنزل على محمد) .. "رواه مسلم والنسائى وابن حنبل ".

وقد فعل الرسول مثل ذلك فى فتح مكة .. فقبل دخوله أرسل عمر بن الخطاب ليحطم تماثيل الآلهة ويلطخ صورها التى فى الكعبة ويسوى القبور بالأرض .

فنجد أن التحريم قد جمع بين التماثيل والصور والمقابر . وأن النبى هنا لم يقصدها لذاتها . ولكنه نهى عن سوء استعمالها فى الشرك بالله . وعندما زالت العادة الجاهلية فى تقديس الموتى ، واتخاذ أضرحتهم مزارًا وتبركًا إلى الله .. عاد الرسول فأذن للمسلمين بزيارة المقابر وقال : (كنت قد نهيتكم عن زيارة المقابر .. ألا فزوروها فإنها تذكر بالموت) . " متفق عليه " ..

ومن هذه الأمثلة أيضًا موقف القرآن من الشعر والشعراء فى عصره .. فقد كان الكثير من شعراء الجاهلية يتعيشون على التسول من المدح أو الهجاء حسب ما يدفع لهم مما كان يثير الفتن بين القبائل . وكان بعضهم يفخر بارتكاب المعاصى والمحرمات مثل الخمر والبغاء ، أو يفخر بظلم الآخرين وإراقة دماء الخصوم . بل كان بعضهم يفخر بالسلب والنهب والغارة على القبائل الأخرى ومن ذلك قولهم :

لنا الدنيا ومن أمسى عليها	ونبطش حين نبطش قادرينا
بغاة ظالمين وما ظلمنا	ولكنا سنندأ ظالمينا

وفي اللهو والشرب بقول الشاعر :

ولقد شربت من المدامة بالصغير وبالكبير
فإذا أنتشيت فإننى رب الخورنق والسدير
وإذا صحوت فإننى رب الشويهة والبعير

ففى هذا الأسلوب من الحياة الذى يعتمد على البغى والفساد والنفاق جاءت الآية الكريمة : ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون ألم ترأنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون** ﴾ [الشعراء 224] .

وقد ذهب بعض قصار النظر إلى القول بأن هذه الآية تعنى أن الإسلام يكره فن الشعر أو يحرمه .. فى حين أن الآية نفسها تستثنى من يستعمل هذا الفن فى الخير والإصلاح فيقول تعالى : ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرًا وانتصروا من بعد ما ظلموا .. وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** ﴾ [الشعراء 226] .

فهذه الآية خير دليل على أن الإسلام لا يحارب هذا الفن بل يحارب سوء استعماله .. نزلت هذه الآية فى مكة .. وبعد هجرة الرسول إلى المدينة واستقر الإسلام استعان الرسول بالشعر والشعراء فى الدفاع عن دعوته .. وفى مقدمتهم شاعر الرسول حسان بن ثابت وشاعر البردة زهير بن أبى سلمى ..

والخلاصة أن الإسلام لا يحارب الجمال ولا يحارب أى فن من الفنون الإنسانية طالما لا يكون وسيلة للشرك أو الفساد .. وإذا كانت هناك أحاديث صحيحة عن تحريم الصور والتماثيل .. وكراهية الموسيقى والغناء .. فإنما يقصد بها النوع الذى كان سائدًا فى الجاهلية من اتخاذها كوسيلة لعبادة غير الله .

أما اليوم .. وقد أنتفى هذا الغرض .. وأصبحت لكل فن من هذه الفنون أهداف إنسانية واسعة .. ورسالة نبيلة وسامية .. كما سنفصلها فيما بعد فلا تنطبق عليها هذه الأحاديث . فدين الإسلام لا يؤخذ بالحرف واللفظ .. ولكن بالمعنى والهدف . ومن الثابت فى الأحاديث الصحيحة .. أنه كان في بيت الرسول ﷺ فى المدينة تمثال للزينة يمثل طائرًا وتماثيل لعرائس الأطفال وكانت هناك أقمشة عليها رسوم . وأن الرسول قد استمع فى بيته للجوارى وهن يعزفن ويغنين فى الأعياد وأنه اصطحب زوجته عائشة لتشاهد رقص الأحباش وأغانيهم .

وبذلك كانت جميع أنواع الفن النظيف البرئ موجودة فى بيت الرسول ﷺ إلى جانب الأمور الجادة كالعبادة والفقه والقرآن .

وسوف نأتى إلى تفصيل لكل هذا فى مجاله ...

2 - هل هناك خصومة بين الإسلاميين والفن ؟

للأسف الشديد .. هناك خصومة شديدة لا مبرر لها بين الكثير من عوام المسلمين والفنون بكل أنواعها .. وفارق كبير بين قولنا المسلمين وقولنا الإسلام . فالإسلام برئ من هذه الأفكار المتخلفة التى كثيرًا ما تنسب إليه بسبب تخلف المسلمين .

وكثيرًا جدًا من عوام المسلمين من إذا وقع فى يده كتيب صغير مما تطبعه الجماعات الدينية المتطرفة !! وخاصة إذا كان يدعو إلى نبذ الحياة وتكفير المجتمع ورفض الحضارة الغربية .. وتحريم الفنون .. فإنه سرعان ما يحفظ هذا الكتيب عن ظهر قلب .. ويعتبر ما جاء فيه من فكر متخلف ومتحجر هو الدين الحق .. ثم هو لا يكتفى بهذا . بل يعتبر

نفسه بهذا العلم القليل .. داعية إسلاميًا وثوريًا محافظًا ويبدأ يردد ما حفظه فى كل مجلس دون وعى ولا تمييز. وهذا الفريق هو ما نشاهده اليوم من قادة الجماعات الإسلامية المتطرفة التى ظهرت فى الأحياء الشعبية فى الكثير من دول العالم الإسلامى .

وعلى أيدى هؤلاء ظهرت الموجة الحديثة ضد الفنون وضد الحضارة الغربية .. وخير وصف لهذه الحركات الجاهلة ما كتبه الباحث والمفكر الإسلامى الأستاذ : فهمى هويدى فى وصف حركة طالبان التى استولت على الحكم فى أفغانستان(1) حيث يقول " من السخف أن نناقش تصرفات هؤلاء وعلاقاتها بالشريعة الإسلامية التى يزعمون أنهم يتمسكون بتطبيقها . فما بدر عنهم حتى الآن لا يدع مجالاً للشك فى أنهم نموذج للمسلم الجاهل الذى خلط الدين بالتقاليد . ربما حفظ شيئًا من النصوص ولكنه لم يفهم منها شيئًا وربما عرف أن هناك أركانًا للإسلام ولكنه لم يدرك أن العدل هو جوهر الشريعة .. وأن لها مقاصد تدور حول القيم الإنسانية العليا .. أما فقه الموازنات وترتيب الأولويات فقد عمى هؤلاء عنه وصموا " .

ولعلنا هنا نتساءل : من أين هذه الموجة العدائية للفن ؟ وما هى مصادرها ؟ ومن أين تأتيهم هذه الكتيبات الصغيرة وشرائط الكاسيت التى تربط بين الفن والكفر ؟ وسوف نجد أن مصدرها جميعًا هو الدول التى تدعى أنها تحكم باسم الإسلام . والإسلام برئ منهم ومن أفكارهم التى يدعون إليها ويطبقونها فى شعوبهم المقهورة .

---

(1) الأهرام 15 أكتوبر 1996 صفحى 11 بعنوان " طالبان معجزة أم ماذا " فهمى هويدى .

وهذه الدول حتى الآن خمس هى إيران وأفغانستان وباكستان والسودان وينضم إليها الجماعات المتطرفة والإرهابية فى مصر والجزائر وبعض أنحاء العالم الإسلامى .

ففى إيران عندما قامت الثورة الإيرانية ووصل الخمينى إلى الحكم كان أول قرار أصدره هو منع الموسيقى والأغانى والتمثيليات فى الإذاعة والتليفزيون الإيرانى . فأصبحت البرامج قاصرة على خطب رجال الدين (الملالى) وعلى مواكب الشيعة وعلى كرة القدم .

وقد جاء النص على تحريم الغناء فى فرمان أصدره الخمينى بعنوان " الراديو والتليفزيون ونحوهما " ينص على الآتى .

" يحرم استماع الغناء ونحوه من الأجهزة مثل الراديو وغيره سواء أذيعت مباشرة أم بعد تسجيلها فى جهاز التسجيل"(1) ولما علم أن الناس يستمعون إلى الإذاعات الخارجية عن طريق هذه الأجهزة أصدر فرمانا آخر يحظر بيعها إلا لمن يثبت حسن تدينه فيقول : " لا أجيز بيعها إلا لمن يطمأن له بعدم استعمالها إلا فى المحلل ولا يستعملها فى المحرمات ، كمالا أجيز له شراءها إلا فى الصورة المتقدمة " وعلى هذا فقد أمر الخمينى أعوانه بمراقبة البيوت ومن يثبت أنه يستمع إلى الموسيقى أو أى برامج من خارج البلد يقتحم البيت ويصادرون الأجهزة .. وبلغ من تشدده فى هذا الأمر أن كل من يريد شراء تليفزيون أو راديو لبيته عليه أن يحصل على شهادة حسن سير وسلوك من الملالى ويتعهد بعدم استعمالها فى سماع الموسيقى والمنكر. وحتى يومنا هذا

---

(1) المصدر " إيران من الداخل " فهمى هويدى صفحة " 285 " .

تمنـع الحكومـة الإيرانيـة الشـعب مـن تركيـب الأطبـاق الفضائيـة أو استقبال أى إرسال خارجي . ومن يضبط فى هـذا الفعل الفاضح يتعرض لعقوبة قاسية .

وقد حرصت على استقبال محطـة إيران الفضائيـة على الطبق الفضائى فى بيتى بالقاهرة وأخذت من باب الدراسة والعلم أتابع برامجها على أيام متوالية .. فكانت البرامج لا تخرج عن خطب الملالى . ودروس الدين والصلاة وكرة القدم ورسوم الأطفال حتى أحسست أن هذا الشعب المسكين لابد أن يصاب بالإكتئاب وكراهية الحياة وبشلل الفكر والعواطف والأحاسيس .

وهم يخدعون شعبهم ليل نهار بالأدعاء أنهم وحدهم حماة الإسلام وهم وحدهم الذين يحكمون بالإسلام لمجرد أنهم يمنعون الموسيقى والأفلام والمسرحيات ويقطعون أيدى الفقراء فى حين أنهم لا يطبقون أهم ركن من أركان الحكم بالإسلام وهو مبدأ الشورى .. ويحاربون حرية الرأى والمعارضة ويتهمونهم بالكفر ويعدمونهم .

فمع صدور نفس الفرمانات التى يأمر فيها الخمينى بمنع الموسيقى والغناء نجده يصدر فرمانات موازية بإعدام المعارضين للحكم فقد أمر بإعدام 2444 شخصًا من المعارضة داخل السجون خلال شهرين فقط من عام 1981م . هذا غير بضعة آلاف آخرين على مدى حكمه وهذه البيانات منقولة من نشرة منظمة العفو الدولية لعام 1989 . فهل هذا هو الحكم بالإسلام ؟؟ أن يريق دماء المسلمين بالجملة لمجرد المعارضة السياسية ؟ هل الإسلام هو منع الفن ومحاربته ؟ وإعدام المعارضين فى الرأى ؟ أى مفهوم مضلل هذا ..

إننى فى الواقع لا أستغرب موقف حكام إيران وأفغانستان فى الميل إلى العنف والقسوة وسفك دماء المسلمين بالجملة .. وذلك لأن من يكره الفن ويحرمه هو فى داخل نفسه إنسان كاره للحياة ..

لقد حرصت على شرح ما حدث فى إيران بالتفصيل .. من استغلال الدين لأغراض سياسية لا تمت إلى تعاليم الإسلام بصلة .. وهى أبعد ما تكون عن فهم الإسلام وأهدافه . ومن هذا المثل يتضح لنا أن محاربة الفن فى الدول التى تدعى الحكم بالإسلام هو لعبة يستغل فبها الدين بصورة بشعة لإقناع الجهلة والسذج أن ما يقومون به من إعدام بالجملة للجماعات المعارضة هو جزء من حماية الإسلام .

وقد يقول قائل إن هذا يحدث عند الشيعة وحدهم وأن لديهم الكثير من الانحرافات التى لا توجد عند السنة .. والواقع أن الصورة تتكرر عند جميع الدول التى تدعى أنها تحكم بإسم الإسلام والتى يستغل فيها الدين لأهداف سياسية لإذلال الشعوب والتحكم فى مصائرها باسم الدين .

ففى أفغانستان : وبعد أنتصار المجاهدين الأفغان على الجيش الروسى وطرد الشيوعية عن بلادهم وإعلان الحكم بالإسلام .. كان أول قرار أصدره أول رئيس جمهورية مسلم وهو برهان الدين ربانى هذا القرار هو أيضًا منع الموسيقى والغناء والتمثيليات فى جميع وسائل الإعلام . هذا فى حين أنه لم يعلن مبدأ الشورى ولم يستمع إلى الرأى الآخر مما أغرق أفغانستان فى بحار من الدم والحرب الأهلية والصراعات الداخلية .

ثم زادت المصيبة وتضخمت عندما استولت حركة طالبان على الحكم وفى ذلك يقول الأستاذ فهمى هويدى فى مقال عن هذه الحركة المشبوهة بعنوان " عمى الألوان حين يتجلى "[1] فيقول : " عند البعض فإن حركة طالبان أصبحت الممثل الشرعى الوحيد للإسلام والمسلمين والتعبير الأصدق عن حلم المتدينين والنموذج الذى تصبو إليه أشواق الإسلاميين أجمعين . لم لا وغاية الكل ومناهم لنهضة الإسلام أن تحتجز النساء فى البيوت وان يطلق الرجال لحاهم ويقصروا جلابيبهم وأن تحرّم الموسيقى وتحطم أجهزة الفيديو ويختفى التليفزيون وأهله من على وجه الأرض . هذا هو كل ما حققته حكومة طالبان للنهوض بالإسلام ... إضافة إلى إعدام خصومها بالجملة وتعليق جثثهم على الأشجار وأعمدة النور " .

أما ركن الشورى وأما ركن الأمن والسلام والرحمة والعدل .. فكل هذا لم يقروه عن الإسلام .. كل ما يعلمونه عن الإسلام كما يقول فهمى هويدى " ملاحقة النساء ومنع تعليم البنات ومنع الموسيقى والغناء والتمثيل حتى يثبتوا للعالم كله أن التخلف والبؤس من سمات النموذج الإسلامى " وقد نجحوا فى هذا الهدف .

ونفس الشئ يحدث فى بلاد إسلامية أخرى مع فوارق بسيطة فى محاربة الفن وتكفيره . بحيث لو ضبط الزائر إلى هذا البلد وهو يحمل الكاميرا أو يصور فى الشارع تقيض عليه الشرطة وتصادر آلة التصوير .

---

(1) جريدة الأهرام 29 أكتوبر سنة 1996 صفحة 11 بعنوان عمى الألوان حين يتجلى - فهمى هويدى .

■ الجماعات الإسلامية المتطرفة فى مصر والجزائر :

سبق أن قمت بدراسة وافية عن الجماعات الإسلامية المتطرفة فى كتابين ، الأول " كيف نحكم بالإسلام فى دولة عصرية ؟ " والثانى بعنوان " التطرف والإرهاب " .

فمن المعروف أن هذه الجماعات تقوم أساسًا على أنصاف المتعلمين الذين لا يعرفون من دين الإسلام إلا القشور .. والذين ينقلون ما يطبق فى الدول التى تدعى الحكم بالإسلام على أنه الدين الحق فهم يأخذون الإسلام بالمظهر ويتركون الجوهر .. والإسلام بالنسبة إليهم لحية وجلباب .. وللمرأة قفاز ونقاب[1] . وهو محاربة الفن بكل أشكاله وصوره . وذلك مع إباحة قتل الأبرياء وإراقة الدماء وتكفير المسلمين وعداوة المجتمع . فالتليفزيون حرام .. والراديو حرام .. والموسيقى والغناء حرام .. والصور والرسم حرام .. والتمثيل والسينما حرام .. وكل ما يتعلق بالمرأة حرام فصوتها عورة وتعليمها مفسدة ومصافحتها إثم .

وقد نشرت جريدة القبس الكويتية يوم 1987/12/11 نقلا عن وكالات الأنباء العالمية خبرًا بعنوان " بسبب أغنية لأم كلثوم .. جماعة إسلامية هاجمت بالسيوف والخناجر فى أحد شوارع القاهرة " وجاء فيه " حاول أحد أعضاء الجماعات المتطرفة بمنطقة الساحل بالقاهرة منع أحد البقالين بشارع عبد الجواد أمين من سماع أغنية لأم كلثوم . رفض البقال إغلاق الراديو فعاد عضو الجماعة (ملتحى)

---

(١) لمزيد من الإطلاع راجع كتاب التطرف والإرهاب " سلسلة المواجهة – الهيئة العامة للكتاب صفحة 14 : 27 وكتاب " كيف نحكم بالإسلام فى دولة عصرية " الهيئة العامة للكتاب .

ومعه 25 شابًا من أعضاء الجماعات الإسلامية وهاجموا سكان الشارع الذين تصدوا لهم . إلا أنهم انهالوا عليهم بالسيوف والخناجر والجنازير فى مشاجرة أسفرت عن مقتل الشاب حسن محمود حامد (18 سنة) طالب وإصابة العشرات من سكان المنطقة .

ومن أعظم المعارك التى تخوضها الجماعات الإسلامية فى الجامعات حين يقيم الرؤساء حفلاً بريئاً فيه موسيقى وغناء أو فيه اختلاط بين الطلبة والطالبات .. وتحت شراف العميد أو أحد الأساتذة ، قد يكون هذا الحفل بمناسبة نخرج دفعة جديدة أو تفوق بعضهم أو أى عيد وطنى أو دينى .. وهنا يستفز الإسلاميون إخوانهم وتنطلق صبحة الحرب بدعوى أن الموسيقى والغناء حرام .. ثم ينطلقون إلى هدم السرادق أو قطع التيار الكهربائى وقد يتعدى الأمر إلى ضرب المحتفلين بما فيهم الأساتذة .

ولما كان هؤلاء جميعًا من أنصاف المتعلمين فإن لغة الحوار الوحيدة التى يتفهمونها هى استعمال العنف .. وحمل العصى والجنازير والخناجر .. ثم يخرجون إلى شوارع الأحياء الشعبية فى جماعات كالذئاب . فيحرقون أى محل تجارى فيه راديو أو تليفزيون .. ويحرقون دور السينما ومحلات الفيديو .. وقد قبضت الشرطة على زعيم الجماعة الإسلامية فى حى إمبابة المدعو الشيخ جابر .. حيث ضبط مع بعض أعوانه وهو يحرق أحد محلات الفيديو ويحطمه .. وقد قدمه التليفزيون فى البرنامج المعروف "المواجهة "[1]

---

(1) برنامج المواجهة - التليفزيون المصرى سنة 1992

فى سنة 1992 حيث تبين من الحوار معه أنه رجل أمى جاهل لا يعرف من الإسلام إلا بعض الآيات والأحاديث ويحفظها عن ظهر قلب ويرددها بإصرار . كما تبين أنه كان صاحب سوابق ومسجل خطر فى الشرطة .. وادعى أنه تاب وأصبح مجاهدًا فى سبيل الله .. أما نوع هذا الجهاد فهو حسب فهمه محاربة الفساد والفن بتحطيم الراديو والتليفزيون فى المحلات التجارية وحرق محلات الفيديو .

ولعلنا نتساءل من أين جاءت هذه الأفكار المنحرفة والمضللة إلى الشباب المصرى وإلى شباب الجزائر فى وقت واحد ؟؟

ويجيب عن هذا السؤال الإرهابى التائب عادل عبد الباقى فى البرنامج التليفزيونى المواجهة أيضًا حيث قال " إن معظم هؤلاء قد ذهبوا إلى السعودية وأفغانستان وباكستان وهم جميعًا من الجهلة وأيضًا أنصاف المتعلمين ومن هذه البلاد أخذوا الدين بالمظهر دون الجوهر . ولم ينقلوه عن العلماء والفقهاء .. ولكن بما يطبق فى الشارع فى تلك البلاد " .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن هذه الأفكار المتخلفة والمعادية للفن لا تقتصر على هذه الفئة من الجهلة وحدهم بل للأسف الشديد أننا نجدها بين كثير من الشباب الجامعى المتطرف وبين بعض خريجى الجامعات من أطباء ومهندسين ومحامين .. فالدراسات الجامعية المكثفة والتخصص فى مهنة من المهن الدنيوية .. لا تتيح لصاحب المهنة الفرصة لدراسة الدين .. والتعمق فى أمور الفقه والشريعة .. وأغلب هؤلاء يأخذ الدين من أفواه غيرهم .. بدلاً من أن يأخذوه من

منابعه الأصلية في القرآن والسنة .. وكثيرًا ما يكون هذا الغير جاهلاً أو محرفًا .. ومن هنا فإن أسوأ أنواع التطرف الذى لا يبنى على دراسة وعلم .

وقد مررت بهذه التجربة بنفسي .. فعندما كنت أعمل في إحدى دول الخليج العربي كلفتني وزارة الصحة بإنشاء معرض ومتحف للتراث الطبي الإسلامي وكان ضمن أعضاء اللجنة المساعدة بعض الأطباء الشباب الملتحين المتطرفين . ولما كان إنشاء مثل هذا المعرض يعتمد في جزء كبير منه على صور لعلماء المسلمين أمثال الرازى وابن سينا وابن الهيثم وابن النفيس .. فقد صنعت لكل واحدة من هؤلاء الأطباء صورة ضخمة بالألوان وضعت في قاعات المعرض[1] .. وإذا بي أفاجأ بهذه المجموعة المتطرفة يعارضون الصور ويعتبرون تصوير من فيه الروح حرام .. وحاولت مع المسئولين بكل الطرق اقناعهم أن التصوير غير محرم .. وأن هذه الصور أن لا تعبد ولا تقدس .. وإنما هي للتاريخ العلمي .. وللأسف الشديد أن الحوار والمنطق لم يأت بنتيجة وقد فوجئت قبل افتتاح المعرض بصور هؤلاء العلماء وقد لطخوها بالحبر مما تسبب في الحرج الشديد وتعطل المعرض .

وخلاصة مافات .. أن هناك عداء شديد بين بعض الإسلاميين والفنون عامة .. وهو عداء لا يمكن تجاهله ولا إنكاره ..

وفي الفصل التالي سوف نأخذ استطلاعية على بعض الكتب والشرائط التي يقرؤها هذا الشباب المتطرف والتي تسمم أفكارهم .

---

(1) يمكن الرجوع إلى هذه الصور في كتابي " العلوم الإسلامية " مرجع سابق .

3 - تكفير الفن :

ظهرت فى مصر خلال السنوات الأخيرة موجة من الكتيبات الدينية والشرائط المسجلة المستوردة من الخارج .. والتى تحتوى على أفكار موغلة فى التطرف . وتدور موضوعات هذه الكتب جميعًا حول ثلاث قضايا مكررة ومعادة لا تخرج عنها هى :

التضييق على المرأة - رفض الحضارة الغربية - تكفير الفن .

- فالمرأة لا يحق لها الخروج من البيت سواء للعلم أو العمل أو للأسواق . فوجهها عورة حتى لو كانت فى صورة أو على شاشة التليفزيون وصوتها عورة ولو كان لقراءة القرآن .

- والسينما والتليفزيون حرام - والمسرح حرام . والكاميرا حرام .

- والفنون كلها حرام فالموسيقى من الشيطان . والغناء نوع من التخنث . والتمثيل حرام .. والرسم والتصوير كفر .

أما مصدر هذه الكتب فهو بعض الجماعات الدينية الغنية جدًا من خارج مصر وبعض دول البترول .

وتتميز هذه الكتيبات بصغر الحجم وبالطباعة الفاخرة والأغلفة المصقولة الملونة . ومع ذلك فهى تباع بسعر رمزى أو توزع بالمجان على أبواب المساجد وفى بعض التجمعات الإسلامية فى مصر والجزائر فى وقت واحد .. ويقبل على اقتنائها الشباب العاطل والفقير فى الأحياء العشوائية لرخص ثمنها .. ولأن ما فيها من فكر متطرف يتناسب مع طبيعتهم وظروفهم .. فى السخط على الحياة .. والشعور بالكبت والحرمان . ورغم أن مؤلفى هذه الكتب يشغلون مناصب دينية كبيرة

فى بلادهم .. فليس فيهم اسم واحد لعالم جليل .. أو فقيه معروف بعلمه : كلها أسماء إذا قيست بميزان العلم والمعرفة فلا وزن لها .. وقد بحثت فى جميع المكتبات فى مصر وفى الخارج . عن أى كتاب أو بحث لأى واحد منهم يخرج عن هذه القضايا الثلاث المكررة : المرأة والفن والحضارة . فلم أجد حيث يبدو أن الإسلام فى نظرهم وفى علمهم ليس فيه إلا هذه الأمور التى تشغل بالهم .

والأثر الواضح من هذه الآراء والأفكار أن أصحابها من غير المتعلمين فليس بينهم من التحق بمدرسة أو جامعة أو يحمل شهادة معترفًا بها . ولذلك فبدلاً من ذكر شهاداتهم العلمية يذكرون " بقلم الفقير إلى الله تعالى " وهذه الكتب لا تحتوى على صورة المؤلف لأنهم يعتبرون أن الكاميرا حرام والتصوير كفر .

فإذا تصفحت الكتاب من الداخل أو سمعت الشريط المسجل لا تجد فيه أى جهد علمى ولا اجتهاد فقهى ولا رأى جديد .. إنما هو مجرد ترديد لأقوال العوام وللتقاليد الموروثة والأفكار المتطرفة . وهم بلا شك يحفظون الكثير من القرآن والأحاديث ولكنهم دائمًا يستعملون الآيات فى غير موضعها ولا يميزون بين الحديث الصحيح الذى تؤخذ منه قاعدة شرعية وبين الحديث الضعيف الذى يجب تركه .. وهم لقلة علمهم لا يحاولون إقناع المسلمين بالمنطق والحجة والبرهان .. بل يصدرون إلبهم الفتاوى وكأنها أوامر عسكرية يجب أن تطاع .

وقد اخترت هنا عناوين بعض هذه الكتيبات لما فيها من طرافة وسجع وعلى سبيل المثال لا الحصر . ففى ميدان الفن الذى يعنينا هنا : نجد كتيبًا بعنوان " الإعلام .. بأن العزف والغناء حرام " وكتيبًا

آخر بعنوان " حكم الإسلام فى التصوير والأصنام " وكتيبًا بعنوان حكم الإسلام فى وسائل الإعلام " . وآخر بعنوان " تحريم السماع " وكثير غيرها ..

وهذه بعض الفقرات من هذه الكتب كما هى دون مناقشتها علميًا أو دينيًا . لأنها أفكار لا تستحق الرد أو الحوار. ففى مجال تكفير التلبفزيون يقول أحدهم :

" إن التليفزيون يهدف فى أكثر برامجه إلى هدر الشرف ويوجه نحو الفساد والإباحية ؟! والنظر إلى مشاهده يعد أكبر الحرام وأعظم الإثم " ثم يصدر فضيلته الفتوى فيقول " باعتبار أن التليفزيون فى برامجه الحالية يوجه إلى الميوعة والانحلال ويثير فى المجتمع كوامن الغريزة والشهوة فإنه يحرم على المسلم أن يشتريه ويدخله بيته حفاظًا على عقيدة الأسرة وأخلاقها وقطعًا لدابر الأضرار التى تنجم عنه وتطبيقًا لقاعدة (لا ضرر ولا ضرار) " .

وهذه فتوى فى كتاب عن الغناء والموسيقى فيقول فضيلة العبقرى :

" إن أكثر البرامج الترفيهية التى تعرض على شاشة التليفزيون مصحوبة بالمعازف والغناء الخليع والرقص والمجون .. وباعتبار أن الاستماع إلى الموسيقى والمعازف محرم بالنص .. فإن النظر إلى هذه البرامج وسماعها محرم لما لها من خطر كبير فى تقويض دعائم التربية والأخلاق " !!!

أما عن الراديو فيقول " إذا أستطاع المسلم أن يتحكم فى الراديو باختيار البرامج الدينية والمفيد النافع من الأحاديث فإنه يحل له

اقتناء الراديو وإلا يحرم عليه اقتناؤه لما يترتب عليه من مفاسد فكرية ومضار أخلاقية وأخطار نفسية واجتماعية " ..

أما عن السينما والمسرح فيقول أحدهم " إن ارتياد السينما أو المسرح بوضعهما الحالى اليوم فهو من أعظم الإثم ومن أكبر الحرام لما يعرض فيها من مفاتن الجنس وأستثارة الشهوة . والمسلم النابة الوقور يربأ بنفسه أن يرميها فى مواطن التهم وأن يضع قدمه فى متاهات الرذيلة " !

وهذا كتيب آخر عن تحريم الموسيقى والغناء يقول فيه المؤلف : " إن الإجماع على أن الغناء بآلة حرام ولو كانت الألفاظ التى يتغنى بها من كلمات الله .. أو أسمائه أو صفاته تعالى !! ؟؟ وسماع الأجنبية والتلذذ به حرام ولو كان بالتهليل والتكبير . والإجماع على أن المغنى من الرجال يطلق عليه المخنث والمغنيات مخانيث والمسلم الغيور لا يرضى لزوجته أن تسمع غناء أجنبى عنها أو تطرب لصوته " !!

أما عن تحريم الصورة والتمثال كما جاءت فى كتاب حكم الإسلام فى التصوير حيث يقول :

أولاً : التماثيل المجسمة إذا كانت لذى روح من إنسان أو حيوان حرام بالاتفاق .

ثانيًا : الصورة المصورة باليد لذى روح من إنسان أو حيوان حرام بالاتفاق .

ثالثًا : الصورة إذا كانت كاملة لخلق بحيث لا ينقصها إلا نفخ الروح حرام بالاتفاق .

ويهاجم أحد هؤلاء الكتاب فتوى لأحد الفقهاء المجتهدين فى مصر يقول فيها إن التصوير بالكاميرا حلال وإن الكاميرا لم تكن معروفة على عهد الرسول . فيرد عليه صاحبنا بعصبية زائدة : " إنى أحب أن نجزم الجزم كله أن التصوير بآلة التصوير وتمكين مسلطها لالتقاط صورته بها إثم كبير لأنه بهذا التمكين يعين على فعل محرم غليظ . وليس من الصواب فى شئ ما ذهب إليه أحد علماء عصرنا هذا (يقصد المفتى المصرى) من استباحة التصوير بتلك الآلة بحجة أن التصوير المحرم هو ما كان باليد فقط " .

كانت هذه جولة سريعة ومختصرة بين هذه الكتيبات والشرائط المستوردة والتى أصبحت تغزو الأسواق فى العالم الإسلامى كله .. وقد رأينا فى تحقيقات النيابة والقضاء فى مصر كيف تؤثر هذه الأفكار على الشباب الجاهل والفقير وتدفعهم إلى أعمال العنف والتطرف والإرهاب . فبداية ظهور هذه الحركات الإرهابية هو تعبئة هذا الشباب بالسخط على الواقع .. وعلى الحياة . وعلى الحضارة التى يسعى العالم الإسلامى إلى اللحاق بها . وكما رأينا فإن هذه الأفكار المستوردة توجه الشباب إلى الهدم لا إلى البناء وإلى الحرق والتدمير بدلاً من أن تقدم له سبيلاً إلى الإصلاح والتعمير.. فكانوا يخرجون إلى الشوارع يحطمون أجهزة التليفزيون ويحرقون محلات الفيديو والسينما وسرادقات الأفراح بحجة أن هذا كله حرام ...

(3) حاجتنا إلى الاجتهاد فى قضايا الفن

1 - الفقه الإسلامى وقضايا الفن

2 - حاجتنا إلي اجتهاد عصرى

3 - شروط نجاح الاجتهاد المعاصر

4 - أضرار توقف الاجتهاد

5 - شروط المجتهد فى عصرنا

6 - عرض للاجتهادات المعاصرة

إن الهدف الرئيسى للاجتهاد فى العصر الحديث ...

هو حل القضايا المستجدة على المجتمع الإسلامى ...

وحاجة المسلمين إلي مواجهة طوفان الحضارة الحديثة ...

فإذا كان المجتهد لا يحل هذه المشاكل ...

ويظل يردد ما قاله السلف منذ عشرة قرون ...

فمن الأفضل أن يظل باب الاجتهاد مغلقًا ...

وأن لا نجتهد ...

1 - الفقه الإسلامى وقضايا الفن :

لقد أختلفت أراء فقهاء المسلمين حول قضية الفن بالذات اختلافاً بيناً على مر العصور فالفقه متطور وغير جامد .. وهو يزد هر مع ازدهار العلم والنهضة الثقافية .. ويتوقف مع تفشى الجهل والأمية .. كذلك يتأثر الفقه بظروف المجتمع .. ففقه البداوة كما فى جزيرة العرب غير فقه الحضر كما فى مصر والشام والعراق .

والفقه فى ظروف الحروب والقلاقل غير الفقه فى وقت الاستقرار والسلام .. وبالنسبة لقضية الفن فقد مر الفقه الإسلامى بأربع مراحل :

■ المرحلة الأولى :

فى صدر الإسلام عندما كان المسلمون قريبى عهد بحياة الجاهلية وتقاليدها ومنها عبادة الأصنام والفساد الاجتماعى فكان الفقهاء الأولون يتشددون فى كراهية الفنون بأنواعها من رسم ونحت وموسيقى وغناء وأى نوع من اللهو البرئ . ولم يكن هذا التشدد يثير مشكلة أو أهمية فى ذلك المجتمع الإسلامى . بل كان يتوافق مع متطلبات العصر للأسباب الآتية :

1 - أن المسلمين الأولين كانوا فى شغل شديد عن الفن بالجهاد والفتوح ونشر الدعوة .

2 - أن الفنون بأنواعها كانت مهنة أهل البطالة والكفر والفساد .

3 - أن هذه الفنون كانت عند العرب فى حالة بدائية لا نستحق الحماس لها أو الدفاع عنها .

ومن بين هؤلاء المتشددين الأولين ابن عمر وابن عباس وغيرهم كثيرون .

وسوف نتطرق إلى آرائهم وفتاويهم فى كل فن من هذه الفنون الجمالية على حدة .

■ المرحلة الثانية :

هو الجيل الثانى من فقهاء القرن الثالث والرابع الهجرى وهو عصر ازدهار الاسلام . وازدهار الفقه والشريعة .. وبداية الاجتهاد فيما استجد على المسلمين من قضايا . ففى ذلك العصر كان المجتمع الاسلامى قد استقر فى البلاد المفتوحة وانتهى من الجهاد الحربى إلى الجهاد السلمى . وابتدأ عصر الاستقرار والنهضة وبناء الحضارة الإسلامية .. واختلط العرب بالشعوب التى أسلمت من فرس وهنود وسوريين ومصريين . وهى شعوب لها تاريخ حضارى عريق ولها فنون عريقة مزدهرة .. وقد ترجم المسلمون الكثير من الكتب فى شتى مجالات الفن مثل أبحاث فيثاغورس فى الموسيقى .. وآراء أفلاطون فى الفنون التشكيلية والأدب .. وغير ذلك كثير. أيضاً تغيرت البيئة الإسلامية بانتقالها من مجتمع البداوة والصحراء القاحلة إلى مجتمع الطبيعة الخلابة والغناء والخضرة . والأنهار والجبال والوديان .. فكان لهذا كله أثره فى تطور الفقه الإسلامى . وإلى إقبال المسلمين على هذه الفنون بدون حرج .

وقد وجد علماء المسلمين المتفتحين والمستنيرين .. وجدوا فى تعاليم الإسلام نفسها ما يساعد على تقبل هذا التطور .. وعلى الاجتهاد بما يناسب عصرهم وبيئتهم .. وبفضل هذا الاجتهاد الذى اتسم بالشجاعة فى الرأى والجرأة فى الحق والحرية فى التفكير استطاع الفقه الإسلامى أن يبنى حضارة فى البلاد المفتوحة وصلت إلى القمة فى وقت قياسى .. وما كان دلك ليحدث لولا أن الإسلام قد استوعب وامتص كل ما فى الحضارات السابقة من خير وفلاح وبنى عليه حضارته الجديدة .. ولولا هذه المرونة والتفتح فى الفكر الإسلامى فى هذه الحقبة ولو رفض الإسلام كل ما سبقه من بناء حضارى لكان عليه أن يبدأ من الصفر ولما قام هدا الصرح العظيم المسمى بالحضارة الإسلامية .

■ المرحلة الثالثة :

وتبدأ بعصر انهيار هذه الحضارة فى نهاية الدولة العباسية وظهور الحكم المملوكى ثم التركى . والتى تعتبر فترة الظلام فى تاريخ المسلمين فأغلقت المدارس وعم الجهل باختفاء العلماء .. فأغلق باب الاجتهاد وفى ذلك يقول ابن خلدون عن هذه المرحلة :

" ولما خشى من إسناد الاجتهاد إلى غير أهله ومن لا يوثق برأيه ولا بدينه - فصرحوا بالعجز والإعواز - وردوا الناس إلى تقليد الائمة الأربعة فعمل كل مقلد بمذهب من قلده وأصبح مدعى الاجتهاد فى هذا العصر مردود على عقبه مهجور تقليده " . وقد استمرت هده المرحلة من

القرن الخامس الهجرى حتى بداية القرن الخامس عشر الحالى . أى قرابة 10 قرون .

وقد كان إغلاق باب الاجتهاد بمثابة كارثة على الإسلام والمسلمين .. فقد جدت على المجتمع الإسلامى خلال هذه القرون الطويلة من النوم والغفلة أمور كثيرة ومتنوعة لم يعرفها المسلمون الأولون .. ولا الفقهاء السابقون .

فمن ذلك قضايا العلم .. وقضايا المرأة فى المجتمع العصرى . وقضية نظام الحكم فى الإسلام . وبطبيعة الحال القضية القديمة المتجددة وهى قضية الفن .

■ المرحلة الرابعة : فى عصر النهضة لحديثة :

تبدأ بتولى محمد على الحكم فى بداية القرن التاسع عشر (سنة 1805م) فقد فتح أبواب العلم وسائر الفنون وبعث البعوث إلى الخارج واستقدم العلماء والخبراء . وكان لهذه النهضة العظيمة أثرها فى ظهور جيل جديد من الفقهاء المجتهدين ابتداء من جمال الدين الأفغانى ثم تلميذه إمام المجتهدين الشيخ محمد عبده . ثم تلاهم جيل كامل من المجتهدين المعاصرين .

وسوف نأتى إلى تفصيل لكل مرحلة والرأى الفقهى السائد فيها فى كل فن من الفنون على حدة .

2 - حاجتنا إلى الاجتهاد العصرى فى قضية الفن :

لقد أراد الله تعالى لدين الإسلام أن يظل صالحاً لكل زمان ومكان وحتى تقوم الساعة .. فجعله ديناً يقبل التطور ولا يتصادم مع كل جديد ومفيد للمسلمين ولا يقف حجر عثرة أمام حاجات مجتمعهم وتطور الحضارة .. وذلك بفضل مبدأ الإجتهاد الذى شرعه الإسلام .. والاجتهاد فرض عين وواجب على أهل الذكر والراسخين فى العلم من المسلمين فى كل عصر بحيث إذا تركوه أو تقاعسوا عنه فإنهم يكونون آثمين فى حق الدين .

فهم بذلك يعرضون دينهم لأن يصبح مهجورًا كما هجر اليهود والنصارى كتابهم وأصبح العمل به قاصرًا على جدران المعابد لا يتعداها .

ولقد أقر الله للمسلمين مبدأ الاجتهاد فى شئون الحياة حتى فى وجود الرسول ﷺ ببنهم وحديث معاذ بن جبل المعروف خير مثال على ذلك .

وقد كان الخلفاء الراشدون أنفسهم يجتهدون فى كل أمر بحرية وثقة . ومن ذلك قضايا كثيرة فيها نص معروف فى القرآن أو السنة .. ومن أمثلة ذلك أن عمر أوقف الحدود فى ، عام المجاعة ، وأفتى الإمام على فى مسألة تضمين الصناع والأجراء بعكس ما كان الرسول يفعله وذلك بسبب تغير ظروف العصر .. والأمثلة على ذلك كثيرة لا مجال لتعدادها .

وقد ذكرنا أن الاجتهاد قد نوقف لمدة عشرة قرون متوالية .. كان المسلمون فيها فى غفلة ونوم عميق .. بينما الحضارة الغربية تنطلق بسرعة فائقة .. وفى ذلك يقول الدكتور حسن صعب فى كتابه " الإسلام تجاه تحديات الحياة العصرية " إن الحياة العصرية الحديثة والحضارة الحديثة تسير بقوة الصاروخ المنطلق الذى لا يمكن أن يوقفه شئ . ورجال الدين يحاولون تجميد الإسلام فى مكانه كما كان منذ أكثر من ألف عام فلا يجارى هذه الحياة . ولو ظل الأمر كذلك ولم يظهر الإسلام طاقته التجديدية ودوره الخلاق فى تجديد الحياة الإنسانية لأصبح هذا الدين تراثاً من تراثات الأمس بدلاً من أن يصبح حقيقة من حقائق اليوم والغد . فحركة الحضارة وسيرها أشبه بالطوفان الجارف الذى لا عاصم منه من جبل أو سفينة " .

■ هدف الاجتهاد :

من المهم جدًا أن يعرف كل من يتقدم للاجتهاد فى عصرنا الحاضر الهدف الذى يريد أن يصل إليه . ألا وهو التوفيق بين المسلمين وحضارة العصر. وبين ما استجد على المجتمع الإسلامى من قضايا علمية واجتماعية وفنية . ومن اختراعات حديثة غيرت حياة الإنسان تغييرًا جذريًا وبن تعاليم الدين التى نزلت من 15 قرنًا من الزمان .

والإسلام فيه من الحيوية والقدرة على التجدد حسب كل عصر وزمان وحتى قيام الساعة بما يسهل على كل مجتهد أن يبنى هذا الوفاق بين الدين والحضارة المعاصرة .

3 - شروط نجاح الاجتهاد المعاصر :

حتى ينجح هذا الاجتهاد ويأتى بثمرة يجب أن توضع فى الحسبان بعض العناصر الهامة :

■ أولاً : استبعاد الأحاديث الضعيفة والموضوعة ..

فلا نجد قضية من قضايا الإسلام والدعوة الإسلامية تعرضت لعبث الملفقين والكذابين مثل قضية الفن بكل أنواعه . وهؤلاء المزيفون على فرق كثيرة منهم الزنادقة والإسرائيليون وأعداء الإسلام ولكن أخطرهم فريق من المسلمين الذين يدعون الغيرة على الإسلام ومحاربة الفساد فى عصرهم بكل الطرق . ولو كان باختلاف الأحاديث المكذوبة وترويجها .. وللأسف أن معظم هذه الأحاديث الموضوعة كان من الصعب على علماء المسلمين اكتشافه . والكثير منها قد سجل فى أمهات كتب الحديث . والسبب فى ذلك أن القرآن الكريم لم يتعرض فى تعاليمه إلى قضايا الفنون لا بالإباحة ولا التحريم .. فلم يجد علماء الحديث فى كتاب الله ما يعينهم على استبعاد هذه النوعية من الأحاديث الموضوعة . وكل ما يمكننا اليوم هو مضاهاة النص بالعقل والمنطق ومصلحة المسلمين .

■ ثانياً : حديث الآحاد :

وهو الذى رواه فرد واحد عن الرسول ولم يسمعه أحد غيره .. فلا يجوز أن تؤخذ منه قاعدة شرعية . فليس من العقل أو المنطق أن تسير حياة المجتمع الإسلامى أو تسن القوانين على حديث رواه واحد من البشر . فمهما كان هذا الإنسان موضع ثقة وصدق فهو عرضة للخطأ

أو النسيان .. وقد ثبت أن أبا هريرة وغيره من الرواه كانوا يخطئون أو ينسون فى بعض رواياتهم . فإذا عرض الصحابة هذه الرواية على عائشة أم المؤمنين كانت تصحح أقوالهم فيقرون بخطئهم وفى البخارى باب بعنوان " فيما صححته عائشة على كبار الصحابة " وكان الخلفاء الراشدون يرفضون خبر الآحاد حتى يأتون برأى آخر يؤيد هذه الرواية . ومن الجمل المشهورة قول أبى بكر وعلى لكل واحد من الرواة · هل معك شاهد آخر أو هل لديك على هذا بينة . أما عمر فكان لا يأذن للراوى أن يقوم من مجلسه حتى يأتى بشاهد آخر يؤكد الرواية وذلك حرصاً منهم على نقاء دين الإسلام من الانحرافات والبدع أو الأخطاء . وأيضاً كان أصحاب المذاهب لا يضعون تشريعًا يحكم أمة المسلمين إلا من حديث متواتر أما خبر الواحد فكانوا يتجنبونه فى التشريع وإن قبل به بعضهم فى مبادئ الأخلاق العامة التى لا تتعارض مع نص معروف .

نقول هذا بمناسبة ما نراه من أن أكثر الأحاديث فى قضايا الفن وخاصة التى فيها تشدد من نوع أحاديث الآحاد .

■ ثالثاً : تفهم المجتهد لعلة التحريم :

فإذا كانت العلة قد زالت ولم تعد قائمة فى العصر الحاضر .. فإن حكمة التحريم تزول . ومن أوضح الأمثلة على ذلك تحريم الصورة والتمثال لأنها كانت تعبد على عهد الرسول ﷺ فحرمها لهذا السبب .. أما اليوم فلم يعد فى الأمة الإسلامية من يعبد الصورة أو التمثال فينتفى التحريم بزوال العلة .

رابعاً : الفتاوى القديمة واجتهادات العلماء السابقين :

فهذه قد جاءت لوقتها وزمانها فنأخذ منها ما يناسبنا ونترك ما لا يناسب عصرنا . والحمد لله أن فى العالم الإسلامى اليوم علماء من حملة الدكتوراه فى الفقه والشريعة لايقل الواحد منهم عن الأئمة السابقين ، ومن واجبهم الاجتهاد فى القضايا التى جدت على المجتمع الإسلامى المعاصر لهم . أما الذين يتمسكون بالكتب القديمة . والفتاوى التى فاتها العصر .. فهؤلاء لا يعتبرون مجتهدين ولا يحق لهم التصدى للاجتهاد فما هم إلا نقلة عن الماضى . وهم معوقون للحضارة ويسيئون بجمودهم إلى الإسلام .

والخلاصة إن من أكبر التهم التى توجه إلى الفكر الإسلامى المعاصر اليوم هى الجمود والرجعية وقصور هذا الفكر عن ملاحقة تطورات العصر . وإن الفقيه الذى لا يراعى هذه العناصر الأربعة ولا يقتنع بها .. فلا فائدة ترجى من دخوله ميدان الاجتهاد . مهما كان علمه أو مركزه الدينى . لأن الاجتهاد معناه العملى هو حل المشاكل القائمة والمستجدة على المسلمين . ومساعدتهم على التعايش مع عصرهم والحضارة الحديثة التى يجرفهم تيارها . فإذا كان المجتهد فى العصر الحديث وفى القرن العشرين يتمسك ويردد اجتهادات سابقة منذ عشرة قرون بحيث يصبح نسخة مكررة من الماضى .. فمن الخير أن يوفر على نفسه هذا العناء وأن لا يجتهد .

4 - أضرار توقف الاجتهاد :

بسبب توقف الاجتهاد طوال هذه الحقبة الطويلة من الزمن فقد أصبح المسلم المعاصر فى حيرة من أمره يعيش ممزقاً بين أوامر الدين كما تملى عليه وتفسر له فى المساجد والمدارس أو تنقل إليه على ألسنة الناس .. وبين مقتضيات الحياة العصرية والحضارة الحديثة فى القرن العشرين . والنتيجة الحتمية للحيرة هى :

■ أولاً : بعد الناس عن الدين :

فالمسلمون المعاصرون ينقسمون إلى ثلاث فرق متناقضة :

* فريق إنصرف عن الدين لأنه لا يجد فيما يعرض عليه من تعاليم ما يقبله عقله ومنطقه .. وهذا الفريق أغلبه من المتعلمين والمثقفين وعشاق الحضارة والفنون المعاصرة .

* الفريق الثانى من الجهلة وأنصاف المتعلمبن الذين لا يتعلمون الدين من منابعه . بل يأخذونه من أفواه أدعياء الدين الذين يعتقدون أن التطرف فضيلة وأن فى تحريم كل شئ حماية للمجتمع من الفساد .. ومن هذا الفريق جماعات التطرف والإرهاب الذين كانوا يحرقون دور السينما ونوادى الفيديو ويحطمون الراديو والتليفزيون وهؤلاء أيضاً بعيدون عن روح الدين .

* و بين هؤلاء وهؤلاء فريق ثالث : هم قلة نادرة ممن عصمهم الله وأعطاهم البصيرة والتمييز .. فهم لا يتخلون عن دينهم كالفريق الأول ويتمسكون به وخاصة فى العبادات . أما فى المعاملات فيجتهد كل منهم لنفسه اجتهاداً شخصياً .. بالرجوع الى منابع الدين ويستفتى قلبه . وهذا هو المسلم العصرى .

ثانياً : ومن أهم أضرار توقف الاجتهاد ظاهرة تفرق المسلمين واختلافهم فيما بينهم فى الرأى فى كل صغيرة وكبيرة من أمور حياتهم فقد أصبح من النادر أن تجد اثنين من المسلمين ولو كانوا من مهنة واحدة وثقافة واحدة .. يتفقان على رأى واحد فى قضية من هذه القضايا المعلقة .. وكثيراً ما ينتهى الحوار بينهم إلى القطيعة أو العداوة والاتهامات المتبادلة .. أما بين الطبقة الجاهلة وأنصاف المتعلمين فإن هذا الحوار والاختلاف قد ينتهى بالضرب واستعمال الخناجر وإراقة الدماء .. وقد ضربت المثل بما حدث فى أحد معارض الطب الإسلامى عندما سكب بعض الشباب المتطرف الحبر على صور أطباء المسلمين مثل ابن سيناء والرازى اعتقاداً منهم أن الصورة حرام .

النتيجة الثالثة لتوقف الإجهاد : هو ظهور طبقة من أدعياء الدين والمرتزقة منه من أنصاف المتعلمين ، فبسبب تقاعس أهل العلم عن الاجتهاد وبعدهم عن الساحة يتقدم الكثير من هؤلاء الجهلة بإصدار الفتاوى الجامدة والمرتجلة والمتطرفة والتى ضربنا الأمثلة ببعضها فى مجال الفنون بالذات . وليس مهما أن تكون لديه شهادة علمية . ولكن المهم أن يلبس رداء الدين . فسيعتبره العامة عالماً إسلامياً كبيراً .

5 - شروط المجتهد فى القضايا المعاصرة والمستجدة :

يجب أن نفهم جيدًا .. أن الحياة فى المجتمع الإسلامى المعاصر تختلف إختلافاً جذرياً عما كانت عليه منذ عشرة قرون مضت عندما توقف الاجتهاد فى الفقه .. والقضايا التى استجدت خلال هذه القرون الطويلة من الغفلة والنوم لا يمكن لأى فقيه عالم فى الدين أن يفتى فيها وحده .. فمنها قضايا علمية .. مثل طفل الأنابيب وزرع الأعضاء .. ومنها قضايا اقتصادية مثل نظام البنوك المعاصر .. والفوائد

وشهادات الاستثمار والتأمين .. ومنها موضوعنا الذى نتحدث فيه وهو قضايا الفن مثل الموسيقى والغناء والصورة والتمثال وفن التمثيل .

ورجل الدين العالم الفقيه . هو الذى يعرف حدود علمه وإمكانياته .. فلا يفتى فى مسألة ليس له بها علم .. بل يعمل بقوله تعالى :

" فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " .

وقد أجمع المفسرون والفقهاء على أن المقصود بأهل الذكر هم العلماء المتخصصون فى هذه العلوم والفنون الإنسانية من طب وعلم وإقتصاد وفنون : وعلى هذا نقول : إن الإجتهاد والإفتاء فى هذه القضايا المستجدة يجب أن يكون جماعياً .. وأن يكون فى شكل لجنة موسعة تشمل عدداً من العلماء المتخصصين إلى جانب رجال الدين .

وقد يقول قائل .. إنه يكفى أن يسأل المفتى أى شخص متخصص وأن يأخذ منه فكرة عن الموضوع العلمى الذى يتعرض له ثم يجتهد رأيه الدينى كما يشاء .. وهذا هو الخطأ الذى يقع فيه الكثير من أهل الفتوى فى عصرنا الحاضر .. مما يجعل الكثير من الفتاوى قاصرة وبعيدة عن حاجة المجتمع الإسلامى المعاصر ..

وتعليل ذلك أن هذه القضايا المستجدة .. وهذه العلوم الحديثة ليست من البساطة بحيث يمكن أن يستوعبها أى رجل دين فى حديث عابر أو مجرد سؤال سطحى .. إنها قضايا شديدة التطور وشديدة التعقيد بحيث لا يمكن أن يدلى برأى فيها إلا إنسان متخصص يكون شريكاً فعلياً فى الرأى والقرار .. ويجب أن تكون

القاعدة الأساسية هنا أنه إذا اختلف رأى رجل الفقه والشريعة مع رأى رجل العلم المتخصص . فإن الرأى العلمى هو الذى يؤخذ به .. وذلك لأن الرأى الأول يبنى على اجتهاد نظرى والاجتهاد قد يخطئ وقد يصيب .. أما الرأى العلمى فيبنى على الحقائق العلمية الثابتة وعلى التجارب العملية . وأحب أن أسجل هنا أن أول من اتبع هذا الأسلوب العلمى فى الإفتاء هو الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الديار المصرية وشيخ الأزهر الحالى .

فقبل أن يصدر فتواه الشهيرة فى مشروعية فوائد البنوك وشهادات الاستثمار وما يشبهها من معاملات .. فقد شكل لجنة لدراسة هذه القضية نشمل معه خمسة من كبار رجال الشريعة والفقه الإسلامى المنفتحين ومعهم خمسة من كبار أساتذة الاقتصاد ومديرى البنوك الذين يوثق بعلمهم ودينهم .. وقد ظلت هذه اللجنة تجتمع وتمحص وتدرس وتسمع كل الاراء العلمية والفقهية حتى توصلت إلى القرار الشجاع الذى أعلنه الدكتور طنطاوى عام 1991 والذى فى نظرى كان له الفضل فى إنقاذ الاقتصاد المصرى من الانهيار ويمكن لمن يريد التفاصيل فى هذه المسألة أن يرجع إلى كتاب الدكتور محمد سيد طنطاوى بعنوان (20 سؤالاً وجواباً) صفحة 78 .

فهذا الأسلوب العلمى هو الأسلوب الأمثل للفتوى الجماعية الذى ندعو إلى تطبيقه فى قضايا الفن فتكون اللجنة مشتركة من رجال الدين مع إخصائيين فى هذا المجال الهام .

* كتاب (20 سؤالا وجوابا) الدكتور محمد سيد طنطاوى : كتاب اليوم . دار أخبار اليوم طبعة مارس 1994 .

6 - الاجتهادات المعاصرة فى قضايا الفن :

فى عجالة سريعة وموجزة .. سوف نناقش هنا بعض الكتب والفتاوى التى صدرت فى الحقبة الأخيرة حول قضايا الفن .. وفى البداية أرجو أن لا يفهم من تسميتها اجتهادات معاصرة أن ذلك يعنى أنها عصرية .. فالفارق بين الكلمتين كبير.

فقد يكون الاجتهاد فى عصرنا الحديث .. ولكنه من فكر قديم من عشرات القرون .. وسوف يكون موضوعنا الرئيسى هو الفنون التشكيلية باعتبارها أكثر القضايا إثارة للجدل . وللخلاف فى الرأى .. والتى ما زال أكثر المجتهدين يتهيبون من الخوض فيها .

1- كتاب " فتاوى وتنبيهات "[1]

للشيخ عبد العزيز بن باز مفتى المملكة العربية السعودية ففيه سؤال من شاب مسلم يحتفظ بصور عائلية لوالدته وأسرته وإخوته للذكرى ، ويسأل عن رأى الدين فى ذلك . فيجيبه الشيخ " لا يجوز لأى مسلم ذكراً كان أم أنثى جمع الصور للذكرى أعنى صور ذات الأرواح من بنى أدم وغيرهم بل يجب إتلافها " (صفحة 542) .

وسؤال آخر عن حكم تعليق الصور العادية فى المنازل والمكاتب فيقول :

" حكم ذلك التحريم إذا كانت الصور من ذوات الأرواح من بنى آدم وغيرهم " .

---

(1) كتاب " فتاوى وتنبيهات ونصائح " للشيخ عبد العزيز بن باز -- دار الجيل -- بيروت .

وسؤال عن التماثيل التى توضع فى البيت للزينة فقط ولبس لعبادتها فيقول :

" لا يجوز تعليق التصاوير أو إقامة التماثيل فى البيوت وغيرها لأن ذلك وسيلة للشرك بالله ، ولأن فى ذلك مضاهاة لخلق الله وتشبها باعداء الله " (صفحة 224) .

ومن هذه الفتاوى أيضاً تحريم النظر إلى التليفزيون وخاصة إذا ظهرت فيه امرأة لأن وجه المرأة عورة ولايجوز النظر إليه (صفحة 490) . أيضاً تحريم الحفلات الموسيقية ولو كان حفل المولد النبوى أو أى عيد ميلاد فى الأسرة . ومن فتاويه تحريم السماع إلى الموسيقى ولو كانت تذاع فى الراديو أو مع برنامج ثقافى أو مصاحبة لنشرة الأخبار وينصح فضيلته " بقفل المذياع عند بدء الموسيقى حتى تنتهى لأن الموسيقى من جملة آلا ت اللهو يسر الله تركها والعاقبة من شرها " (صفحة 526) .

وأحب أن أناقش هذه الآراء بكل رفق وموضوعية .. وانطلاقاً من حرصنا على مصير الإسلام والمسلمين .. ولو كان صاحبها رجلاً عادياً من أهل البادية لما أوردنا رأيه .. ولكنه رئيس الفتوى والأحكام فى بلده وبيده مصير قطاع كبير وهام من أمة الإسلام . والسؤال الذى يفرض نفسه هنا : هل من صالح المسلمين أن يعودوا إلى الوراء فى حياتهم بضعة قرون وأن يتجاهلوا هذه الحضارة الحديثة ؟ وأن يمنعوا التليفزيون والراديو والسينما والمسرح والكاميرا والرسم والتصوير ؟ أم أن يستفيدوا من كل هذه الوسائل التعليمية والإعلامية الحديثة مع الحرص على عدم استعمالها فى الفساد والهدم ؟ . هذا هو السؤال .

ويذكرنا هذا بما فعله الملك فيصل حين طلب منه بعض رجال الدين منع الراديو والتليفزيون والسينما .. فوعدهم بالتفكير فى مطلبهم .. فلما خرجوا من مجلسه وجدوا أن سياراتهم الفاخرة قد سحبت منهم .. فعادوا يسألونه عن السبب فقال لهم ..

" إنكم تطالبون بمنع كل وسائل الحضارة الغربية الحديثة مثل الراديو والتليفزيون .. وهذه السيارات إحداها فلماذا تستثنون السيارات من المنع ؟ " فتراجعوا جميعاً عن مطلبهم ..

2 – كتاب "موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة"[1]

لشيخ الأزهر السابق الدكتور عبد الحليم محمود – نشره سنة 1975 . ففى باب موقف الإسلام من الصور والتمثال يعلن فضيلته أربعة مبادئ رئيسية للاجتهاد فى مجال الفنون فيقول :

أولاً : أن ما حرم فى عهد الرسول كالصورة والتمثال يظل تحريمه مطلقاً لايقيده زمان ولا مكان وحتى لو زالت علة التحريم .

وكان يرد بذلك على من سألوه : أن علة تحريم الأصنام فى الإسلام أنها كانت تعبد من دون الله ولكن هذه العلة قد زالت فى العصر الحاضر .. فلا يتأتى أن يصنع الانسان صنماً ويعبده فى عهد هذه الحضارة الحديثة التى عمت الشرق والغرب ، فقوله إن التحريم يظل سارياً حتى لو زالت أسبابه لا يتفق مع المنطق وهو مبدأ خطير يؤدى إلى غلق باب الاجتهاد وإلى جمود الدين وعزله عن الحياة .

---

(1) كتاب " موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة للشيخ عبد الحليم محمود طبعة 1979 دار الشعب ص 26 باب الصورة والتمثال .

ويشير الدكتور محمد عمارة فى كتابه " الإسلام وقضايا العصر "[1] إلى خطأ هذا المبدأ فيقول " إن بعض الفقهاء يقفون عند حرفية نصوص الأحاديث .. ولا يبصرون ارتباط تحريمها للضرر بعلة التحريم ودوران هذا التحريم مع هذه العلة وجودًا وعدمًا . فى حين أن آخرين منهم قد اتخذوا موقفاً مغايراً فأفتوا بجواز الصور والتماثيل طالما أن الخوف من الشرك والوثنية لم يعد قائماً . ومن بين هؤلاء المجددين الشيخ محمد عبده . وسوف نعود إلى تفصيل فتواه فى باب الفنون التشكيلية .

■ ثانياً : قوله إن حاجة المجتمع المعاصر وما يستجد من أمور على المسلمين لا يستدعى أى اجتهاد فى الإباحة أو التحريم وفى ذلك يقول :

" نحن لا ننظر فى إعلان رأينا إلى وضع قائم أو إلى طغيان الموج أو إلى حاجات فى المجتمع تقتضى التحليل .. وإنما نرجع فى رأينا إلى الوثائق وإلى أسلافنا وقد اختلفوا هم الآخرون اختلافاً كبيراً محللين أو محرمين .

وإنى اتساءل هنا : إذا كان الفقيه الذى يتقدم للفتوى والاجتهاد لا يعترف بحاجة المجتمع وما يستجد على المسلمين من قضايا بتطور العصر والزمن . ففيم يجتهد إذًا ؟ . وما فائدة الاجتهاد وماهو الهدف منه ؟ وإذا كان كل مجتهد يتقيد بأقوال السلف كما يذكر فضيلته

---

(1) كتاب الإسلام وقضايا العصر د. محمد عمارة " دار الوحدة طبعة سنة 1984 ص 58 .

(إلى آراء أسلافنا) فعلام يتعب نفسه ويتكلف عناء النقل فى حس كتب السلف موجودة بكثرة فى مطبوعات إحياء التراث ويمكن شراؤها من أى مكتبة علمًا بأن الأصل خير من النقل .

■ ثالثاً : يرفض فضيلته جميع أنواع الفنون إذا قامت على مبدأ (الفن للفن) .

فيقول " الفن للفن .. هذا هو المبدأ الذى نحاربه بأعتبارنا دعاة أخلاق وبأعتبارنا دعاة مثل أخلاقية ثابتة " .. فما معنى ذلك ؟ وما هو الضرر والخطر على الفضيلة أن يكون هناك فن لذات الفن ؟

وما هو الضرر أن يكون الفن للترفيه .. أو للاستمتاع أو لصرف النفس عنْ الهموم والمشاكل . هل فى هذا خطر على الإسلام .. يقول فضيلته " إن المبدأ الذى ندعوا إليه ويدعو إليه معنا فريق كبير من المفكرين والمصلحبن على اختلاف طبقاتهم ومهنهم إنما هو الفن للفضيلة أو الفن للأخلاق أو الفن الموجه .. فموضوع الاختلاف هو هذا السؤال القديم الحديث : هل الفن للفن أم أن الفن للفضيلة ؟

فهل القصد من ذلك أن تتحول المسارح ودور السينما والفرق الموسيقية إلى دور للوعظ وإلا تعتبر عدوة للدين ؟

أليس فى هذا نوع من المغالاة ؟

رابعاً : يردد فضيلته بعض آراء السلف والاجتهادات القديمة حول تحريم تصوير كل مافيه روح مثل الإنسان أو الحيوان وإذا رسم شئ من ذلك فيجب قطع رأسه حتى يصبح حلالاً أو توضع الصورة فى

مكـان مـهين أو توطأ بـالأقدام كمـا فـى السـجادة علـى الأرض .. وهـذه الفتاوى كان لها ما يبررها فى صدر الإسلام لقرب عهد المسلمين بعصر الوثنية وعبادة الصور أو التمثـال . أمـا الآن ، فليس لهـا مبرر فى العصر الحديث . وقد نادى بهذا الرأى عشرات المجتهدين من قديم الزمان .

وقد أصبح كل مسلم فى العصر الحديث يتساءل ما هو الضرر فى أن يحتفـظ فـى بيتـه بصـورة إنسـان عزيـز عليـه سـواء كـانت رسمـاً أو تمثـالاً أو صـورة فـوتوغرافيـة فتكـون هـذه الصـورة لزوجتـه أو لوالديـه أو لأسرته أو حتى لفرسة أو كلبه .

ومـاذا يكـون رد فعلـه إذا قيـل لـه اقطـع الـرأس واحـتفـظ بالبـاقى ؟ أو يقـال لـه ضـع الصـورة علـى الأرض وادهسـها بقدميك حتـى تصبـح حلالاً ؟

مـاذا يضير الديـن والعقيـدة فـى هذا الفـن الجميـل ؟ وهل هـذا ضد الفضيلة والأخلاق ؟ إن الإسلام دين العقل والمنطق .. الديـن الـذى نـزل لكل زمان ومكـان . فحرام أن نضع الإسلام فى هذه القيود .. وهذا الفكر المحدود .

3 - كتـاب الإسـلام والفنـون[1] للدكتـور يوسـف القرضاوى .

يقسـم الشيخ القرضاوى الفنون التشكيلية إلى ثلاثة أنواع : محرم ومكروه ومباح .. وأكثر أنواع الصور حرمة هى التى تعبد من دون اللّٰه . سواء كان رسماً أو تمثالاً .. وهذا حق ولا شك فيه ..

---

(1) الإسلام والفنون د. يوسف القرضاوى - طبعة 1996 الناشر مكتبة وهبة .

ولكنه يعتبر من المحـرم أيضاً ما قصد به المصور مضاهـاة خلـق الله . ونـرد علـى ذلـك أننـا فـى القـرن العشرين عصـر العلـم والمعرفـة .. ولا يوجـد أى إنسـان عـاقل يرسـم رسمـاً ويدعـى أنـه يضـاهى بـه خلـق الله .. وإذا كـان ذلـك جـائزاً فـى وقـت نـزول الديانـات منـذ عشـرات القرون فإنه لا وجود له فى عصر يميز الإنسان فيه بين الأصل والنقل .. وبين الحى والميت .

ثم يقول : ودون ذلك فى التحريم الصور المجسمة لما لا يعبد (أى التماثيل) للملوك والقـادة والزعمـاء ، بقصد تخليدهم يستوى فى ذلك أن يكون التمثال كاملاً أو نصفياً .

وأتساءل هنا : ما يضر عقيدة المسلم أو دينه أن يقام تمثال فى أى ميـدان لرجـل وطنـى مخلـص خـدم أمتـه مثـل طلعـت حـرب أو سـعد زغلول ؟ .

هل يمنـع الإسلام تكريـم المخلصين والمصلحين والأبطـال فـى الأمـة الإسـلامية ؟ .. فمثـل هـذه التمـاثيل تعطـى صـورة جماليـة للميـدان أو الشارع وهى تذكر المواطن بجهاد هؤلاء وأعمالهم حتـى يقتدى الجيـل الجديـد بـهم .. يقـول الشـيخ القرضـاوى " إن نـهج الإسـلام فـى تخليـد العظمـاء والأبطـال يخـالف نـهج الغربيين .. فهو يخلدهـم بـالذكر الحسن والسيرة الطيبة يتناقلها الخلف عن السلف ويتمثلونها ويأنسون بها " .

وهـذا منطـق طبيعـى .. ولكننـا نقـول : هـل يتعـارض هـذا الذكـر الحسن مع إقامة تمثـال لهذا المصلح وبنـاء مدرسـة أو مستشـفى باسمـه ويوضـع فيـها تمثـال أو صورة لـه .. إننـى اتفـق مع القرضـاوى فـى تحريـم

" صور الظلمة والفسقة والملحدين ففى تعظيمهم هدم للإسلام " ولكن هذا لا يعنى حرمان المصلحين من عمل الصور والتماثيل تكريماً لهم.

أيضاً يرى الشيخ " تحريم الصور المجسمة لكل ذى روح مما لا يقدس ولا يعظم " . واعتقد أنه يقصد بذلك الصور والتماثيل الرمزية التى تجسد فكرة معينة مثل تمثال نهضة مصر .. أو تمثال الجندى المجهول .. ويقول إن هذا متفق على حرمته . وهذا كلام نختلف معه لأن هذه التماثيل علاوة على ما فيها من جمال .. وخيال .. وفكر .. فإن لها مكانة كبيرة ودلالة إنسانية وحضارية .

أيضاً يعتبر سيادته الصور التى تعلق فى البيوت والجدران من باب مظاهر الترف والتنعم أمراً مكروهاً .. والرد على ذلك أن الإسلام لا يكره الجمال ولا يحرمه وأى ضير فى أن يزين الإنسان بيته طالما كانت الصورة مباحة .

هل من المفروض أن يكون بيت المسلم قبيحاً .. وخالياً من مسائل الجماليات ؟؟؟ والصورة اليوم لم تعد ترفاً .. ولا تحتاج إلى ثروة لاقتنائها .. فهناك من الصور الجميلة والرائعة ما يبدأ من الجنيه الواحد إلى الألف . كل على حسب سعته وثروته .

والجديد فى هذا الكتاب هو الفتوى بأن الصور الفوتوغرافية مباحة ما لم يكن فيها فساد . وهو لم يسلم بهذا الرأى من هجوم جماعات التطرف والإرهاب ومشايخ البدو والبترول الذين يعتبرون أن الكاميرا حرام وكفر . وقد قرأت كتاباً كاملاً طبع فى جدة فى مهاجمة وتكفير من يحل التصوير الفوتوغرافى .

4 - كتاب " بيان للناس " من الأزهر الشريف [1]

فتوى فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق صدرت من دار الإفتاء المصرية فى 11 مايو سنة 1980 .

■ (أ) حكم التصوير الضوئى والرسم :

جاء فيها :

" الذى تدل عليه الأحاديث النبوية الشريفة والتى رواها البخارى وغيره من أصحاب السنن أن التصوير الضوئى للإنسان والحيوان المعروف الآن . وكذلك الرسم لابأس به متى كان لأغراض علمية مفيدة للإنسان " . ثم تشترط الفتوى أن تخلو هذه الصور من مظنة التعظيم والتكريم والعبادة ومن دوافع تحريك غريزة الجنس .

فهذه أول وثيقة من نوعها فى العصر الحديث ومنذ فتوى الشيخ محمد عبده تقر مشروعية رسم كل مافيه روح من حيوان وإنسان سواء كان هذا بالكاميرا أم رسماً باليد .

■ (ب) حكم صناعة التماثيل أو النحت والحفر المكون لتمثال كامل لإنسان أو حيوان :

تقول الفتوى : " إن هذه التماثيل كانت محرمة وذلك سداً لذريعة عبادتها واتخاذها وسيلة للتقرب إلى الله " . ثم تتحدث الفتوى عن الآثار القديمة من صور وتماثيل للفراعنة وما ينبغى أن نتخذه حيالها فتقول :

---

(1) بيان للناس . الأزهر الشريف ، الجزء 2 ، صفحة 166، 1989

" إن هذه التماثيل والصور تسجيل لتاريخ هؤلاء الذين صنعوها . ودراسة تاريخهم تدفع إلى المزيد من التقدم العلمى والحضارى النافع . لهذا كان حتماً الحفاظ على الآثار ودراستها والأخذ منها ما يوافق قواعد الإسلام .

ثم تقول فى باب .

■ (جـ) حكم المتاحف التى تضم التماثيل :

إذا كان التحفظ على الآثار هو الوسيلة الوحيدة لدراستها كانت إقامة المتاحف جائزة إن لم تكن واجبة لأنها ضرورة وللضرورة حكمها كما جاء فى نصوص الشريعة . وتخريجاً على ذلك كان الاحتفاظ بالآثار سواء كانت تماثيل أو رسوماً أو نقوشاً فى متحف للدراسات التاريخية ضرورة من الضرورات الدراسية والتعليمية لا يحرمها الإسلام لأنها لا تنافيه . بل إنها تخدم غرضاً علمياً وعقائدياً حث عليه القرآن فكان ذلك جائزاً إن لم يصل إلى مرتبة الواجب .

ورغم أننا نتحفظ على رأى فضيلته فى موضوع فن النحت .. إلا أن هذه الفتوى تحقق تقدماً كبيراً فى الفقه الإسلامى . فهى فتوى تدل على الشجاعة الأدبية وسعة الأفق .

وختاماً نقول : ... إن فتوى إمام المجتهدين الشيخ محمد عبده والتى صدرت سنة 1903 وأباح فيها كل أنواع الفنون التشكيلية المعاصرة كان فيها سابقاً لعصره وزمانه . وما زال الكثيرون من بعده يلهثون وراءه .. فهل نصل فى الاجتهاد إلى حل حاسم صوناً لعقل الإنسان المسلم ؟

(4) الفنون ودورها فى إحياء اللغة العربية

من أعظم الأهداف التى يمكن أن نحققها عن طريق الفن هو إحياء اللغة العربية الفصحى ، وأهم الفنون المرتبطة باللغة هى الغناء بجميع أنواعه .. والتمثيلبات ..

إن العربية الفصحى هى لغة القرآن والحديث والفقه والشريعة وبدون إتقانها لا يمكن لأى شخص أن يدعى الفهم الصحيح للدين .. وكثيراً جداً ما نلتقى بأناس يفهمون تعاليم الإسلام فهماً خاطئاً . أو مضللاً بسبب عدم تمكنهم من اللغة .

وإتقان اللغة يجعل الإنسان المسلم يستمتع بقراءة القرآن ويحب سماعه ويدفعه إلى التفقه فى الدين .

أيضاً من فوائد اللغة الفصحى أنها تقرب بين الشعوب الإسلامية والعربية بينما اللهجات المحلية تفرقهم وتباعد بينهم . وقد سافرت إلى الكثير من البلاد العربية شرقاً وغرباً . وكنت فى كل بلد منها أجد صعوبة فى تفهم اللهجة المحلية . وأجد مشكلة فى التفاهم أو حتى الاستدلال على الشئ الذى أريده . وفى بلد مثل تونس والجزائر قد تضطر إلى استعمال اللغة الفرنسية للتفاهم بدلاً من العربية . أما إذا التقيت برجل مثقف . وتحدثت بالعربية الفصحى . فلن تحس بأنك غريب عنه وقد أنتشرت فى هدا العصر موجة من التنكر للعربية

الفصحى . تدعى أن اللغة العربية لا تصلح لكى تكون لغة الغناء الشعبى أو لغة الحوار فى التمثيليات العادية التى تعالج القضايا اليومبة فى حياة الناس . وأن الفصحى يجب أن تقتصر على الأعمال الإسلامية وحدها . ويستدل هؤلاء على رأيهم بأن التمثيليات التى قامت على العربية الفصحى تكون غالباً مملة . وتعتمد على الخطب الطويلة والألفاظ الرنانة الغير مفهومة .

والرد على ذلك بأن القصور هنا ليس فى اللغة نفسها . ولكن القصور فى عدم تمكن الكاتب والممثل منها .

أما القول بأن اللغة العربية قاصرة عن التعبير ولاتصلح للغناء أو الحوار إلا فى القضايا الدينية والفقهية فكلام أثبتت الأحداث والكثير من الأعمال الفنية المتقنة كذبه " .

وأول من أثبت كذب هذا الادعاء سيدة الغناء العربى أم كلثوم والسيدة فيروز.. حقيقة أن أم كلثوم لم تذهب إلى المدارس .. والجامعات .. ولكنها بدأت حياتها فى الكتّاب وحفظت القرآن الكريم .. وكان هذا خير مدرسة لتعليم اللغة وإتقانها .. ومن هنا أخرجت لنا أغانى باللغة العربية الفصحى والشعر الراقى يتضاءل أمامها أشهر الأغانى باللغة العامية لغيرها من المغنيات .. وقد تناولت أغانى أم كلثوم وأغانى فيروز باللغة الفصحى كل المعانى والموضوعات الإنسانية . ففى الأغانى الدينية تجد " ولد الهدى فالكائنات ضياء " وفى الأغانى العاطفية " أراك عصى الدمع شيمتك الصبر " وفى الأغانى الوطنية غنت " يا شباب النيل يا عماد الجيل " . أما فيروز فقد

نميزت بالأغانى التاريخية والوطنية والعاطفية ووصف الطبيعة وأهم من هذا كله الأوبريت وهو أرقى فنون الغناء .

نفس الشئ حدث فى فن التمثيل .. فقد أثبت الكثير من الأفلام والتمثيليات التليفزيونية باللغة الفصحى نجاحاً كبيراً .. منها فيلم الرسالة وعمر المختار وسلمان الفارسى وسراقة بن مالك . أما المسلسلات فهناك عمر بن عبد العزيز، ومسلسل القضاء فى الإسلام وقد ترجمت فى مصر بعض الأوبرات العالمية إلى العربية الفصحى ونجحت ومنها أوبرا عايدة ولاترافياتا .

بقيت الآن الأفلام والمسلسلات التى تتناول قضايا اجتماعية أو سياسية أو عاطفية فلم تنجح تمثيلية واحدة باللغة العربية . والحجة فى ذلك أن هذا النوع من التمثيليات يجب أن يكون باللغة التى يتخاطب بها الناس حتى يبدو واقعياً ..

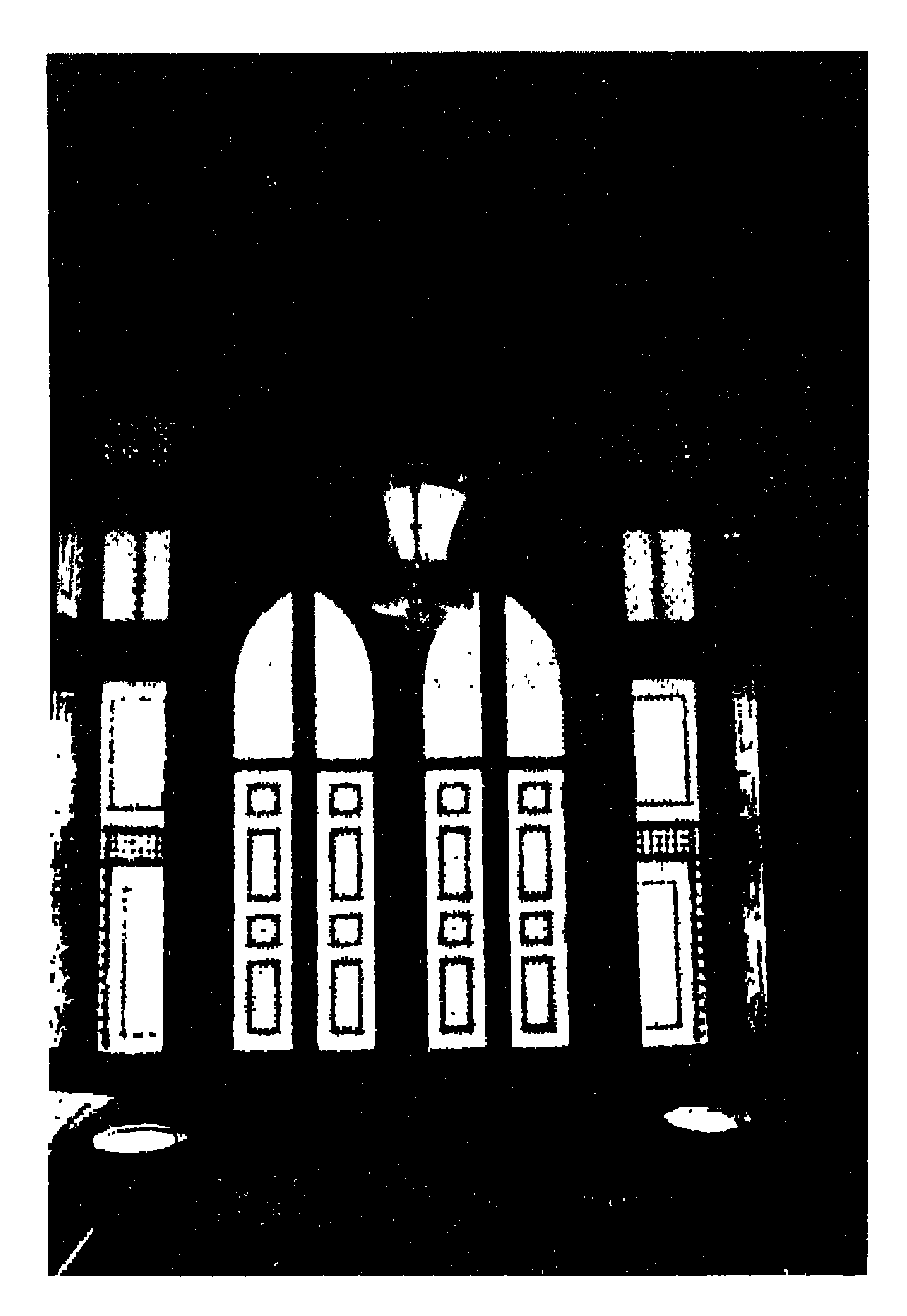
وهناك رأى يقول إن اللهجة المصرية العامية أصبحت هى اللغة المقبولة والمسموعة فى التمثيل فى العالم العربى كله . ويتفهمها الجميع ويقبلون عليها . ونقول رداً على ذلك أنه ليس ضرورياً فى الموضوعات المعاصرة أن تعرض باللغة العربية الفصحى أو الغير دارجة .. فهناك ما يسمى باللغة الوسطى بين الفصحى والعامية . وهى أصلاً لغة عربية ولكنها مبسطة وخالية من الألفاظ الصعبة وغير الدارجة .. وإذا بدأنا إنتاجاً فنياً بها فسوف يتعود عليه الناس .. ويصبح مقبولاً ومؤثراً أكثر من العامية .

وخلاصة لهذا كله نقول .

أولاً : إن اللغة العربية الفصحى هامة جداً للحفاظ على الدين والوحدة والتراث ولابد من إحيائها .

ثانياً : إن هذه اللغة قادرة على التداول فى كل مجالات الفنون بدون استثناء .

ثالثاً : إن الفن هو أقدر وأهم وسيلة لنشر العربية الفصحى وإحيائها وحبذا لو شجعت الدولة الأعمال التى باللغة العربية وجعلت لها سعراً فى التليفزيون أعلى من العامية . وسوف تكون لهذه البداية نتائج كبيرة على مستقبل اللغة العربية .. ومن يدرى .. ربما يأتى اليوم الذى يتحول الناس فيه من العامية إلى العربية بفضل الفن .



من روائع الزخارف الإسلامية



(5) تأثير الإسلام على الفن ..
وظهور الفن الإسلامى

لكل أمة من الأمم فن خاص بها .. تتميز به عن غيرها من الشعوب والحضارات .. وهذا التنوع وهذه الخصوصية مما يثرى الحضارة الإنسانية ويزيد رقعة الفن العالمى اتساعاً وعمقاً .

وكما ذكرنا فى باب تاريخ الفن فقد كان الدين العنصر الأول والموجه الرئيسى لجميع الفنون المعروفة .

تستوى فى ذلك جميع أنواع الفنون كالموسيقى والغناء والرسم والنحت والرقص والتمثيل والشعر والأدب والمعمار.

فأقدم الحضارات المعروفة وأعرقها وهى الحضارة الفرعونية قامت جميع فنونها على دينهم ومعتقداتهم الدينية .

ثم جاءت الحضارة الإغريقية والفارسية .

ثم الحضارة الرومانية . ثم ظهرت اليهودية . ثم المسيحية .. وأخيرًا ظهر الإسلام ..

وأى إنسان مثقف إذا نظر إلى أى أثر فنى سواء كان رسماً أو تمثالاً أو تحفة فنية أو عمارة .. فسوف يعرف من أول نظرة إلى أى دين ينتمى هذا العمل وأى حضارة وأى أمة .

ومن هنا نقول إن الإسلام كدين وتعاليم وتقاليد كان له الفضل فى خلق ما يسمى اليوم بالفن الإسلامى .. ومن مميزات هذا الفن :

- الاهتمام بالعناصر النباتية والتوريقات فى الرسم والنحت مع العناية بالألوان الزاهية واللامعة التى يستعمل فيها الذهب والفضة هذا مع قلة الاهتمام بتجسيم الأشكال وخاصة تماثيل الإنسان والحيوان . وإذا صنع التمثال للزينة كما فى قصور الشام والأندلس فلم يهتم بمطابقتها للطبيعة بل كان يتعمد أن تكون مخالفة لها .

وقد رسم الفنان المسلم كل شئ فيه الروح من إنسان وحيوان وأيضاً الطبيعة ولكن بطريقته الخاصة التى تبعد عن تقليد الواقع .. بل يصور انطباعاته وشعوره نحو هذا الشئ .. فإذا رسم الأسد جعل كفه أكبر من رأسه للتعبير عن أن قوة الأسد فى كفه . . وحتى فى رسم الطبيعة كالأزهار والأشجار كان يستعمل فيها الدوائر والخطوط والمثلثات الهندسية أكثر من رسم المنظور وذلك إشارة إلى عبقرية العرب فى الهندسة .

وكان لهذا الاتجاه الفضل فيما يعرف اليوم بالسريالية أو السريالزم Sur- Realism أو ما فوق الطبيعة .. فالعرب هم رواد هذا

الفـن الحديـث ومبدعـوه .. وقـد سـاد هـذا الأسـلوب كـل الفنـون الإسـلامية .. مثـل الزخـرف المعمـارى والحفـر فـى الخشـب وتطعيمـه بالعاج أو الصدف ، وجميع أنواع الأوانى النحاسية والفخارية والحلى الذهبيـة ، والمخطوطـات النـادرة التـى تحفـل بالمنمنمـات الفنيـة أو التاريخيـة ، وأنـواع النسـيج والسـجاد الإسـلامى وحتـى زخرفـة المصـاحف بـالورود والتوريقـات . وفـى الحفـر علـى الحجـر والرخـام والجص والعـاج والعظم وصناعـة الزجـاج الملون والبللـور فـى النوافـذ والمشكاة . وحتـى آلات الجراحـة كـانت حافلـة بالرسـوم الإسـلامية البارزة . كل هذا مع إضافة الزخرف بالخط العربى بأنواعه المتعددة فى آيات وآحاديث وحكم وأمثال .


الباب الثانى

الفنون التشكيلية بين العلم والدين

1 – تعريف علمى .

2 – الفن التشكيلى ودوره فى الحضارة المعاصرة والعلم الحديث .

3 – الإسلام والفنون التشكيلية

4 – فقهاء المسلمين ورأيهم فى الفنون التشكيلية .

1 - تعريف علمى :

جاء فى لسان العرب لابن منظور أن علماء المسلمن يقسمون الصور إلى قسمين :

أ - الصور التى لها ظل وهى المصنوعة من جبس أو نحاس أو حجر أو غير ذلك وهذه تسمى تماثيل .

ب - الصور التى ليس لها ظل وهى المرسومة على الورق أو المنقوشة على الجدار أو الصورة على البساط أو الوسادة ونحوها وتسمى الصورة .

فالتمثال ما كان له ظل والصورة ما لم يكن لها ظل . فكل تمثال صورة وليس كل صورة تمثال .

وبالتعبير العصرى يطلق على التماثيل المجسمات والرسم هو المسطحات ، يستوى فى ذلك الرسم باليد أو الرسم بالكاميرا .

وتندرج هذه الفنون تحت اسم الفن التشكيلى .

· إن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرّم وسيلة من أفضل وسائل العلم بعد تحقيق أنه لا خطر فيه على الدين . لا من جهة العقيدة ولا من . جهة العمل وليس هناك ما يمنع المسلمين من الجمع بين عقيدة التوحيد ورسم صورة الإنسان والحيوان لتحقيق المعانى العلمية وتمثيل الصور الذهنية ·

الإمام الشيخ محمد عبده

الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده

جـ 2 ص 205

2 – الفن التشكيلى ودوره فى الحضاره المعاصرة والعلم الحديث .

ذكرنا فى الباب الأول أن جميع الفنون المعروفة لنا قد نشأت بدافع دينى وبهدف العبادة . ومن أهم الفنون التى ارتبطت بالأديان على مر العصور الصورة والتمثال .

فقد كان الإنسان الأول يصنع الصور والتماثيل للآلهة من خياله وإبداعه ثم يسجد لها ويتعبدها من دون الله .

ولم يبدأ هذا الفن بالانفصال عن الدين إلا مع بداية عصر النهضة فى أوروبا . حيث أصبح التصوير علماً مستقلاً له أصوله وقواعده ..

واليوم أصبحت الفنون التشكيلية تمثل ركناً هاماً وحيوياً فى الحضارة المعاصرة .. فلم تعد قاصرة على الفن لذات الفن .. أو الفن للمتعة والتسلية أو للجمال أو الرفاهية .. بل أصبحت جزءاً هاماً من العلوم الإنسانية كالطب والعلاج .. وعلم البيطرة وعلوم التاريخ .. والأجناس وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلوم الفضاء .. ومن أهم فوائدها فى الأمن واكتشاف الجريمة .. واكتشاف الهوية ..

وفى عصرنا الحاضر لا يخلو أى كتاب يدرس فى الكليات العلمية من الرسوم العلمية والتوضيحية لتبسيط العلم وشرحه للطلاب . ومن المدهش حقاً أن يكون العرب والمسلمون أول من أبتدع فن الرسوم التوضيحية فى التاريخ .. وأدخلوها فى مخطوطاتهم العلمية : فيما يسمى بالمنمنمات . فهذا الفن لم يكن معروفاً عند الإغريق . وقد نقلته أوروبا عن العرب فى حضارتها المعاصرة .. ففى كتب الطب الإسلامى

وفى المخطوطات القديمة نجد الكثير من الرسوم التى تبين لطالب العلم فهم القضية التى تشرح له ، وهذه الرسوم تشمل كل ذى روح من إنسان أو حيوان أو طيور : فهناك رسوم تظهر الطبيب وا لمريض وغرفة الفحص الطبى فى تلك العصور وطريقة الكشف على ا لمرضى .. أو ما يسمى بالفحص السريرى الذى ابتدعه الأطباء ا لمسلمون وعلموا أوروبا فيه أحدث الطرق لاكتشاف المرض ومعرفة أحوال ا لمريض . أيضاً هناك صور لعلم جبر العظام والخطوات التى يتبعها الطبيب لعلاج الكسور والخلع وغيرها . وصور أخرى لعلم الكى وأخرى لجراحة العيون وجراحة الدوالى بل وأيضاً صور لخطوات الولادة العسرة والجراحة القيصرية .

وبعض هذه ا لمخطوطات يعود إلى القرن الثالث والرابع الهجرى وهى عصور إزدهار العلوم الإسلامية .. مما يدل على أن ا لمسلمين بعد أن بعدوا عن عصر الجاهلية الذى كانت الصورة فبه للعبادة والشرك بالله .. فقد انطلقوا يستفيدون من فنون النحت والتصوير لتطوير حضارتهم ونهضتهم العلمية .

وفى العصر الحاضر دخل فن الرسم فى مجالات متطورة جداً لم تكن تخطر على بال البشر حتى عهد قريب . من ذلك علم رسم الوجوه واكتشافها .. وهو ما يطلق عليه Physionomy وهذا العلم حيوى جداً فى التعرف على المجرمين أو الأشخاص ا لمفقودين إذا لم تكن هناك صور لهم . ففى مراكز البحث الجنائى العالمية . يوجد رسامون متخصصون يستطيعون أن يرسموا وجه أى مجرم غيابياً ودون أن يكونوا قد رأوه . وذلك بالاستعانة بوصف غيرهم من شهود الحادث . ومن الإعجاز العلمى أن نجد صورة المجرم ا لمطلوب للعدالة

وقد تم رسمها بدقة بالغة وبعد ساعات قليلة أو ربما ساعة واحدة من وقوع الجريمة وذلك من وصف الشهود .. وفن الرسم هام جداً في الجراحة التجميلية ، إذ يشترط في الجراح التجميلي المتخصص أن يكون ملماً بعلم رسم الوجوه .. فإذا حدث في وجه الإنسان أي تشويه نتيجة حريق أو حادث فإن الجراح يبدأ بعمل رسومات لوجه جديد يتناسب مع ما بقي سليماً من الوجه الأصلي . ثم يضع على الرسم لمساته الفنية في الجراحة التجميلية خطوة بعد خطوة .. وبعض هذه العمليات قد يستغرق عدة شهور من الجراحات المتوالية .. وهو في كل خطوة يرسم الملامح الجديدة وما سوف يطرأ عليها بعد الجراحة والتعديل .. وكثيراً ما يلجأ بعض الأثرياء .. أو الفنانين أو الهاربين من الأعداء إلى تغيير ملامحهم أو إصلاح عيوب الوجه ، وفي هذه الأحوال يبدأ الجراح التجميلي بعمل رسومات لما يمكنه عمله لهم وبعرضها عليهم قبل أن يبدأ عمله .

وبعد عصر الكمبيوتر دخل الرسم مرحلة جديدة من الإعجاز العلمي . فقد فقدت إحدى الأسر في أمريكا طفلاً صغيراً في الخامسة من عمره ثم مرت خمسة عشر عاماً واستطاع أحد العلماء أن يرسم بالكمبيوتر وجهاً لهذا الإنسان من الصورة الأصلية في الطفولة . وذلك بعد بلوغه العشرين من عمره . وكانت الصورة من الدقة العلمية بحيث عندما نشرت في الصحافة عاد الشاب إلى أهله وتعرفوا عليه .

فهذه أمثلة قليلة من كثير غيرها .. تبين لنا أهمية فن الرسم وخاصة رسم كل ذي روح في الحياة العصرية . بحيث يصبح من غير المقبول أو المنطق القول بتحريم الرسم خوفاً من أن يعبد .

أما فن التصوير بالكاميرا : فالصور أصبحت اليوم فى كل مجال فى حياتنا فى القرن العشرين . ابتداء من العملة الورقية والفضية إلى طوابع البريد إلى بطاقات تحقيق الشخصية وجواز السفر وكل المعاملات الاجتماعية كحفلات الزواج وأعياد الميلاد والمناسبات العائلية .

■ فن النحت أو الصور المجسمة :

لقد دخلت صناعة التماثيل فى كل مجال فى حياة الإنسان المعاصر وأصبح لها أهداف حيوية لخدمة البشرية وتطور الحياة .

فهناك التماثيل التى تصنع من البلاستيك لتعليم طالب الطب علم التشريح وجسم الإنسان . وهناك المانيكان التى تعرض عليها الملابس وأنواع الأزياء الحديثة والمبتكرة . وهناك العرائس التى يلعب بها الأطفال ويتعلمون منذ الصغر العطف والحب والاهتمام .

وهناك نماذج لجميع الحيوانات لتعليم الأطفال عالم الحيوان . وهناك الدمى التى تقوم بتمثيلية أو مسرحية كما فى مسرح العرائس المتحركة وهناك التماثيل التى تنصب فى الميادين تخليداً لذكرى العلماء والعباقرة والقادة الوطنيين والمصلحين الاجتماعيين لكى يكونوا قدوة للشباب والأجيال . وهناك التماثيل الشمعية فى متحف الشمع التى تشرح للشعب وطلبة العلم أهم الشخصيات التاريخية سواء كانوا من الأخيار أو من المجرمين والسفاحين ليكونوا موعظة لغيرهم . وهناك التماثيل التى تبين الحيوانات التى انقرضت كالديناصور والعنقاء والسلاحف المهولة وذلك فى متاحف التاريخ .

وقد تحدثنا فى فن الرسم عن دوره فى علم وجه الإنسان والواقع أن الصورة المجسمة لها فى هذا المجال نفع أكبر من الصورة لمسطحة وخاصة فى اكتشاف الشخصيات التاريخية الهامة . فعندما تكتشف جمجمة شخص ما بعد تحلل الجسد فإن العلماء يأخذونها ويبدأون بوضع قطع من الصلصال نملأ الفراغات وتعمل البشرة والعيون والشعر على هذا الهيكل العظمى مستعينين فى ذلك بمقاييس الجمجمة .. وفى النهاية يطهر لهم الوجه الحقيقى الأصلى لهذا الإنسان . ويقول العلماء المتخصصون إنهم يستطيعون التوصل إلى أكثر من 95٪ من الملامح الأصلية عن طريق هذا الهيكل العظمى .

وهذا العلم له فوائد مهمة جداً فى العصر الحديث .. منها اكتشاف شخص القتيل ونوع الجريمة التى حدثت له . وتوجد اليوم فى جميع العواصم الكبرى المتحضرة مراكز متخصصة فى البحث عن الجرائم Homoside Section ويوجد بها جهاز كامل متخصص فى هذا العمل .

وقد تطور هذا العلم وتنوعت فوائده وأصبح فى هيئة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة جهاز خاص للبحث عن وجوه الشخصيات التاريخية التى خدمت الإنسانية . فتذهب البعوث العلمية إلى مقابر هؤلاء العظماء وتصور الجمجمة من كل الزوايا ثم تصنع جمجمة مماثلة ثم تظهر عليها ملامح الوجه الأصلى . وقد خرجوا لنا بصورة دقيقة جداً لعدد من العلماء المسلمين الذين كان لهم فضل فى تطور مهنة الطب . منهم ابن سيناء والرازى وابن الهيثم وابن النفيس حيث تعرض لهم تماثيل دقيقة موجودة الآن فى متاحف الطب العالمية . وقد قمت بتصويرها وعرضها فى كتابى " العلوم الإسلامية "[1] .

---

(1) موسوعة " العلوم الإسلامية " مرجع سابق .

ومن أهم فوائد هذا العلم التوصل إلى معرفة الأجناس القديمة للإنسان ومعرفة شكل الإنسان الأول حيث اكتشفت فى الحفريات جماجم قديمة تعود إلى 30000 سنة قبل الميلاد ومعرفة شكل الحيوانات التى انقرضت .

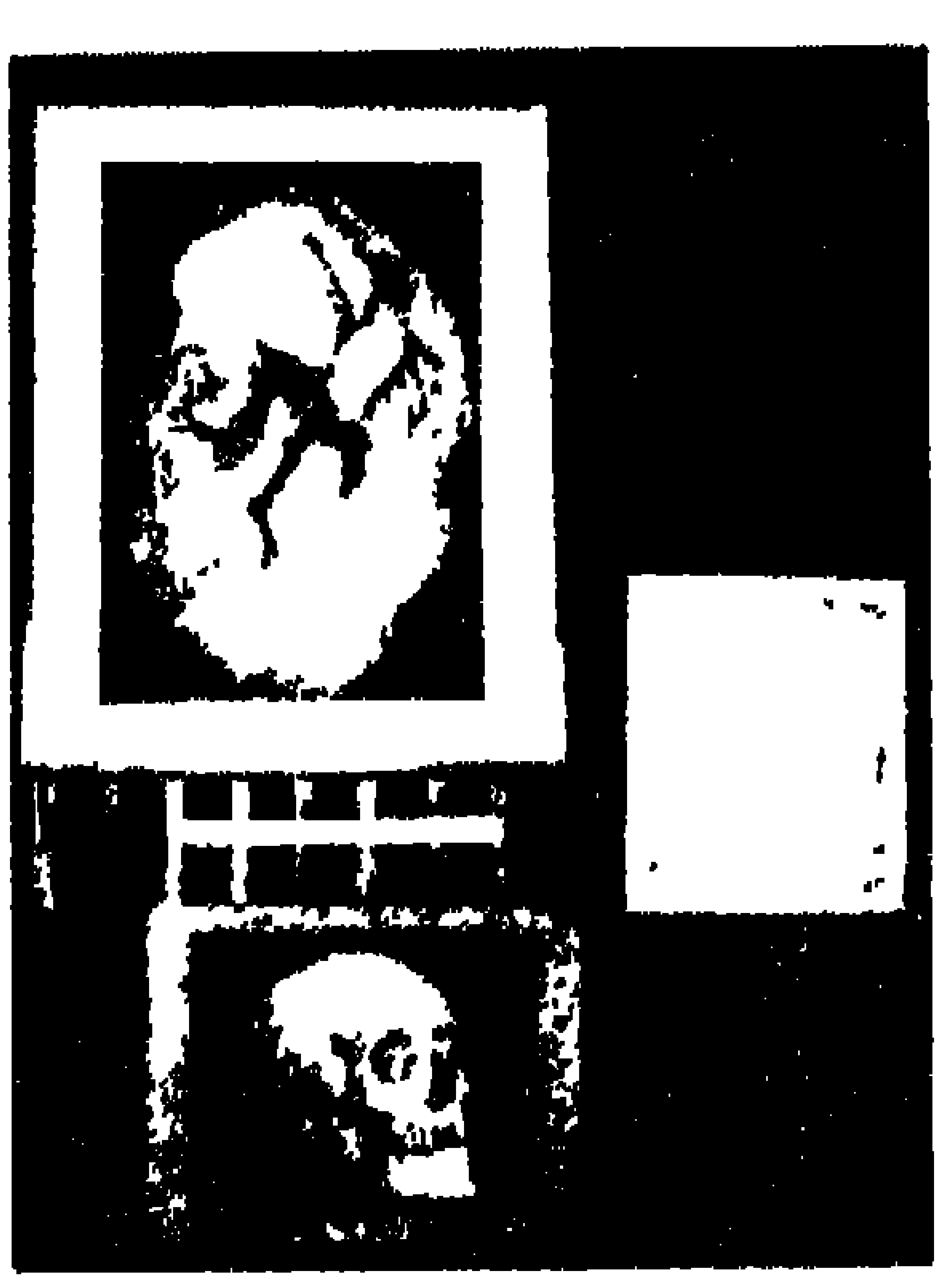
وقد دخلت صناعة التماثيل أيضاً فى جميع تجارب الأمن والسلامة فى صناعة السيارات والقاطرات . فيصنعون تماثيل من مواد بلاستيكية خاصة لها نفس المتانة وقوة الاحتمال كجسم الإنسان .. ويضعونها فى السيارة التى تنطلق بسرعة معينة ثم تصطدم بأحد الحواجز فيعرفون الأماكن فى جسم الإنسان التى تتعرض أكثر من غيرها للكسر.. أو التلف أثناء الحوادث . وبناء على ذلك يغيرون فى تصميم السيارة التى صنعوها لكى يعطوا السائق أكبر قدر من الأمان والحماية .

وقد صمموا حزام الأمان فى السيارة بناء على تجارب على هذه التماثيل المجسمة .

كانت هذه لمحة عن تطور فن النحت والتمثال فى عصرنا الحاضر وفوائده .. بحيث لم يعد هناك غنى لأى أمة متحضرة عنه .

وإذا كان هناك من ينكر فضل الرسم والتمثال فى النواحى الجمالية والترفيهية وأهمية اقتنائها فى البيوت والشوارع والمكاتب للزينة فلن يستطيع أن ينكر فوائدها العلمية والحضارية وعلى كل من يريد الفتوى فى أن الصورة والتمثال حرام أن يعرف هذه الفوائد فى العصر الحديث حتى لايحرم الإسلام والمسلمين من هذه الوسيلة الحضارية الهامة .





تمثال لعالم البصريات ابن الهيثم فى المتاحف العلمية فى أوروبا
والمراحل التى سارت حتى معرفة الشكل من الجمجمة



رسمة فى كتـاب عن العسكرية الإسلامية لتعليم فنون المبارزة

3 - الإسلام والفنون التشكيلية الرسم والنحت "

لقد جاء ذكر التماثيل فى القرآن فى موضعين حسب الغرض من استعمالها .. الموضع الأول هو النهى والاستنكار والتدمير، إذا كانت صناعة التمثال لعبادته من دون الله ، ومن ذلك قول سيدنا إبراهيم لقومه فى سورة الأنبياء 51 - 58 :

" ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين " .

ولم يكتف سيدنا إبراهيم بمجرد النقد والاستنكار باللسان بل قال :

" وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيرًا لهم لعلهم إليه يرجعون .

والجذاذ هو القطع الصغيرة . أى حطمهم ودمّرهم .

أما الموضع الثانى فهو الاستحسان والرضى إذا كان الهدف هو الزينة والجمال فى غير كفر ولا شرك بالله . ومن ذلك ما جاء فى سورة سبأ عن تسخير الجن لسيدنا سليمان يعملون له التماثيل الجميلة للزينة فيقول تعالى :

﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور ﴾ [سبأ 12] .

فصناعة التماثيل وفن النحت هنا يعتبر من أنعم الله على الإنسان طالما أنتفت عنه نية الشرك بالله . وطالما كان لإظهار موهبة الفن والنحت التى وهبها الله للبشر وللجان الذين يعملون بأمر سليمان . واقتناء سيدنا سليمان لهذه التماثيل فى بيته قد أحله الله له من قبيل الزينة والجمال وحب الفن . وقد جاء فى تفسير القرطبى عن هذه التماثيل إنها كانت تصنع من زجاج أو نحاس أو رخام وإنها تمثل تجسيداً للأحياء من طير وحيوان وأيضاً لبعض الأشخاص كالعلماء [1] والأنبياء السابقين والصلحاء .

وقد علل ذلك بعض المفسرين أن صناعة التماثيل كانت مباحة فى شريعة سليمان . فلما بدأ الناس يستعملونها فى الشرك بالله نسخ ذلك[2] . فالإباحة والمنع هنا حسب الهدف الذى يستعمل فيه التمثال وليس أمراً مطلقاً .

كان هذا عن موقف القرآن الكريم حول فن النحت . فماذا جاء فى السنة النبوية المطهرة .. لقد جاء الإسلام وصناعة التماثيل الوحيدة المعروفة عند العرب فى الجاهلية هى للشرك وعبادة الأوثان .

ومن هذه التماثيل المشهورة هبل واللات والعزة .. وكانت القبائل تأتى إلى مكة لزيارة هذه الأصنام والتبرك بها وذبح الضحايا لها . وقد فسر المؤرخون أسماء هذه الأصنام بأنهم كانوا رجالاً صالحين فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى ، ج 4 ص 217 ، طبعة دار الكتب المصرية .

(2) فتح القدير للإمام الشوكانى – طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ص 564 تفسير سورة سبأ .

يجلسون إليها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا . فلم تعبد . حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت . كما أشار الرسول ﷺ إلى ذلك بقوله " أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ، ثم صوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار خلق الله " متفق عليه .

وقد كانت هذه التماثيل تملأ المعابد والشوارع والبيوت فى الجاهلية . وفى أغلب الأحيان كانت القبائل المختلفة تعمد إلى التميز عن غيرها باتخاذ آلهة خاصة لها تختلف عن الآخرين ، ويروى عمر بن الخطاب : أنه كان يصنع فى بيته تماثيل من العجوة لبعض الآلهة . ويظل يسجد لها ويتعبدها .. فإذا جاع أكلها . وهذه العادة كانت شائعة بين قومه .

■ موقف السنة :

فى هذه الظروف الموغلة فى الشرك بالله وعبادة التماثيل والصور جاءت الأحاديث النبوية عنها وعن صناعتها واقتنائها نهياً قاطعاً من ذلك قوله ﷺ .

" لا تدخل الملائكة بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير " . متفق عليه .

وقوله " من صور صورة عذب يوم القيامة حتى ينفخ فيها وليس بنافخ " . مسلم والبخارى .

وقوله " أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله " متفق عليه .

وقوله " كل مصور فى النار يجعل له بكل صورة صورها نفس تعذبه فى جهنم " رواه ابن حنبل .

وقوله " أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون " .

والمقصود بالمصور هنا هو الرسام أو المثال .

ولنا وقفة هامة عند الحديث النبوى الأخير .. ومعنى قوله ﷺ " إن المصورين أشد الناس عذاباً يوم القيامة " . وقد فسرها الإمام النورى بأن المقصود بذلك (من فعل الصورة لتعبد وهو صانع الأصنام ونحوها فهذا كافر وهو أشد الناس عذاباً) . واتفق الأئمة والفقهاء على هذا المعنى بقولهم (ليس من المعقول أن يكون المصور العادى أشد عذاباً يوم القيامة من القاتل والزانى وشارب الخمر والمرابى وشاهد الزور وغيرهم من مرتكبى الكبائر والموبقات) .

فالمقصود هنا بأشد الناس عذاباً من يصنع هذه الصور والتماثيل لكى يعبدها الناس من دون الله . فهو من أشد الناس كفراً وإثماً وعليه يقع وزر من يتبعه . فالله تعالى قد يغفر للزانى والمرابى وشارب الخمر .. ولكنه لا يغفر لمن يشرك به .

وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أن جميع الأحاديث النبوية الصحيحة فى النهى عن التمثال والصورة إنما تنصب على من يفعل ذلك بقصد الشرك بالله وعبادة التمثال أو الصورة فإذا انتفى هذا الغرض فلا إثم ولا تحريم . وقد يقول قائل إن هذه الأحاديث جاءت مطلقة على النحت والرسم بدليل قوله ﷺ (كل مصور) ولم يأت فيها استثناء المصور العادى الذى ينحت أو يرسم للفن والزينة وغيرها .

والرد على ذلك بسيط وواضح .. وهو أن هذا الفن البرئ لم يكن معروفاً عند الغرب وكانت كل الصور والتماثيل للعبادة والشرك بالله فقط . ولم يكن هناك فن لذات الفن أو فن لأى غرض آخر مما يدخل فى خدمة الإنسانية والحضارة والنفع العام . فهذه الفنون الإنسانية البريئة والراقية لم تعرفها البشرية إلا منذ عهد قريب .

وأكبر دليل على صدق هذا الرأى أنه كان فى بيت الرسول نفسه تماثيل ورسوم تستعمل للزينة ولم يمنعها الرسول ولم يأمر بتدميرها .

1 - فقد روى مسلم عن عائشة فى باب تحريم الصور قالت : " كان لنا ستر فيه تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبله فقال لى رسول الله ﷺ (حولى هذا فإنى كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا) . وكلمة الستر معناها الخزانة أو المخدع الموضوع على الأرض . وكانت هذه الخزانة كما هو ظاهر من الحديث فى مدخل البيت وبداخلها أو فوقها التمثال فطلب الرسول ﷺ أن تنقله من مكانه فى المدخل إلى مكان آخر ولم يطلب تحطيمه أو إخراجه من المنزل .

2 - كذلك كان فى بيت الرسول ﷺ تماثيل للعرائس .. كانت السيدة عائشة فى صغرها تلعب بها إذ تقول : كنت ألعب بالبنات " العرائس " وكان لى صواحب يجئن لى فيلعبن معى . ودخل على الرسول ﷺ وأنا ألعب بالبنات فقال ما هذا يا عائشة . فقلت : خيل سليمان فضحك ..

رواه البخارى فى الأدب . ومعنى هذا أن هذه العرائس كانت تشمل كافة المخلوقات الحية ومنها البشر والخيل .

وفى الحديث عن الصور فى بيت الرسول هناك أكثر من رواية :

فعن عائشة " خرج النبى ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود " رواه مسلم فى كتاب اللباس والزينة . ومعناه أن الرسول ﷺ قد لبس رداء من صوف عليه صور رحال الإبل .

وعن عائشة قالت : قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد اشتريت مرطاً (أى ثوباً) فيه صورة فسترته على سهوة بيتى " والسهوة هى الطاقة " فلما دخل ﷺ كره ما صنعت وقال يا عائشة أتسترين الجدر فطرحته فقطعته مرفقتين (أى وسادتين) فقد رأيته متكئاً على إحداهما وفيها صورة " رواه ابن حنبل .

وعنها أيضاً أنها سترت كوة فى بيتها بقماش فيه صور ، وأنها كانت فى موضع مقابل للرسول أثناء الصلاة . فقال لها " أميطى عنا قرامك فإنه لا تزال تصاويره تعرض لى فى صلاتى " رواه ابن حنبل .

فمن هذا نجد أن الرسول لم يعترض على الصور عندما صنعت فى الوسادة بل اتكأ عليها واستعملها وفيها الصور . وفى المرة الأخرى كان اعتراض الرسول عن الرسوم لأنها وضعت أمامه أثناء الصلاة فطلب تغيير مكانها حتى لا تشغله عن صلاته . فلما نقلتها فى موضع آخر من البيت أباحها .

وهذا الأمر يحدث لأى إنسان منا فى بيته فى العصر الحاضر فإذا وقف يصلى والتليفزيون أمامه فإنه يغلقه أو ينتقل إلى غرفة أخرى حتى لا ينشغل بالصورة وحتى يمكنه التركيز فى الصلاة .

وهكذا كانت فى بيت الرسول ﷺ صور مختلفة من باب الزينة والجمال ومنها صور على الملابس وأخرى على الوسائد والفرش والسرير وأخرى على الحوائط وجاء فى كتاب الإسلام والحضارة العربية (*) للأستاذ محمد كرد على :

(*) الإسلام و الحضارة العربية " محمد كرد على " .

لقد أقر الرسول ﷺ النقود التى كان يستخدمها العرب فى الجاهلية وكانت ترد من الممالك المجاورة وهى مصورة . وضرب عمر الدراهم وعليها نقش الكسروية وشكلها . وضرب معاوية دنانير عليها تمثال متقلد سيفاً . وكانت المنسوجات اليمنية تستعمل على عهد الرسول وفيها تصاوير .

والخلاصة .. أنه لابأس بالصورة أو التمثال فى البيت من باب الزينة طالما بعذ الهدف منها عن الشرك بالله .

ويؤيد ذلك ما يذكره القاموس الإسلامى[1] للمؤرخ الإسلامى أحمد عطية الله عن الإسلام والتصوير إذ يقول :

" القول الشائع هو أن الإسلام حرم التصوير وهو قول لا يستند إلى نص من القرآن ولم يرد فى أحاديث الرسول الصحاح ما يؤيد هذا التحريم ولكن المحقق هو أن جمهور الفقهاء قالوا بكراهية التصوير لا بتحريمه وهى دعوة لها ما يبررها فى صدر الإسلام وفى العصور الإسلامية الأولى للقضاء على كل أثر للوثنية وعبادة الأصنام التى كانت العقيدة الشائعة بين العرب فى الجاهلية وبينهم قامت دعوة التوحيد .

ثم يستطرد المؤرخ الإسلامى قائلاً :

" ولكن حدة هذه الكراهية أخذت تخف مع تقادم العصور لا سيما بين الشعوب الإسلامية التى كانت حضارتها القديمة تعنى بالفنون التشكيلية كالفرس والهنود والمصريين .

---

(1) القاموس الإسلامى جـ 1 ص 471 أحمد عطية الله . الناشر مكتبة النهضة المصرية .

وقد دلت الشواهد على قيام مدارس يانعة للتصوير فى كثير من أنحاء العالم الإسلامى .. من ذلك المدرسة البغدادية والمدرسة السلجوقية وأيضاً المدرسة التيمورية فى إيران كما جاء فى الشاهنامة والمدرسة الصفوية ومدرسة بخارى والمدرسة التركية والمدرسة الهندية المغولية وقد تركت لنا هذه المدارس آلاف الرسوم الرائعة فى المنمنمات والحوائط والقصور " .

ومن أشهر المخطوطات العربية الحافلة بالرسوم التوضيحية كتاب البيطرة لابن الأحنف ، وكليلة ودمنة لابن المقفع ، وكتاب صور الكواكب للصوفي ، وكتاب المادة الطبية لمختار الحكيم ، ومحاسن الكلام للبشر ، وكتاب مقامات الحريرى التى رسمها الواسطى ، وبعض هذه المخطوطات النادرة جداً تحتفظ بها بعض المتاحف الأثرية فى أوروبا وتقدر قيمتها اليوم بملايين الدولارات بفضل ما فيها من رسوم ومنمنمات ملونة شديدة الإتقان .

ونفس الشئ بالنسبة لفن النحت والتمثال كما نجده فى قصور الأندلس وقصر الدير الغربى فى الأردن وقرية المجفر فى أريحا وقصر الجوسق فى سامراء بالعراق " .



الرسوم التوضيحية فى كتب الطب الإسلامى على جبر العظام

4 - فقهاء المسلمين ورأيهم فى الفنون التشكيلية

فقهاء المسلمين ورأيهم فى التصوير :

شرحنا فيما سبق ما جاء فى القرآن الكريم والحديث الشريف من تعاليم حول التصوير بقسميه المجسم والمسطح . وقلنا إن القرآن الكريم لم يأت بأمر واحد عن تحريم هذا الفن وأن الإشارة الوحيدة فى القرآن كانت عن تحريم عبادة التمثال ، كذلك فإن الأحاديث النبوية كلها فى هذا المجال كانت تنصب على من يفعل الصورة للعبادة .

والآن نأتى إلى آراء فقهاء المسلمين على مر العصور حول هذا الفن حيث سبق أن قسمناها إلى أربعة مراحل :

■ المرحلة الأولى : فى صدر الدعوة الإسلامية عندما كان المسلمون قريبى عهد بعبادة الأوثان فى الجاهلية . فكانوا يتشددون فى كراهية التصوير وفى النهى عنه خوفاً على المسلمين من العودة إلى تقاليد الجاهلية.

ومن أمثلة هذا الفريق ما رواه البخارى عن ابن عباس أن رساماً جاءه يستفتيه فى صنعته فقال :

" يا ابن عباس .. إنى رجل إنما معيشتى من صنعة يدى وإنى أصنع التصاوير. فقال ابن عباس .. لا أحدثك إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ .. سمعته يقول : " من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح . وليس بنافخ فيها أبدًا " . فربا الرجل ربوة شديدة (أى انتفخ غيظاً وضيقاً) فأراد ابن عباس أن يخفف عنه .. فقال له " ويحك .. إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شئ ليس فيه روح " .

فهذه القصة تبين لنا خوف المسلمين الأولين من العودة إلى عبادة الصورة . وكانت الصور التى تعبد فى ذلك العصر هى صور الإنسان أو بعض الحيوانات كالبقرة والنسر والثعبان وغيرها عند بعض الشعوب .. ومن هنا جاء النهى عن تصوير ما فيه روح . مع السماح بما سوى ذلك .

وبعضهم يشترط .. إذا صور ما فيه روح فيجب أن لا يكون جسماً كاملاً بحيث يشبه المخلوق الحى الكامل .. فيجيز صناعة التمثال النصفى أو تمثالاً تقطع رأسه ويبقى الجسد .. وإذا كانت الصورة تمثل مخلوقاً حياً كاملاً .. فيجب أن تقطع وتفرق إلى قطع غير كاملة .

ومن شروط الفقهاء أيضاً أن توضع الصورة فى مكان الامتهان لها . والقصد بالامتهان هو البعد عن فكرة تقديس الصورة . فإذا كانت فى سجادة على الأرض تداس بالأقدام .. فهذا امتهان لها . وكذلك إذا كانت فى وسادة يستند إليها الجالس فلا بأس كما فعلت عائشة .

ونفس الشئ بالنسبة للتماثيل إذا استعملت فى موضع فيه ذل لها . فيروى الإمام ابن حجر عن عروة أنه ﷺ كان يتكئ على المرافق فيها تماثيل الطير والرجال .

من هذا كله نستطيع أن نتفهم تشدد المسلمين الأولبن حول فن التصوير وذلك خوفاً من عودة الناس إلى عبادة الصورة والتمثال . فمرة يشترطون إهانة الصورة .. وتارة يشترطون قطع الرأس أو تقطيع البدن .. أو البعد عن رسم ما فيه الروح وهكذا .. فلم يكن الهدف هو منع هذا الفن أو تحريمه .. لأنه لم يرد فى القرآن والسنة نص صريح على التحريم المطلق ، بل كان الهدف تجنب سوء استعمال هذا الفن فى الشرك والفساد .

■ المرحلة الثانية : هى عصر النهضة الإسلامية وهى أزهى عصور الإسلام وفيها حدث التقارب والتزاوج بين الفن والفقه .. وعندما فتح العرب مصر كان فيها آلاف التماثيل للفراعنة وآلاف الرسوم والصور. ولكن لأن هذه التماثيل والصور كلها لم تكن تعبد ، فلم يتعرض لها الحكام العرب . وظلت حتى عهدنا الحاضر سليمة لم تمس . ونفس الشئ حدث فى البلاد الأخرى التى دخلت الإسلام . وابتدأ الموقف من التصوير فى العالم الإسلامى كله شرقاً وغرباً يتغير ، وظهرت فى كتب العلم والطب والبيطرة الكثير من الرسوم العلمية الملونة وهى ما يسمى بالمنمنمات ، وكذلك حفلت كتب التاريخ والأدب والرحلات والجغرافيا بالرسوم ، وجميعها تصور البشر والحيوانات والطبيعة .

كذلك صنعوا التماثيل(١) فى القصور والبيوت والميادين العامة لغرض الزينة . من ذلك تماثيل الأسود فى نوافذ قصر الحمراء والساعات الدقاقة التى توضع فى الميادين العامة فى دمشق وعواصم الشمال الأفريقى والتى كانت تشتمل على تماثيل لأناس أو لحيوانات تخرج إلى المشاهدين مع دقات الساعة فإذا طلع الفجر يخرج شخص وإصبعه فى أذنه يشير إلى الآذان .. وهذا كله يدلنا على تغير المزاج العام للحضارة الإسلامية وتقبلها للصورة والتمثال للنفع العام .

■ المرحلة الثالثة : وهى عصر الظلام فى الحكم المملوكى والتركى للعالم الإسلامى وقد بلغ بهم الجهل أن كانوا يطلقون على الرسوم والتماثيل الفرعونية اسم (المساخيط) وفى هذه المرحلة نهبت أوروبا

---

(١) أنظر كتاب " فن التصوير العربى " ريتشارد ايتنجاوزن طبعة سبكترا .

الكثير من الآثار الفرعونية تحت أعين الحكام المماليك وسمعهم لأنهم كانوا جهلة لا يعرفون قيمة هذا التراث الفني الرائع مما جعلهم يفرطون فيه .

■ المرحلة الرابعة : جاءت مع تطور الفن في العصر الحديث . ودخول التصوير في جميع العلوم المعاصرة كما ذكرنا . وأصبح محتماً أن يساير الفقه التطور الاجتماعي والعلمي . فظهر جيل جديد من العلماء الذين اجتهدوا في التوفيق بين الرأي الديني وحاجة المجتمع المعاصر . وابتدأت هذه المرحلة بظهور العالم جمال الدين الأفغاني ..

وتلميذه الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد والشيخ الكواكبي . ثم تلا هؤلاء جيل كامل من الفقهاء المعاصرين أمثال د. عبد المنعم النمر والدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر والشيخ محمد الغزالي والدكتور محمد عمارة .

ويعتبر الشيخ محمد عبده إمام المجتهدين في العصر الحديث .. وكان هو نفسه ذواقة للفن العالمي .. وكان يزور المتاحف العالمية ويستمتع بما فيها من صور وتماثيل ، ويصف انطباعاته عن هذه الفنون في رسائله في مجلة المنار التي يصدرها العالم والفقيه الشيخ محمد رشيد رضا . فيقول الشيخ محمد عبده عن فن التصوير وكان يشغل منصب مفتي الديار المصرية :

" والآن ما حكم هذه الصور في الشريعة الإسلامية ؟ فأقول إذا كان القصد منها ما ذكرناه من تصوير هيئات البشر في انفعالاتهم النفسية وأوضاعهم الجسمانية . هل هذا حرام أو جائز أو مكروه أو مندوب أو واجب ؟ .. فأقول في ذلك " إن الراسم قد رسم والفائدة

محققة لا نزاع فيها . ومعنى العبادة وتعظيم الصورة أو التمثال قد محى من الأذهان فإما أن تفهم الحكمة من نفسك (أى تستفتى قلبك) وإما أن ترفع سؤالاً إلى المفتى وهو يجيبك .

فإذا أوردت عليه حديث " إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون " أو ما فى معناه مما ورد فى الصحيح فنقول لك " إن الحديث جاء فى أيام الوثنية وكانت الصور تتخذ فى ذلك العهد لسببين :

الأول : اللهو ، والثانى : التبرك بتمثال من ترسم صورته من الصالحين . والأول مما يبغضه الدين ، والثانى مما جاء الإسلام لمحوه . والمصور فى الحالين شاغل عن الله أو ممهد للإشراك به . فإذا زال هذان العارضان وقصرت الفائدة كان تصوير الأشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر فى المصنوعات . وقد صنع ذلك فى حواشى المصاحف وأوائل السور ولم يمنعه أحد من العلماء مع أن الفائدة فى نقش المصاحف موضع النزاع أما فائدة الصور مما لا نزاع فبه على الوجه الذى ذكر "[1] .

بهذه النظرة المستنيرة والأفق الواسع والعلم الغزير يفتى الإمام الأكبر الشيخ محمد عبده بأن فن التصوير أى الصورة والتمثال حلال طالما بعد عن الشرك والفساد .. ثم يستطرد قائلاً :

---

(1) كتاب الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ2 ص 205 جامعة بيروت للدكتور محمد عمارة.

" وبالجملة فإنه يغلب على ظنى أن الشريعة الإسلامية أبعد أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم بعد تحقيق أنه لا خطر فيها على الدين لا من جهة العقيدة ولا من جهة العمل وليس هناك ما يمنع المسلمين من الجمع بين عقيدة التوحيد ورسم صور الإنسان والحيوان لتحقيق المعانى العلمية وتمثيل الصور الذهنية " .

لقد أصدر الإمام الأكبر الشيخ محمد عبده هذه الفتوى فى سنة 1903 أى فى مطلع القرن العشرين فجاءت فى وقتها المناسب لتسد حاجة الأمة الإسلامية إلى اجتهاد عصرى مستنير لتواجه به طوفان الحضارة الأوروبية المعاصرة . وطوفان العلم الحديث الذى لا يتوقف .. وحتى لا يتخلف المسلمون عن ركب الحياة العصرية .

ويعلق على هذا الرأى المستنير الأستاذ الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف السابق فى كتابه[1] الاجتهاد فيقول : إن هذه أول مرة فى تاريخ الفقه كله يتحدث فيها عالم فقيه مسئول عن جواز صنع التمثال كاملاً وعلى أى وضع بينما كان السابقون يتحرون الحيطة والخوف ويشترطون عمل التمثال من رأس وكتفين فقط . دون بقية الجسم من البطن والرجلين (وقد بنى رأيه هذا على العقل والمنطق والعلة والحكمة الدينية التى من أجلها كره الرسول الصور فى الماضى) ثم يقول : فالعلة التى كره الرسول من أجلها الصور هى اتجاه النفوس وقتها لتعظيمها تعظيم عبادة وكانوا قريبى عهد بالوثنية

---

(1) كتاب الإجتهاد : دكتور عبد المنعم النمر - طبعة دار الشروق سنة 1986 ص 286 .

فأراد أن يخلعهم من هذا بشدة تتناسب والهدف وقتها . حتى إذا استقرت النفوس على المبدأ الجديد .. هدأت الأمور ولم يعد هناك داع لا للدعاية له ولا للشدة التى كانت من أجل تنفيذه وهذه طبيعة النفوس وطبيعة الحياة .

ثم يضرب لنا الدكتور عبد المنعم النمر مثلاً عن تسامح الأمة الإسلامية وتعايشها مع الفنون التشكيلية بعد أن بعدت عن عصر عبادة الصور فيقول : " منذ دخل الإسلام مصر وتماثيل قدماء المصريين والتماثيل الرومانية موجودة بيننا كما هى موجودة فى بعض البلاد الإسلامية ولم يتجه مسلم لعبادتها ولم يتعد الأمر عن الإعجاب بها وبصانعيها ومهارتهم وفنهم . ولم يفكر أى مسئول مسلم فى إزالتها " .

أما المفكر الإسلامى الدكتور محمد عمارة فيتصدى للذين لا يزالون حتى عصرنا هذا يعارضون عن جهل وعدم فهم لهذه الفنون والذين يتمسكون بالحرف واللفظ ناسين المعنى والهدف فيقول عنهم :

" أما الفقهاء الذين وقف كثير منهم عند حرفية نص الأحاديث ولم يبصروا ارتباط تخريجها بعلة هذا التحريم .. ودوران هذا التحريم مع العلة وجوداً وعدماً .. فإن آخرين منهم قد اتخذوا موقفاً مغايراً بجواز الصور والتماثيل طالما أن خوف الشرك والوثنية غير قائم .

وتحدثوا عن دور هذا الفن فى العلم والتعليم والتربية والتهذيب بل ومارس بعضهم صنعة هذا الفن الجميل . فكانت حياتهم وممارساتهم واجتهاداتهم لتجسيد موقف الإسلام الحق من هذا الفن .. موقف

التزكية والمباركة .. طالما كان فناً راقياً .. يسعى أهله إلى نرقية حياة المسلمن ونمكينهم من تذوق نعم الله الجميلة التى أفاضها على الطبيعة وسخرها لتجميل حياة الإنسان "[1] .

الخلاصة :

إنه لم يعد هناك مجال فى القرن العشرين لمن يقول إن التصوير أو التمثال حرام .. أو يشترط تصوير ما ليس فيه روح .. أو قطع رأس التمثال حتى يصبح شرعياً .. فلكل عصر فكره واجتهاداته وظروفه وملابساته .. وطالما التزم الفقيه المجتهد المسلم بروح الشريعة وأهدافها التى تشترط البعد عن الشرك وعن الفساد فإن اجتهاده يكون لصالح الإسلام وتقدم المسلمين وحمايتهم من التخلف .

---

(1) كتاب الإسلام وقضايا العصر – د. محمد عمارة مطبعة الوحدة – بيروت – طبعة سنة 1984 ص 59 وكتاب الإسلام والفنون للدكتور محمد عمارة .


الباب الثالث

فن السماع

1 - تعريف علمى .

2 - الإسلام وفن السماع

3 - الأحاديث الضعيفة والموضوعة حول السماع

4 - الفقه الإسلامى وفن السماع .

5 - النهضة الموسيقية فى ظل الإسلام .

6 - أمثلة من الأغانى العربية الهادفة .

الموسيقى والغناء بين العلم والدين

" من لم يحركه الربيع وأزهاره ، والعود وأوتاره ، فهو فاسد المزاج ليس له علاج . ومن لم يحركه السماع ، فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية ، زائد فى غلظ الطبع وكثافته عن الجمال والطيور بل على جميع البهائم فإن جميعها تتأثر بالنفحات الموزونة " .

الإمام الغزالى

كتاب إحياء علوم الدين ص1131 – 1132

طبعة دار الشعب

1 - تعريف علمي :

السماع تعبير فقهى جاء فى كتب الحديث والشريعة عن كل فن يسمع بالأذن كالموسيقى والغناء ، وهذا الفن يعتبر أرقى الفنون جميعًا .. وأقربها إلى قلب الإنسان يستوى فى ذلك الطفل الصغير أو الشيخ الكبير والمتعلم والجاهل .

■ والموسيقى العالمية أنواع متعددة :

فهناك الموسيقى الكلاسيك وتشمل السيمفوني والكونشرتو والآلة المنفردة (Solo) وهناك الموسيقى الحديثة مثل الجاز والبوب .

ومن الغناء هناك الأوبرا والأغانى العصرية المتنوعة . وهناك الأغانى الجماعية المسماة الكورال (Choral) والأغانى الفردية والأغانى الزوجية .

■ والموسيقى فن عالمى :

بمعنى أنه لغة مشتركة بين جميع الشعوب دون الحاجة أن يفهم كل منهم لغة الآخر.

وبلغ من تقدير هذه الشعوب الراقية للموسيقى حدًا لا نعرفه ولا نتصوره فى عالمنا العربي المعاصر. فهم يحضرون بالملابس الرسمية ولابد من ارتداء رباط العنق وإذا بدأ العازفون فإن الجمهور يجلس فى صمت ورهبة ووقار. وكأنهم فى مكان عبادة أو كأنهم تلاميذ فى مدرسة إلى حد إذا سعل أحدهم فهو يحاول كتم سعلته حتى لا يزعج من حوله . ولم تعد الموسيقى نوعًا من العزف البدائى أو الضرب

المنتظم (Rhythmic) بل أصبحت علمًا راقيًا له قواعده وأهدافه ومفاهيمه . إنها صورة فنية متكاملة يشترك فيها مئات العازفين . ومئات المغنيين وقد يصل حجم الأوركسترا وحده إلى 500 عازف على آلات مختلفة .

ومن الموسيقى الكلاسيك ما يحمل أرقى المعانى الإنسانبة وأرقى المشاعر. فهناك ما يحمل المعانى الفلسفية العميقة مثل سيمفونيات ريتشارد شتراوش ، ومنها ما يحمل فكرًا وحكمة مثل سيمفونيات بيتهوفن التى تعالج الحرب والسلام وتعالج الصراع بين القضاء والقدر وعزيمة الإنسان ، ومنها ما يحمل عبق التاريخ والحضارات القديمة مثل أوبرا عايدة AIDA وعطيل OTELLO وبختنصر Nabuco .

ومنها ما يحمل المعانى الدينية مثل قداس فردى وموزار. ومن الموسيقى ما يصف الطبيعة وجبالها وأنهارها وغاباتها مثل السيمفونية السادسة لبيتهوفن PATHETIC . ومنها ما يصف العواطف الإنسانية كالحب والكراهية والأمن والخوف والفرح والحزن .

وقد ثبت أن الموسيقى من أهم عناصر الإنتاج فى مكاتب العمل . ففى الدول الراقية إذا دخلت أى مصلحة حكومية أو شركة استثمارية تجدهم يضعون فى كل حجرة سماعات صغيرة تذيع موسيقى هادئة مما يسمى Background Music أى خلفية موسيقية . وهذا النوع من الموسيقى يكون صامتاً بدون كلام ومستمرًا Non- Stop طوال ساعات العمل فيساعد الموظفين على هدوء الأعصاب والدأب والمثابرة وزيادة الإنتاج . وقد عممت هذه التجربة فى جميع مرافق الدولة وخاصة

المستشفيات وفى غرف انتظار المرضى وغرف العمليات حيث ثبت أنها تريح أعصاب المرضى . وكذلك عممت فى المطارات .. والفنادق ومحطات المترو والقطارات والسيارات بعدما ثبت من فائدتها فى إضفاء جو من السكينة والهدوء على الجماهير الكبيرة أثناء الإنتظار .

وجميع الكتاب والمفكرين والفنانين لا يستغنون عن هذه الخلفية الموسيقية سواء كانوا فى بيوتهم أو مواقع العمل والإنتاج . وقد دخلت الموسيقى فى شتى مجالات العلم الحديث . فهى تستعمل اليوم فى علاج الأمراض النفسية والعصبية وفى التنويم المغناطيسى وفى تخفيف آلام الوضع والولادة وحتى فى العمليات الجراحية وخاصة عمليات الأسنان . وقد وجد أن الموسيقى تدر اللبن فى البقر والمواشى . وتستجيب لها وتطرب لها الخيل والكلاب والكثير من الحيوانات إلى حد ترويض الحيوانات الشرسة والمفترسة كالأسد والنمر والفيل بالموسيقى فتصبح سلسة القيادة وتأتى بحركات بهلوانية مذهلة .

أيضًا فإن الغناء يلعب دورًا كبيرًا فى حياة الإنسان :

فالغناء من أهم عناصر تعليم الأطفال وتربيتهم ابتداء من تعليم القراءة والكتابة إلى بعث المعانى النبيلة والأخلاق الحميدة وحب الوطن بفضل الأغانى التربوية .

والغناء من أعظم وسائل تربية الشعوب فهو يغرز فى الشباب حب الوطن والانتماء إليه وجميع المعانى والمثل العليا التى تريد غرسها فى الشعب .. فهو أعظم تأثيرًا وأكثر قربًا إلى القلوب من الخطب والمواعظ والنصائح المباشرة .

والغناء من أهم عناصر التعبئة المعنوية فى وقت الحرب والدفاع عن الوطن فهو يدفع فى الجنود الحماس والإخلاص والإقدام والشجاعة . وهو عنصر هام لتدريب الجبوش وتعليم الجندى المقاتل الحركة المنتظمة والصبر على المجهود الشاق . وتأثير الغناء على المدنيين فى وقت الحرب لا يقل عن تأثيره على الجنود .. فهو يدفعهم إلى زيادة الإنتاج والالتزام بالمواعيد والشعور بالخطر إذا تواكلوا .

2 - الإسلام وفن السماع :

فى الباب الأول تعرضنا لموقف بعض الدول الإسلامية وبعض الجماعات الإسلامية المتطرفة وبعض الفقهاء ضد جميع الفنون وتحريمها وفى مقدمتها فن الموسيقى والغناء . وكيف وصل الأمر إلى منع الموسيقى من الإذاعة والتليفزيون واعتبار من يستمع إليها آثمًا .

فما هى حقيقة الأمر ؟ .. وما هو موقف الإسلام كدين وتعاليم من فن السماع ؟ :

(أ) فى القرآن :

ليس فى كتاب الله كله نص على تحريم الموسيقى والغناء والله تعالى يقول ﴿ **قد فصل لكم ما حرم عليكم** ﴾ [الأنعام 169] .

والأصل فى الأشياء الإباحة ما لم يرد نص على تحريمها . وقد حاول بعض من لا يعرفون أهمية الموسيقى فى حياة الإنسان أو رسالتها كوسيلة حضارية أن يحملوا بعض آيات القرآن الكريم معنى تحريمها فقالوا إن كلمة (لهو الحديث) وكلمة (اللغو) التى

ذكـرت فـى القـرآن فـى قولـه تعـالى : ﴿ **وإذا سمعـوا اللغـوا عرضـوا عنه** ﴾ [القصص 55] فـهم يحـاولون أن يحملوا هذه الكلمـات معنى غير مـا تحتمل ، ويدعون أن المقصود بها هو الموسيقى والغناء ، وقد رد عليهم علماء المسلمين بأن هذا استعمال للآيات فى غير موضعها وغير ما أنزلت له . وقال ابن حزم فى ذلك " لو حكمنا بتحريم اللهو لكونه لهوًا لكان جميع ما فى الدنيا محرمًا لأنه لهو " لقوله تعالى ﴿ **إنما الحياة الدنيا لعب ولهو** ﴾ [محمد 36] . ويستطرد ابن حزم فى تفنيده لهذه الدعوى الباطلة أن نص الآية يبطل احتجاجهم بها لأن فيها قوله تعالى : ﴿ **ليضل به عن سبيل الله ويتخذها هزوا** ﴾ وهذه صفة من فعلها كان كافرًا بلا خلاف إذا اتخذ سبيل اللّٰه تعالى هزوا ولو أن امرأ اشترى مصحفًا ليضل به عن سبيل اللّٰه تعالى ويتخذه هزوا لكان كافرًا .

فهذا هو الذى ذمَّه اللّٰه تعالى : وما ذم قط عز وجل من اشترى لهو الحديث ليتلهى به ويروح عن نفسه لا ليضل عن سبيل اللّٰه تعالى تعلقهم بقول كل من ذكرنا وكذلك من اشتغل عامدًا عن الصلاة بقراءة القرآن أو ينظر فى ماله أو بغناء أو غير ذلك فهو فاسق عاص للّٰه . ومن لم يضيع شيئًا من الفرائض اشتغالاً بما ذكرنا فهو محسن . ويستطرد بن حزم مستشهدًا بقول الرسول ﷺ " إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى . فمن نوى باستماع الغناء عونًا على معصية اللّٰه تعالى فهو فاسق . وكذلك كل شئ غير الغناء . ومن نوى ترويح نفسه ليتقوى بذلك على طاعة اللّٰه عز وجل وينشط نفسه بذلك على البر فهو مطيع . ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه كخروج الإنسان إلى بستانه متنزها وغير ذلك من أنواع لهو الدنيا " .

(ب) الحديث والسنة :

لقد كان الرسول ﷺ رغم مشاغله الكبرى وإنجازاته التى لا تقاس بمشاغل وإنجازات أى من البشر فى عصرنا هذا .. كان يستمع إلى الغناء والموسيقى بل يأمر بهما وخاصة فى الأعياد والمناسبات والزواج والأفراح .

وقد روى البخارى ومسلم عن عائشة قالت : " دخل على رسول الله ﷺ وعندى جاريتان تغنيان بغناء بغاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر فانتهرنى قائلاً : أمزمارة الشيطان عند رسول الله .. فأقبل رسول الله ﷺ فقال دعهما يا أبا بكر.. فلكل قوم عيد وهذا عيدنا " .

ولو كان الغناء والموسيقى حرامًا لما أذن بهما رسول الله فى بيته . وواضح هنا من نص الحديث أن الغناء كان يصاحبه آلة موسيقية هى المزمار. وإذا كان أبو بكر الصديق قد ربط بين المزمار والشيطان فربما كان له العذر فى ذلك لارتباط الموسيقى فى الجاهلية بالفساد ، ولكن الرسول المشرع قد صحح له هذا الفهم .

وقد كان الرسول يأمر المسلمين أمرًا بالاستعانة بالموسيقى والغناء فى المناسبات العامة كالأعياد والزواج والأفراح فيقول ﷺ " فصل ما بين الحلال والحرام فى النكاح الدف والصوت " متفق عليه . ومعنى الدف والصوت الموسيقى والغناء .

وروى أحمد والبخارى عن عائشة " زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبى يا عائشة أما كان معكم لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو " .

وروى ابن ماجة عن ابن عباس قال: " أنكحت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار فجاء رسول الله فقال : أهديتم الفتاة قالوا نعم . قال أرسلتم معها من يغنى ؟ " قالت لا ، فقال إن الأنصار قوم فبهم غزل فلو بعثتم معها من يغنى . قالت مثل ماذا يا رسول الله ؟ قال مثل قولهم : أتيناكم أتيناكم فحيونا نحيبكم " .

والحق أن هذا الكلام الجميل الراقى الرقيق نفتقده فى أفراحنا فى العصر الحديث والتى تعتمد على الضجة والصراخ والفساد .

وأخرج أحمد فى السند أن النبى كان يكره نكاح السر حتى يضرب فيه الدف .

وربما قال قائل إن الرسول قد أباح الغناء فى الزواج والأفراح والأعياد فقط . وهذا خطأ ، فقد استعان الرسول ﷺ بالغناء والموسيقى فى شتى المناسبات . من ذلك ما روته الربيع بنت معوذ " دخل على النبى فجلس على فراش كمجلسك هذا وجويريات يضربن بالدف بندين من قتل من آبائى يوم بدر. قالت إحداهن : وفينا نبى يعلم ما فى غد . فقال النبى لا تقولى هكذا وقولى كما كنت تقولين " رواه الجماعة . فالرسول لم يعترض على الغناء والموسيقى ولكنه اعترض على قولها إنه يعلم الغيب . إذ لا يعلم الغيب إلا الله .

واحتفالاً بإحدى الغزوات نذرت جارية أن تضرب بين يدى رسول الله بالدف وتغنى إذا عاد مظفرًا . فأذن لها رسول الله بذلك . ودخل أبو بكر وعثمان وهى تغنى وتضرب فلما دخل عمر توقفت خوفًا منه .

والرسول ﷺ يقول : " روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلت عميت . " ومن حكم الصحابة قول على رضى الله عنه " كل كريم طروب ولا خير فيمن لا يطرب ولا يُطرب " .

وجاء رجل اسمه حنظلة إلى رسول الله فزعًا من أنه إذا كان عند الرسول يسمع مواعظه ينسى الدنيا ، فإذا خرج من عنده تلهى بأمور الدنيا فقال له الرسول مطمئنًا "ولكن يا حنظلة ساعة وساعة .. قالها ثلاث مرات " رواه مسلم .

ومعنى الحديث أن تكون هناك ساعة للرب وللعبادة والجاد من أمور الحياة ، وساعة للترفيه والطرب والموسيقى والفن وغير ذلك .

وكان الرسول ﷺ يحب سماع الصوت الجميل . وخاصة فى العبادات كأذان الصلاة أو تلاوة القرآن . وعندما جاءه أحد الصحابة يخبره أنه قد رأى رؤيا للآذان للصلاة بكلمات الأذان المعروفة لنا فى يومنا هذا .. قال له الرسول ﷺ " أبلغها بلالا فليؤذن بها فإنه أندى منك صوتا " ومعنى ذلك أن الأذان يجب أن يكون بالنغم الجميل والصوت الجميل .

وروى مسلم والبخارى أن الرسول استمع إلى أبى موسى وهو يتلو القرآن فلما قابله فى اليوم التالى قال له " لو رأيتنى وأنا أستمع قراءتك البارحة .. لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود " فقال له أبو موسى " لو علمت ذلك لحبّرته لك تحبيرا " يعنى زدت فى تجويده وإتقانه وتحسين الصوت بالقرآن .

وكـان الرسـول ﷺ يحث أصحابـه علـى التغنـى بـالقرآن فيقول ﷺ : " زينوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا " متفق عليه .

ويقـول أيضًـا : " ليـس منـا مـن لم يتغـن بـالقرآن " رواه البخارى . وبعض الذين يكرهون الفن والجمال يدعون أن الإسلام قد رخص فى الغناء والموسيقى فى حفل الزواج فقط . وهذه مغالطة كبيرة .. فقد استمع الرسول إلى هذا الفن فى جميع المناسبات التى نعرفها فى ذلك العصر . فقد استقبله نساء الأنصار عند قدومه إلى المدينة بذلك النشيد الخالد :

طلـع البـدر علينـا	مـن ثنيـات الـوداع
وجـب الشـكر علينـا	مـا دعـا لله داع
أيـها المبعـوث فينـا	جئـت بـالأمر المطـاع
جئـت نـورت المدينـة	مرحبـا يـا خـير داع[1]

وقد جاء فى كتب السيرة أنهن كن يرقصن طربًا مع هذا الغناء الجماعى الجميل ويضربن على الدفوف .

وعندما ابتدأ الرسول ﷺ يبنى بيته ومسجده تجمع حوله الصحابة يساعدون ويعملون معه . وكانوا ينشدون وهم يحملون الطوب على أكتافهم :

لـئن قعـدنا والنبى يعمـل	لـذاك منا العمـل المضلل[2]

(1) كتاب " شعـر الدعوة الإسلامية فى عهد النبوة" الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا - 1971 .

(2) كتاب مغازى رسول الله " للواقدى " .

وفى يوم الخندق كان الرسول ينشد للصحابة كى يدفع فيهم الحماس وهو يحفر الخندق معهم بفأسه ومعوله .

لا هم إن الأجر أجر الآخرة   فارحم الأنصار والمهاجرة

وهم يرددون خلفه ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا   على الجهاد ما بقينا أبدا

وكان جيش الرسول من المهاجرين والأنصار عندما يتجهزون للفتوح والغزوات ينشدون هذا النشيد :

والله لولا الله ما اهتدينا   ولا تصدقنا ولا صلينا
أنا إذا قوم بغوا علينا   وإن أرادوا فتنة أبينا
فانزلن سكينة علينا   وثبت الأقدام إن لاقينا

وهكذا كان فى حياة الأمة الإسلامية وفى جهادها موسيقى وغناء وأناشيد مثل كل أمة متحضرة وناهضة .

3 - الأحاديث الضعيفة والموضوعة حول السماع :

ذكرنا فى الباب الأول أن هناك عدد لا حصر له من الأحاديث الضعيفة والموضوعة فى كل مجال من مجالات الفن . وقد خص المبطلون قضية الموسيقى والغناء بالذات بالكثير من تأليفهم .. وأغلب هؤلاء فريق من واضعى الحديث الذين يتصورون أنهم قد يخدمون رأيهم أو يخدمون الإسلام .. ولو كان بالكذب على رسول الله .. واختلاق الأحاديث وذلك ظنًا منهم حتى لا يتلهى المسلمون عن عبادة الله بأى أمر من أمور الدنيا . فهؤلاء مصيرهم إلى النار . وقد جمع

الإمام ابن حزم فى كتابه المحلى بعض هذه الأحاديث المكذوبة عن السماع وأخذ يفندها ومن ذلك قوله :

" وحديث لا ندرى له طريقًا .. إنما ذكروه هكذا مطلقًا " إن اللّٰه نهى عن صوتين ملعونين صوت نائحة وصوت مغنية " . ثم يقول عنه (وهذا لا شئ) أى لا أصل له .

وحديث آخر من الموضوعات يقول " من أمتى قوم يستحلون الخز والحرير والخمر والمعازف " ويذكر ابن حزم أن به ثغرة واضحة تدل على أنه موضوع وهذه الثغرة فى الأسانيد والرواة قال عنه (إن سنده ومتنه لم يسلما من الاضطراب) .

ومن الأحاديث الضعيفة أيضًا ما رواه أصحاب السنن الأربعة أن الرسول ﷺ قال " كل لهو يلهو به المؤمن باطل إلا ثلاث : ملاعبة الرجل لأهله وتأديبه فرسه ورميه عن قوسه " وقالوا إن الغناء خارج عن هذه الثلاثة فهو باطل . فأجاب المجوزون للغناء بضعف الحديث وقال الحافظ العراقى بأن فيه اضطراب وبفرض صحته فليس فيه حجة على تحريم الغناء .

ومن الأحاديث الموضوعة أيضًا " من قعد إلى قينة يسمع صب اللّٰه فى أذانه الآنك يوم القيامة " والآنك هو الرصاص المصهور وللأسف فإن بعض أئمة المساجد فى عصرنا هذا يستشهدون بهذا . الحديث فى خطب الجمعة رغم علمهم أنه موضوع.

وبعد أن يفند ابن حزم كل هذا الأحاديث عن تحريم السماع يقول " ولا يصح فى هذا الباب شئ أبدًا .. وكل ما فيه موضوع .. وواللّٰه لو أسند جميعه أو واحد منه فأكثر عن طريق الثقات إلى رسول اللّٰه لما ترددنا فى الأخذ به " .

4 - الفقه الإسلامى وفن السماع :

ذكرنا فيما سبق أن الفقه الإسلامى قد مر بأربعة مراحل من حيث موقفه من الفنون عامة ونرجع هنا إلى هذه المراحل عن فن السماع :

■ المرحلة الأولى :

وهى صدر الإسلام .. وفيها نلمس خشية المسلمون الأولين من العودة إلى تقاليد الجاهلية وحرصهم على البعد عن كل ما فيه لهو قد يصرف بعض ضعاف النفوس عن الرسالة الكبرى .. فكانوا يميلون إلى التشدد فى مسألة السماع بصفة عامة . وتأتى أول هذه الإشارات من أبى بكر الصديق فى قوله " مزمار الشيطان " والربط بين الآلة الموسيقية والفساد . ويروى عن ابن عمر أنه مر بقوم يغنون ويعزفون فوضع أصابعه فى أذنيه حتى لا يسمع . وظل سائرًا فى طريقه حتى بعد عنهم وسأل غلامه .. أمازلت تسمعهم . فلما قال له إنه لم يعد يسمعهم رفع أصابعه . ولو كان هناك نص على منع الغناء لمنعهم ابن عمر ولكنه اكتفى بسد أذنيه ، وهذا شأنه .

وروى النسائى والحاكم عن عامر بن سعد من الأنصار قال : " دخلت على قرظة بن كعب وأبى مسعود الأنصارى فى عرس وإذا جوار يغنين فقلت : أى صاحبى رسول الله أهل بدر يفعل هذا عندكم ! فقالا اجلس إن شئت فاستمع معنا وإن شئت فاذهب فإنه قد رخص لنا اللهو عند العرس " .

ورغم كثرة الأحاديث الصحيحة عن إباحة السماع سواء كان بآلة أو بالصوت وحده .. ورغم ما ثبت من أن الرسول كان يستمع إلى الغناء .. فنجد أن بعض الفقهاء فى هذه المرحلة يتشددون

فى تحريمه . أو يتحايلون على تفسير الأحاديث فمنهم من يرى أن الرخصة فى السماع تقتصر على حفلات الزواج وحدها . أما ماعدا ذلك فلا يجوز السماع . وبعضهم يضيف إلى ذلك الأفراح والأعياد . وفى نوع الغناء نرى بعضهم يحرم غناء المرأة ويرى أن صوت المرأة عورة فى حين أن الرسول ﷺ قد استمع إلى غناء الجوارى والقيان ونساء الصحابة . وفى الآلات الموسيقية أيضًا تجد من الفقهاء من يحرمها كلها . ومنهم من يبيح فقط الآلات التى كان الرسول يسمعها مثل الدف والمزمار ويحرم ما سوى ذلك من الآلات المستحدثة التى لم تكن معروفة على عهد الرسول .

■ المرحلة الثانية : (وهى عصر الازدهار والحضارة الإسلامية)

وقد ذكرنا إلى أى مدى وصل فيه فن السماع عندهم من الرقى والجمال . وخاصة عند أهل الأندلس وقد ظهر علماء يدافعون عن السماع بكل أنواعه طالما كان بعيدًا عن الفساد . فأحلوا استعمال الآلات الموسيقية كلها إلى حد عقاب من يكسرها عامدًا .. فيقول ابن حزم : " بيع المزامير والعيدان[1] والمعازف والطنابير حلال كله ومن كسر شيئًا ضمنه " .

قال تعالى " واحل الله البيع " وقال " وقد فصل لكم ما حرم عليكم " ولم يأت نص بتحريم شئ من ذلك . واحتج المانعون بآثار لا تصح أو يصح بعضها ولا حجة لهم فيها " .

(1) كتاب الكحلى لابن حزم ج 9 ص 56 – 59 .

أما عن الغناء فيقول عنه ابن حزم " فصح أن الغناء مباح مطلق لا كراهية فيه وأن من أنكره فقد أخطأ بلا شك " .

ويحدد ابن حزم نوع الغناء المحرم أو الذى فيه فساد فيقول " إنه ما يصدر بتمطيط وتكسير وتهيج وتشويق بما فيه تعرض بالفواحش وتصريح " .

وما من إنسان مثقف فى القرن العشرين يقر بهذا النوع من الغناء . ثم يقول ابن حزم : ليس فى كتاب الله ولا سنة رسوله ولا معقولها من القياس والاستدلال ما يقتضى تحريم مجرد سماع الأصوات الطيبة الموزونة مع آلة من الآلات .

■ ويقول الإمام الغزالى[1] فى كتابه (الإحياء) :

" من لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد فى غلظ الطبع وكثافته عن الجماد والطيور وجميع البهائم ، إذ الجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثرًا يستخف معه الأحمال الثقيلة فنرى الإبل إذا سمعت الحادى تمد أعناقها وتصغى إليه آذانها وتسرع فى سيرها حتى تتزعزع عليها أحمالها " .

ويرد الإمام على من يقول إن الغناء لهو ولعب فيقول : " هو كذلك ولكن الدنيا كلها لهو ولعب وجميع المداعبة مع النساء لهو . وكذلك المزح الذى لا فحش فيه حلال . نقل ذلك عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة " ثم يقول : " فاللهو دواء القلب من داء الإعياء والملال فينبغى أن يكون

---

(١) كتاب الأحياء للغزالى باب السماع .

مباحًا ولكن ينبغى ألا يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء فإن اللهو على هذه النية يصير قربة . هذا فى حق من لا يحرك الغناء من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها . بل ليس له إلا اللذة والاستراحة المحضة . فينبغى أن يستحب له ذلك " .

ويقول أيضًا : " اللهو مروح القلب ومخفف عنه أعباء الفكر . والقلوب إذا أكرهت عميت وترويحها إعانة لها على الجد " .

ويرد الغزالى على من يدعى أن الموسيقى والغناء حرام فيقول : " والقول بأن السماع حرام معناه أن الله يعاقب عليه . وهو أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالنص فمعرفة الشرعيات محصورة فى النص أو القياس على النصوص . ولم ينظم فى هذا نص ولا قياس . وبهذا بطل القول بتحريمه . ويبقى فعلاً لا حرج فيه كسائر المباحات . بل إن هناك نصوصًا تدل على إباحته ، فالغناء سماع صوت طيب مفهوم المعنى محرك للقلب . وسماع الصوت الطيب بالنسبة لحاسة السمع كرؤية الخضرة والماء الجارى بالنسبة للعين فلا يحرم . فإن أدى النظر إلى الاطلاع على شئ حرام . حرّم النظر . كالنظر إلى العورة أو النظر بشهوة . وكذلك يحرم السماع إن كان لشئ غير حلال أو أدّى بطريق انحرف به عن الحلال .

وتأثير السماع فى القلب سر صنعة الله وأودعه الأصوات فجعل منها ما يُفرح ومنها ما يبكى ومنها ما ينوّم ومنها ما يضحك والصبى يسكته الصوت الطيب عن البكاء " .

ويحدد الغزالى الأسباب التى تحرم الموسيقى والغناء فيجعلها أسبابًا طارئة كأن يكون الغناء من امرأة تخشى الفتنة من سماعها

أو من رجل مخنث .. أو تستعمل فى الموسيقى آلات من شعار أهل الشرب والمجون . أو أن يكون الكلام الذى يُغَنّى فبه فحش ولغو. أو أن السامع ينير الغناء شهوته ويحرك ثائرنه . أو أن تُتخَذَ الموسيقى والغناء ديدنا فتسبب المواظبة عليهما التقصير فى أداء الواجب الدينى وأداء واجب الأسرة والمجتمع .

■ ويقول الإمام القشيرى[1] عن السماع :

﴿واعلم أن سماع الأشعار بالألحان الطيبة والنغم المستلز . إذا لم يعتقد المستمع محظورًا ولم يسمع على مذموم فى الشرع ولم ينجرّ فى زمام هواه ولم ينخرط فى سلك لهوه .. مباح فى الجملة وإن حسن الصوت مما أنعم الله تعالى به على بعض الناس . قال عز وجل يزيد فى الخلق ما يشاء﴾ [سورة فاطر][2] وقد قبل فى التفسير إن من هذه الزيادات الصوت الحسن . وذم سبحانه وتعالى الصوت القبيح فقال ﴿ **إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ واستلذاذ القلوب واشتياقها إلى الأصوات الطيبة واستراوحها إليها مما لا يمكن جحوده . فإن الطفل يسكن إلى الصوت الطيب والجمل يقاسى نعب ومشقة الحمولة . فيهون عليه ذلك بالحداء .

ويقول الإمام القيسرانى المتوفى 507هـ فى كتابه (السماع) .

" وأما ضرب الدف والاستماع إليه فنقول إنه سنّه . سمعه رسول الله ﷺ ولا ينكره إلا جاهل مخالف للسنة ويصدق عليه قول الرسول " من رغب عن سنتى فليس منى " البخارى ومسلم . وأما القول

---

(1) الرسالة القشيرية .

(2) كتاب السماع لابن الفيسرانى تحقيق أبو الوفا المراغى طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامبة 1994م .

فى المزامير فقد وردت الأحاديث الصحيحة بجواز استماعها . وأما النفير والأوتار فلم نجد فى إباحته ولا تحريمه أثرًا لا صحيحًا ولا سقيمًا والأصل فى الأشياء الإباحة ما لم يرد نص على تحريمه .

ويقول الإمام الشوكانى فى كتابه " نيل الأوطار[1] " ذهب أهل المدينة ومن وافقهم من علماء الظاهر وجماعة الصوفية إلى الترخيص فى الغناء ولو مع العود والمزاهر .

وكان بعض الصالحين وفقهاء المسلمين إذا أراد شراء جارية يقدم إليها العود ويختبرها فى الغناء أولاً .

وروى أبو الفرج الأصفهانى أن حسان بن ثابت سمع من عزة الميلاء الغناء بالمزهر بشعر من شعره " والمزهر هو العود " .

وفى عهد الخليفة عمر بن الخطاب جاءه جماعة من المتشددين يشكون أن إمامهم الذى يؤمهم فى الصلاة ويقرئهم القرآن بعد أن يفرغ من صلاته وعبادته يغنى بأبيات من شعره . فقام عمر معهم إلى منزل الإمام واستنشده هذه الأبيات فقال :

وفـــؤادى كلمـــا تيهتـــه	عـاد فـى اللـذات يبغـى تعبـى
لا أراه الدهـــر إلا لاهيـــا	فـى تماديـه فقـد بـرّح بـى
يا قرين السوء مـا هـذا الصبا	فنـى الدهـر كـذا فـى اللعـب
وشـباب بـان عنـى ومضـى	قبـل أن أدرك منـه أربـى
نفسى لا كنـت ولا كان الهـوى	اتقى الله وخـافى وارهـبى

فاهتز عمر لسماع هذا الشعر الرقيق العفيف . وأخذ يردد قول الشاعر " نفسى لا كنت ولا كان الهوى " وقال لهم : " من كان مغنيًا

---

(1) كتاب الحضارة الإسلامية و الفنون – د. أحمد شلبى مكتبة النهضة العربية ص – 165 .

فليغن هكذا . وكان للإمام أبى حنيفة وهو فى بغداد جار يعمل إسكافيًا . وكان حسن الصوت يغنى أثناء عمله ومن ذلك قوله :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا   ليوم كريهه وسداد ثغر

وكان الإمام يستمتع بغنائه ويعجب به . وذات يوم افتقده ولم يسمعه فسأل عنه فقالوا له أنه قد اضحى فى السجن . فلبس عمامته وتوجه إلى الأمير ليشفع له . وكانت للإمام مكانه أدبية ودينية كبيرة فسأله الأمير عن اسم الرجل فقال لا أعرف إلا اسمه الأول وهو عمرو فقال الأمير للحرس أطلقوا كل من اسمه عمرو. فلما خرج الرجل قال له أبو حنيفة : أضعناك يا فتى ؟ فقال لا والله لا يضيع جار لأبى حنيفة .

ومن طرائف ما يروى فى حوار الفقهاء . أن الإمام أبا حنيفة توقف ذات يوم ليسمع جارية تغنى وتعزف . فلما أنتهت أعجب بصوتها وقال لها (أحسنت) ثم استدعى كشاهد فى قضية وكان القاضى يعتبر الغناء لهوًا محرمًا . فقال لأبى حنيفة : شهادتك مرفوضة لأنك وافقت على اللهو. فتخلّص الإمام من هذا الموقف بلباقته المعهودة وقال للقاضى : أسمعتنى أقول لها أحسنت أثناء غنائها أم بعد أن توقفت فقال القاضى : بعد أن توقفت . فقال أبو حنيفة إذاً فقد قلتها فى السكوت لا فى الغناء . فاضطر القاضى أن يتراجع ويقبل شهادته . فقال أبو حنيفة عن خصمه : لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله .

■ الآلات الموسيقية الحديثة :

كثيرًا ما نسمع من بعض من يميلون إلى التضييق على المسلمين حجة واهية تقول : " إن من الثابت أن الرسول ﷺ قد استمع إلى الدف وأجازه ولكنه لم يستمع إلى أى آلة موسيقية أخرى أو يبيحها فهى حرام . ويرد الدكتور أحمد شلبى فى كتابه "الحضارة الإسلامية"[1] والفن على هذه الحجة : " إن الله سبحانه وتعالى قد أباح ركوب الخيل والبغال والحمير. فى قوله تعالى : ﴿ **والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة** ﴾ [النحل : 18] فهل نقف عند الخيل والبغال والحمير ولا نركب السيارة والطائرة .

وما هذه الآلات الموسيقية الحديثة إلا امتداد للآلات التى كانت موجودة فى العصور الأولى . فإذا أبيحت الموسيقى فهى مباحة أيا كانت الآلات المستعملة فيها".

ونزيد على ذلك بأن الله تعالى أمر المسلمين بأن يعدوا لعدوهم قوة من الفرسان فقال تعالى : ﴿ **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل** ﴾ وإن الرسول ﷺ قد أمر المسلمين بتعلم الرماية بالنبل والرمح .. وقال ﷺ من تعلم الرمى ثم تركه فليس منا .

واليوم حلت الدبابة مكان الفرس .. وحل المدفع مكان النبل . فهل يريد هؤلاء أن يظل المسلمون على حالهم فى الماضى ويواجهون دبابات العدو ومدافعه بالقوس والسهام .. أى منطق هذا .

---

(1) كتاب الحضارة الإسلامية والفنون – د. أحمد شلبى مكتبة النهضة العربية ص 156 .

■ هل يحرم الإسلام أغانى الحب والغرام :

يتصور كثير من الناس أن الإسلام كدين جاد لا يسمح بالحب بين الرجل والمرأة مهما كان هذا الحب عفيفًا وشريفًا .. وهو بالتالى يرفض ويحرم كل أغانى الحب .. وهذه فكرة ظالمة ومشوهة عن الإسلام . فقد احترم الإسلام عاطفة الحب بين الجنسين واعتبرها أساسًا لدوام الحياة الزوجية واستمرارها . فقد نهى المسلم أن ينظر إلى المادة والمال فى اختيار الزوجة .. أو إلى الحسب والنسب ويجعلها فى المقام الأول .. بل أمره أن ينظر إلى المحبة والمودة أولاً .. فرسول الله ﷺ يقول : "تزوجوا الودود الولود " ومعنى الودود التى تشعركم بالحب والمودة . والقرآن الكريم يصف الحب بين الزوجين فيقول تعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل من بينكم مودة ورحمة** ﴾ [الروم 21] ويقول أيضًا ﴿ **وجعل منها زوجها ليسكن إليها** ﴾ [الأعراف 181] . فهذه التعبيرات القرآنية المودة والرحمة - والسكن والود ، هى كناية عما نسميه فى عصرنا الحاضر بالحب العاطفى والانسجام الروحى والفكرى . ورسول الله ﷺ يصف الحب الروحى فيقول " الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف " رواه مسلم ويقول أيضًا : " إذا تماسك الزوجان بأيديهما سقطت ذنوبهما من بين أيديهما " .

وجاء جماعة إلى الرسول ﷺ قائلين : " يا رسول الله عندنا يتيمة جاءها خاطبان . موسر ومعسر ونحن نهوى الموسر وهى تهوى المعسر فأيهما نزوجها ؟ " فقال ﷺ : " لم يُرَ للمتحابين مثل التزويج " وقضى أن تتزوج من تحب . رواه مسلم

وبديهى أن الحب الذى يأذن به الإسلام هو الحب النظيف العفيف الشريف الذى ليس فيه فحش الكلام ولا الخلوة المحرمة ولا يحب امرأة لا تحل له وغير ذاك من الشروط الشرعية . وعلى من يريد التوسع فى هذه الدراسة أن يقرأ كتابنا " ثقافة الجنس[1] بين الطب والديانات " وكتاب " الاختلاط[2] " ففيهما تفصيل عن الحب فى الإسلام .

وقد أقر الإسلام الكثير من الأشعار التى تعبر عن هذا النوع من الغزل والحب فقد روى الشوكانى أن رجلاً أنشد بين يدى الرسول ﷺ شعرا يقول فيه :

أقْبلت فلاح لها	عارضان كالسبج
أدبرت فقلت لها	والفؤاد فى وهج
هل علىّ ويحكما	إن عشقت من حرج

فقال له الرسول ﷺ : " لا حرج[3] إنشاء اللّه " .

وقد سمع الرسول الكثير من قصائد الدعوة الإسلامية والتى تبدأ بالنسيب كعادة العرب فلم يعترض عليها ، ومن ذلك قصيدة كعب بن زهير التى جاء فى أولها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول	متيّم إثرها لم يفد مكبولِ
هيفاء مقبلة عجزاءُ مدبرة	لا يشتكى قصر منها ولا طولِ
أرجو وآمل أن تدنو مودتها	وما إخال لدينامنك تنويل

---

(1) ثقافة الجنس بين الطب و الديانات – مكتبة الأمين ومدبولى .

(2) " الاختلاط فى الدين وفى علم الاجتماع " – الهيئة العامة للكتاب .

(3) كتاب " الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة للشوكانى ص 54 .

وقد سميت هذه القصيدة بالبردة لأن الرسول ﷺ قد كافأه عليها ببردته .. وظلت هذه القصيدة أجيالاً تلو أجيال يتغنى بها أمام الخلفاء والولاة والحكام فى شتى المناسبات ولم يعترض على الغناء بها أى فقيه .

وعلى هذا المنوال كثرت أغانى الحب والغرام فى التاريخ الإسلامى قديمه وحديثه .. وقد تعرض الإمام الغزالى لهذه القضية فى كتابه الشهير فقال " لا جناح فى سماع أغانى العشاق تحريكًا للشوق وتهييجًا للعشق وتسلية للنفس . فإن كان فى مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة . وإن كان ألمًا ففيه نوع لذة إذا تضاف إليه رجاء الوصال ، فإن الرجاء لذيذ واليأس مؤلم . وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الحب للشئ المرجو . وهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها " .

والحق أن هذا الكلام والتفسير من العمق بحيث يمكن أن ينسب إلى علماء التحليل النفسى فى القرن العشرين . ثم يختم الغزالى رأيه قائلاً : " أما الحرام فهو تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء " .

ومعنى هذه العبارة أن الحب الصحيح هو الذى يهدف إلى الزواج وبناء الأسرة .. فإذا لم يكن له هذا الهدف فهو عبث وإضاعة وقت .

5 - النهضة الموسيقية فى الحضارة الإسلامية :

بفضل ما قام به فقهاء المسلمين فى القرن الثالث والرابع الهجرى من اجتهادات تقدمية .. حدثت قفزة كبيرة فى فن الموسيقى والغناء . وظهر الكثير من العلماء الذين تخصصوا فى هذا الفن الرفيع .. فوضعوا له القواعد العلمية الجديدة .. وعكفوا على اختراع الكثير من الآلات

الموسيقية المتطورة التى لم تكن معروفة من قبل ، ووضعوا أول نونة موسيقية فى التاريخ ، وألفوا العديد من الكتب والمراجع التى كان لها الفضل فى النهضة الموسيقية المعاصرة فى الغرب .

ويأتى على قمة هؤلاء العلماء .. ابن سينا والفارابى والكندى .. وهم علماء موسوعيون . جمعوا بين علوم الطب والفلسفة والموسيقى ..

ويعتبر أبو نصر الفارابى المولود فى سنة 260هـ أبو الموسيقى العربية بفضل كتابه الموسيقى[1] الكبير الذى يعتبر أول موسوعة فى علم الموسيقى .

ومما يذكر أن عازفا موسيقيًا قد دخل على مجلس الخلفية فعزف على آلته الموسيقية مقطوعة عاطفية أثارت حزن الجميع حتى بللت دموعهم لحاهم .. ثم عدّل فى أوتار الآلة وعزف لهم لحنًا آخر أثار الضحك والمرح .. ثم قام بتعديل ثالث وعزف لهم لحنًا جعلهم يستغرقون فى نوم عميق .. ثم تركهم نيامًا وغادر المجلس . وقيل إن هذه الآلة من اختراع الفارابى نفسه الذى ابتكر وطور الكثير من آلات العزف .

وهذه القصة لها دلالة هامة : أن المسلمين قد توصلوا إلى ابتكار أنواع الموسيقى التأثيرية .. فمنها العاطفية ومنها الضاحكة .. وأخيرًا الموسيقى المنومة (Hypnotic) للتنويم المغناطيسى .

وتقول الدكتورة سيجريد هونكة فى كتابها المشهور " شمس[2] العرب تسطع على الغرب " إن النوتة الموسيقية المعاصرة أصلها عربى

---

(1) راجع كتاب " الموسيقى الكبير " للفارابى . تقديم د. محمود أحمد الحفنى – الهيئة العامة للكتاب .

(2) " شمس العرب تسطع على الغرب " الناشر المكتب التجارى للطباعة بيروت طبعة 1969 .

Do أصلها دال Re هى راء . Mi أصلها ميم . وهكذا .. وما نزال الأسماء العربية تسيطر على عالم الموسيقى المعاصرة . فكلمة Zambra أصلها الزمر وكلمة Tropan أصلها الطرب وكلمة Guitar أصلها القيثارة وكلمة Songas أصلها الصنوج . وكلمة Anfil أصلها عربى وهو النفيل مما يدل على أن العرب كانوا أول من أدخل هذه الآلات إلى أوروبا عن طريق العرب فى الأندلس

وقد شاهدت بنفسى أحد أعظم إنجازات الحضارة الإسلامية فى مجال الموسيقى والتى مازالت باقية حتى عصرنا الحاضر .. وهى قاعة الصوتيات فى مدينة أصبهان فى إيران وهى أول قاعة موسيقى بأسلوب علمى فى التاريخ الإنسانى Acoustic Hall . وقد صممت جدرانها وفيها تجاويف على شكل آلات موسيقية . فى ترتيب هندسى خاص . بحيث إذا عزفت فيها فرقة ضخمة من الموسيقيين والمغنيين .. فإنها تجسم الصوت وتمنع الصدى أو تداخل الأنغام والآلات مع بعضها . وكان ملوك أوروبا فى ذلك العصر يبعثون الوفود من المهندسين والمعماريين لمعرفة سرها . وكان أول من نقل الفكرة هم أباطرة النمسا عاصمة الموسيقى فى العصر الحاضر .

أيضًا زرت عددًا من المساجد الإسلامية فى الأندلس وإيران ودمشق .. التى يتسع الواحد منها لآلاف المصلين .. ومع ذلك فقد صممت بطريقة هندسية يراعى فيها علم الصوتيات . بحيث تنقل صوت خطيب الجمعة من خلال الجدران حتى يصل آخر صفوف المصلين وذلك قبل عصر مكبرات الصوت .

إننا حين نعلم ذلك كله .. فلا شك أن نتعجب ونضحك حين نسمع أن بعض فقهاء المسلمين المعاصرين .. ونحن في مطلع القرن الواحد والعشرين .. يفتي بأن الموسيقى حرام .. والغناء حرام .. أي تخلف نعيشه اليوم ؟!

6 - أمثلة الأغاني العربية الهادفة :

ذكرنا في مطلع حديثنا عن فن السماع أن الأغنية الأوروبية قد وصلت درجة رائعة من الرقي وأنها تناولت أهدافًا كثيرة التنوع ولم تقتصر على مجرد الطرب والتسلية . هذا في حين أن الأغنية العربية تمر الآن بفترة من التخلف والركود . حيث أصبحت بلا هدف ولا غاية . وتغلب عليها المعاني التافهة والساذجة والمستهترة .. ولكننا هنا نضرب المثل بفنان واحد ولد في مصر سنة 1892 وكان بأغانيه يعبر عن الحس الصادق لشعبه وأمته .. وطرق بفنه كل مشاكل مصر : الوطنية والاقتصادية والصحية والاجتماعية .

ورغم أن معظم أغانيه كانت باللغة العامية الدارجة .. إلا أنه كان في نظري أقرب إلى المصلح الاجتماعي .. أو المناضل الوطني منه إلى المطرب الشعبي .

إنه الفنان الكبير الشيخ سيد درويش[1] . الذي بدأ حياته طالبًا في المعهد الديني بالأسكندرية وحفظ الكثير من القرآن والحديث .

---

(1) لمزيد من الاطلاع راجع كتاب " سيد درويش حياته وأثر عبقريته " د. محمود أحمد الحفني - الهيئة العامة للكتاب سلسلة أعلام العرب .

وكان يقيم فى مسجد الشوربجى ويعمل فيه مؤذنًا بصوته الجميل .. وينشد التواشيح فى الموالد والأفراح .. ويؤلف الزجل والأشعار ثم يلحنها بنفسه . وبفضل هذه النشأة الدينية أصبح واسع الثقافة .. وتربى لديه حس وطنى ووعى وإدراك لقضايا أمته وشعبه المطحون المحروم من التعليم ومن خيرات بلده . فإذا به يدافع عن قضايا العمال والفلاحين .. والمرأة والطفل .. ويتصدى للاحتلال البريطانى ... ففى قضايا المرأة وتشجيعها على المطالبة بحقوقها يقول سيد درويش .

دا وقتـــك دا يومـــك	يـــا بنـــت اليـــوم
قومـــى اصحـــى مـــن نومـــك	بزيـــاداكى نـــوم
وطـــالبى بحقوقـــك	واخلصـــى مـــن اللـــوم
اشمعنـا فـى أوروبـا الستات	لهـم صـوت فـى الانتخابـات

وفى تشجيعه للعمال على النشاط والرزق يقول :

الشـــمس طلعـــت	والملـــك لله
اجـــرى لرزقـــك	خلليـــها علـــى الله
ماتشـــيل قدومـــك	والعمـــدة وبـــالله

ويتحدث عن منافسة الأجانب للعامل المصرى أيام الاحتلال البريطانى فيقول :

طلـع النـهار فتـاح يـا عليـم	والجيـب مافـهش ولا مليـم
مين اليومين دول شاف تلطيم	زى الصنايعيـــة المظـــاليم
أولاد أوروبـا مـا بينـاموش	عـن الصنـايع مـا يونـوش
الافـرنجى داير حلـق حـوش	والمصـــرى جنبه يطلع بوش

ثم يحث الأغنياء على مساعدة العمال وإيجاد فرص العمل لهم فيقول :

سبع صنايع فى إيدينا والهم جاير علينا
ياما شكينا وبكينا يا أغنيا ليه ما تساعدوش

ويقوم سيد درويش بالدعاية للصناعات المحلية المعروفة فى عصره مثل القلل فيقول :

مليحة جوى القلل الجناوى رخيصة جوى الجلل الجناوى
إن كنت جلبك على ابن جنسك شجع صنايعه ينفع بحسك
دا ابن وطنك ما يبلفكش ما تعدموش ولا يعدمكش

ويحث الفلاح على الاستيقاظ المبكر والدأب فى العمل فيقول :

طلعت يا محلا نورها شمس الشموسة
يا للا بنا نملا ونحلب لبن الجاموسة

وفى لحن الصنايعية يقول :

الحلوة دى قامت تعجن فى البدرية
والديك بيدن كوكوكوكو فى الفجرية
ياللا بنا على باب الله يا صنايعية
يجعل صباحك صباح الخير يا أسطى عطية

ويتحدث عن الاستعمار البريطانى وأعماله الإجرامية فيقول

ما قطعوا لنا التليفونات وعطلوا التلغرافات
عمرك سمعت الدلنجات يسافروا لها بباسبورتات

وعن المظاهرات النسائية وإضراب العمال :

يا ما شوفنا من الستات	طلعوا وعملوا مظاهرات
والكناسين ضربين راسهم	بألف مقشة
لا يكنسوا كنسة ولا	يرشوا رشة

والصنايعية راحم جايين حرق فى أحسن ورشه

أما أغانيه الوطنية فلا تعد ولا تحصى . بعضها بالعربية الفصحى مثل :

بلادى بلادى ... لك حبى وفؤادى ...

والبعض بالعامية مثل :

سالمة يا سلامة	روحنا وجبنا بالسلامة

وهذه الأشعار والزجل كلها من تأليف الشيخ سيد درويش وتلحينه أيضاً .

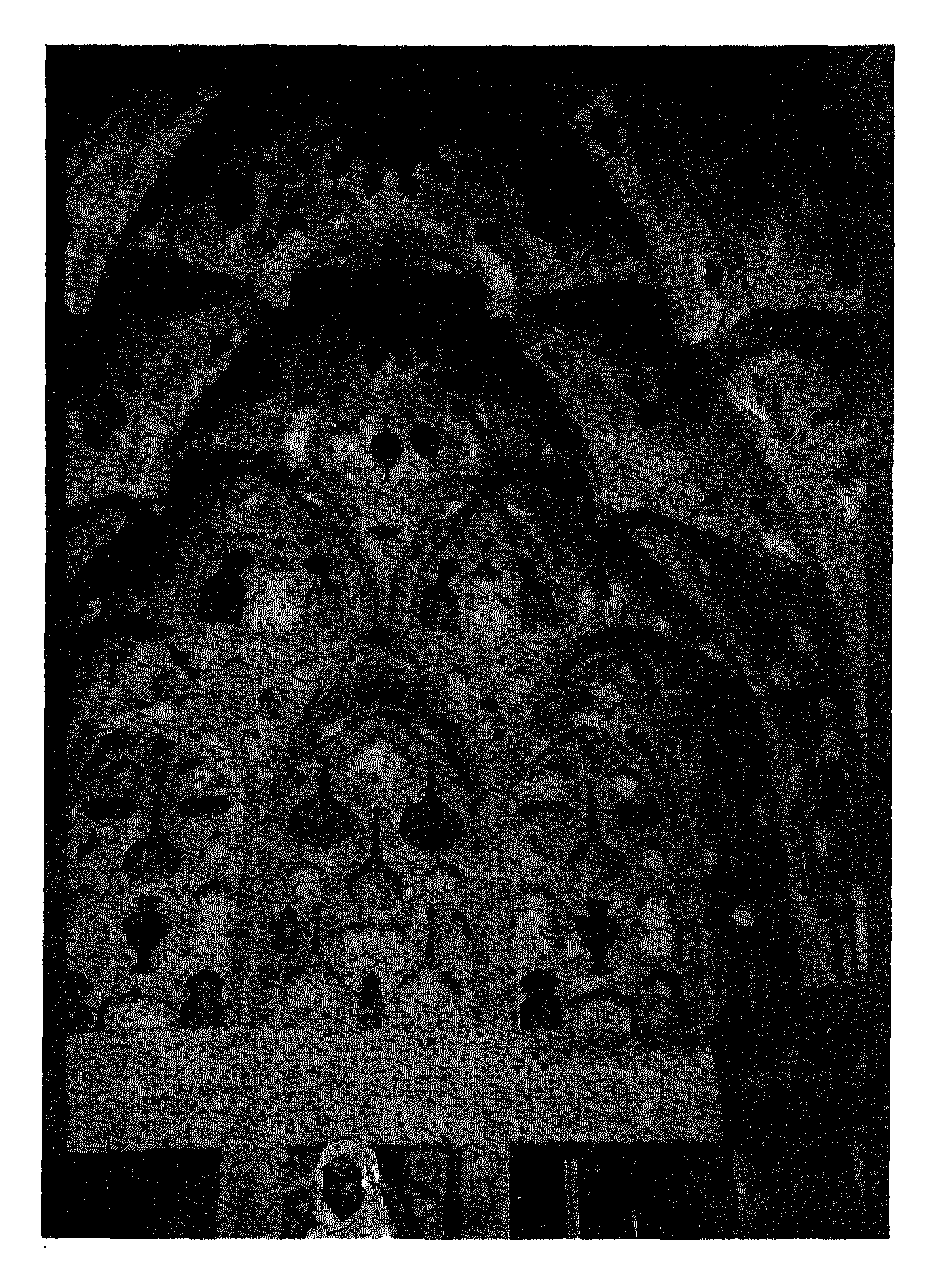
أما أغانيه العاطفية فكانت تتمثل فيها الرقة والخلق الكريم وعفة الأخلاق وصيانة الأعراض .. أسمع قوله .

جاية من الترعة سمعوا	رنة خلخالى
جاه يجرى ورايا الأسمر	واقع فى جمالى
جلت له روح لأبويا	واتمنى وصالى
على شرط تقدم مهرى	ستين خيالى

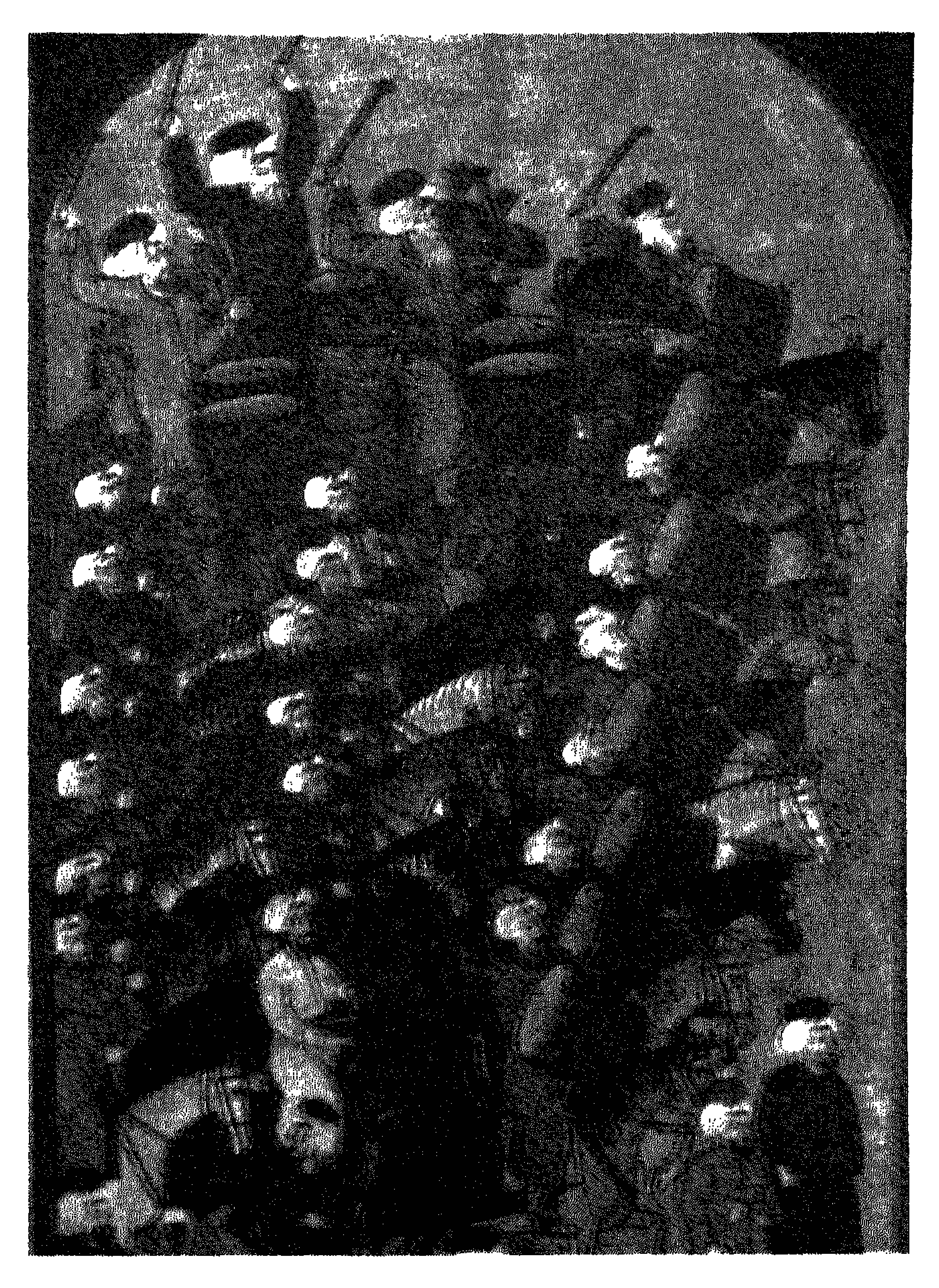
قارن هذا الغزل بما نسمعه هذه الأيام من غزل فاضح مثل " قولهم " أفوت عليكى بعد نصف الليل " .

كانت هذه نماذج من الأغنية العربية الهادفة .. التى يمكن أن تكون وسيلة إصلاح .. وتربية وتوجيه .. والتى لا تتعارض مع الدين والفضيلة .. ويحث عليها الإسلام .

أتعجب لماذا لا يحاول المصلحون والناقمون على الأغانى الهابطة بدلاً من أسلوب المنع والسخط أن يقيموا المسابقات ويرصدوا الجوائز للأغانى الهادفة التى تحث على الفضيلة وتحارب الفساد .. وأقول لهم " لا تلعنوا الظلام .. ولكن أضيئوا شمعة " .



أول قاعة للصوتيات فى التاريخ الإنسانى Acoustic Hall لسماع الفرق الموسيقية الكبيرة ومنع صدى الصوت (أصفهان بإيران)



فرق الموسيقى العسكرية فى الجيوش الإسلامية

وتشمل النفير والأبواق وطبول الحرب



الإحتفال السنوى بذهاب الحجاج ثم عودتهم

كانت تصاحبه الموسيقى والأناشيد رسمة فى أحد المخطوطات الإسلامية



Qanun player, The Thousand and One Nights



عازفة القانون وعازف الناى من مخطوطات إسلامية

الباب الرابع

فن الرقص

عندما تتحدث عن الرقص أمام أى رجل من عامة الناس فى عالمنا العربى .. فإن أول ما يخطر بباله هو ما يسمى الآن بالرقص العربى .. والذى تقف فيه الراقصة شبه عارية إلا من غلالة رقيقة تشف عن بدنها .. وحولها جمهور من السكارى يتمايلون ويتصايحون صيحات لا تعبر عن الإعجاب بفنها بقدر ما تعبر عن الجوع الجنسى .. وتصاحب هذا الرقص موسيقى صاخبة .. وشديدة البدائية .. تحدث الإزعاج والهياج أكثر مما تحدث الطرب والمتعة الذهنية ..

وكبداية نقول : إن هذا النوع من الرقص ليس عربياً . بل هو فى الأصل مملوكى تركى دخل العالم العربى فى عصور الظلام التى حكم فيها المماليك والأتراك العالم الإسلامى .. ومن الناحية الفنية فهو لا يعتبر فنًا على الإطلاق لأن من شروط العمل الفنى أن يكون فيه تعبير عن معنى معين .. وأن يكون له هدف راق .. بينما هذا النوع من الحركات البدائية ما هو إلا تعبير بدائى عن غريزة الجنس . فهو مرفوض فنياً ويتعارض مع الذوق الراقى ولا يقبله أى إنسان مثقف .. أما من الناحية الدينية فهو حرام قطعاً لما فيه من عرى وإثارة للغرائز والجنس .

كانت هذه مقدمة لابد منها حتى نعرف الفارق بين الرقص الراقى الذى يعتبر فناً عريقاً .. وبين الرقص العربى .. أو بين الفن والفساد ..

فما هو فن الرقص ؟

الرقص هبة من الله تعالى لكل المخلوقات لكى تعبر بها عن عواطفها أو أفكارها . يستوى فى ذلك الحشرة أم الطائر أم الحيوان أم الإنسان .

فالحشرات ترقص وأشهرها رقصة النحلة . إذ تصعد الملكة فى الهواء ويتبعها الذكور وتأخذ فى الرقص لجذبهم لها . ولغة التخاطب بين النحل هى الرقص . وإذا وجدت إحدى شغالات النحل حقلاً للزهور تعود إلى الخلية وترقص بهز وسطها وجناحيها فيفهم الجميع ما تريد ويذهبون إلى المكان الذى تحدده لهم .

والطيور ترقص عند التزاوج وعند الطعام وعند الاستحمام فى الماء وعند طلوع الشمس .. أما الإنسان فهو الراقص الأول بين مخلوقات الله . فهو يبدع فى فن الرقص . فيختار المكان الجميل والموسيقى المناسبة والملابس المبهجة والمناسبات المختلفة . وهو يرقص للفرح كما يرقص للحزن . ويرقص للسلام كما يرقص للحرب . ويرقص للحب كما يرقص للثأر والانتقام ويرقص للمناسبات التاريخية والسياسية والاجتماعية والعائلية .

وقد أبدع الإنسان بعبقريته وخياله فى تطوير فن الرقص والاستفادة منه . فهناك فن رقص الباليه ورقص الفولكلور والرقص الشعبى والرقص الزوجى والرقص الجماعى ورقص الرجال ورقص النساء والرقص على الثلج والرقص على الماء .

وللرقص عند الإنسان فوائد كثيرة ومتنوعة ..

فهو فن يعبر عن العواطف الإنسانية . وهو نوع من الرياضة البدنية . ووسيلة للاحتفال بالأعياد والزواج والمناسبات الوطنية .

وقد اكتشف علماء النفس أن الرقص وسيلة جيدة لعلاج الكثير من العقد والأمراض النفسية والكبت والاكتئاب وبعضهم اليوم يعالجون هذه الأمراض بحلقات من الرقص الجماعي .

■ الرقص عند العرب :

لقد عرف العرب رقصة السيف التى يرقصها الرجال وحدهم وما زالت هذه الرقصة حتى يومنا هذا فى الحجاز ودول الخليج حيث يحملون السيوف الثقيلة ويرقصون فى صفوف كبيرة على أنغام الدفوف والطبول .. أيضاً جاء فى كتب السيرة أن الرسول ﷺ قد اصطحب زوجته السيدة عائشة لكى تشاهد رقص الأحباش عندما حضروا إلى المدينة فجلست معه وخدها على خده .. وأخذوا يتابعونهم وهم يعزفون ويرقصون حتى كانت هى التى إكتفت وطلبت الانصراف .

وجاء فى السيرة أيضاً أن امرأة من نساء الصحابة سألت رسول الله ﷺ إذا أعاده الله من إحدى الغزوات ظافراً أن تضرب بالدف على رأسه وترقص له فأذن لها .

والشعوب العربية فى العصر الحاضر لها كثير من أنواع الرقص منها رقصة الدبكة فى لبنان وسوريا ورقصة التحطيب فى مصر والرقص الفولكولورى الذى يلبس الراقصون فيه الملابس الشعبية التقليدية لكل بلد وكل مدينة .

والفقه الإسلامى لم يتعرض للرقص ولكن هناك قواعد عامة فى الشريعة لابد من مراعاتها . فالرقص للمرأة والرجل يجب أن يكون فيه :

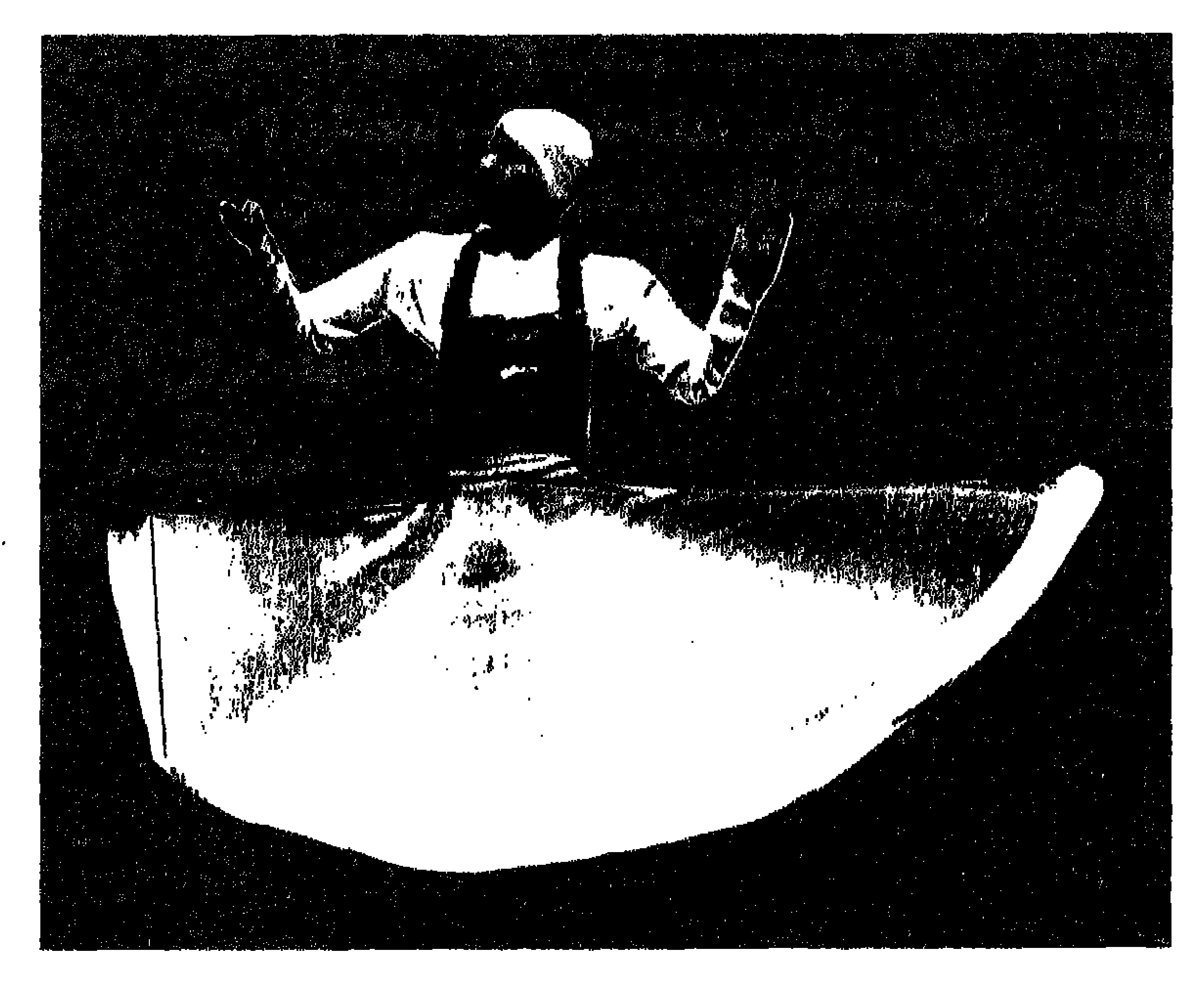
* الملابس المحتشمة التى تقرها الشريعة .

* أن لا يكون فى الحركات أى إثارة جنسية أو خلاعة .

* مراعاة الجمهور لجو الوقار وعدم المبالغة أو فحش الكلام أو استعمال المنكرات .

وقد أنتشر فى مصر وبعض بلاد العالم الإسلامى هذه الأيام فن الباليه وهو نوع من الرقص التعبيرى الهادف الذى تصاحبه الموسيقى الراقية وهو مفيد للصحة وخاصة للأطفال . وتتبنى فرق الباليه فى مصر وزارة الثقافة . وحبذا لو ينشأ لدينا فى مصر فن باليه عربى . تراعى فيه الملابس والحركات المحتشمة التى تتناسب مع التقاليد الإسلامية وبذلك نقدم إلى الإنسانية فناً جديداً خاصاً بنا بدلاً من مجرد التقليد والنقل عن الآخرين .





الباب الخامس

فـن التمثيل

1 – لمحة تاريخية

2 – التمثيلية والغزو الفكرى .

3 – الإسلام والتمثيل والرد على المعارضين للتمثيل .

4 – أهداف التمثيلية الإسلامية

5 – حول منع ظهور بعض الشخصيات فى التمثيلية الإسلامية

6 – الرقابة الدينية . فوائدها ومخاطرها .

7 – ما هو المطلوب لإنجاح العمل الإسلامى ؟

8 – فيلم · محمد رسول الله لماذا منع · ؟

إن الإعلام الإسلامى . إذا صدقت فيه النية وأستقامت الوسيلة فإن الأستديو يتحول إلي ميدان جهاد لإعلاء كلمة الله

من مقررات المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة والدعاة الإسلاميين بالمدينة المنورة 1997 .

1 - لمحة تاريخية :

فن التمثيل هو أحد الفنون الجميلة التى ظهرت مع تطور الحضارة الإنسانية ورقى المجتمع .. ويرى المؤرخون أن الفنون الأولى التى عرفها الإنسان القديم هى فن السماع والنغم أولاً باعتبار أنه استجابة للطبعة .. ثم تلاه فن الرسم ثم ظهر بعدها فن التمثبل بعد اكتمال نضج المجتمعات الإنسانية .

وقد كانت التمثيليات الأولى قبل نزول الأديان السماوية تدور حول تعدد الآلهة والصراعات بينها .. والحوار بين إله الخير وإله الشر وبين الحياة والموت والخصب والجدب . وبعد ظهور المسيحية فى أوربا توقف المسرح تمامًا بأمر من الكنيسة ثم فى القرن العاشر الميلادى ظهر نوع جديد من المسرح المسيحى يسمى مسرح المعجزات والذى يقوم على أساس دينى كنيسى ويمجد معجزات المسيح .

وأخيرًا وفى القرن 16 ظهرت أول موجة من المسرحيات التى تخرج عن النطاق الدينى فى أوربا وابتدأ عصر جديد فى التمثيل الذى يتناول قضايا الإنسان .

وتعتبر الأوبرا العالمية أرقى أنواع فن التمثيل على الإطلاق ... فهى تجمع بين خمسة عناصر فنية : هى فن القصة وفن التمثيل وفن الشعر وفن الموسيقى وفن الغناء .

أيضًا ظهرت أجيال من مؤلفى المسرح العظام أمثال شكسبير وتوماس ديكنز في إنجلترا . وبعد أن كانت موضوعات المسرح محدودة وكلها تدور حول صراعات الآلهة ابتدأ التمثيل يتناول جميع موضوعات الحياة العامة والعلاقات الإنسانية وكل ما يهم الإنسان

فى يومه وغده وآماله وطموحاته .. فنجد التمثيليات المعاصرة تتناول قضايا الحرب والسلام والعداوة والصداقة والفقر والرخاء والكراهية والحب .. وفيها فلسفة وعلم نفس وقضايا اجتماعية وإنسانية وأخرى سياسية .. ووطنية وأخرى دينبة وأخلاقية وأخرى تثقيفية وتعليمية .

2 - التمثيلية والغزو الفكرى :

السينما والتليفزيون ودورهما فى التأثير على المجتمع :

لو سئل أى إنسان عن أى شئ يؤثر فيه أكثر من غيره : الخطب المباشرة .. والنصائح والمواعظ سواء كانت على المنابر الخطابية .. أم فى الحديث التليفزيونى . أم التمثيلية سواء كانت فى شكل فيلم أو مسلسل تليفزيونى . أو على المسرح .. فلا شك أن الإجابة ستكون لصالح التمثيلية .. والحوار النابض الحى .. والصور المتحركة .

ومما لا شك فيه أن الصورة الواحدة أكثر إقناعًا وشدًا للانتباه من عشرات الكلمات .

وإن القصة والتمثيلية الهادفة أقدر على توجيه الناس من الموعظة المباشرة والخطب الطويلة .. وما على من يشك فى هذا إلا أن يراقب أى أسرة فى مجتمعنا العربى والإسلامى وهى تجلس بجميع أفرادها أمام التليفزيون تشاهد التمثيليات الأجنبية والعربية الناجحة .. فيرى مدى اهتمامهم جميعًا بما يشاهدونه يستوى فى ذلك الرجل والمرأة .. الجاهل والمتعلم .. السيد والخادم .. وابتداء من الطفل الصغير وحتى الشيخ الكبير .. ونرى كيف تشدهم هذه المشاهد الدرامية والحوار المتقن إلى حد أن يرتبوا أوقاتهم ومواعيدهم ومواعيد طعامهم مع مواعيدها ..

ويرفض الواحد منهم أى صوت دخيل .. بل يرفض القيام من مقعده لكى يشرب كوب ماء خوفًا من أن يفوته شئ من الأحداث .

فما أن تنتهى التمثيلية .. ويبدأ موعد الحديث أو الخطبة أو الموعظة فإن أغلبهم يقوم من مكانه وينصرف إلى عمله أو واجباته ومسئولياته .

وليس ذلك ناتجًا عن نقص فى الدين .. أو سوء فى الخلق .. أو رفض العلم والثقافة كما قد يحلو لبعض الناقدين الساخطين أن يتهموا الناس .. ولكن السبب الحقيقى أن التمثيلية أصبحت لغة العصر وطغت على أسلوب الخطابة والموعظة المباشرة .

ويخطئ من يتصور أن فن التمثيل وسيلة تسلية وترفيه ولهو فحسب .. ففى الدول الناهضة القوية والتى تتمتع بالديمقراطية أصبحت التمثيلية سواء كانت فيلمًا سينمائيًا أو حلقة أو مسلسلاً تليفزيونيًا أصبحت لها أهداف بعيدة المدى منها الاجتماعى ومنها التثقيفى ومنها التربوى إلى جانب الترفيه والتسلية .. ومن القواعد المتعارف عليها علميًا أن أى تمثيلية لكى تعتبر عملاً ناجحًا .. فلابد أن يكون لها هدف معين .. حتى لو كانت تمثيلية فكاهية تقوم على الإضحاك .. فلابد أن يخرج منها المشاهد بحكمة معينة وإلا تفقد الكثير من عناصر النجاح والتفوق .

وقد أصبحت التمثيليات الجيدة ذات تأثير خطير وفعال لا فى بلادها فحسب .. ولكن هذا التأثير أصبح عالميًا بفضل انتشار وسائل الإعلام الحديثة كالراديو والسينما والتليفزيون وتوحدها فى العالم المعاصر .. وقد استطاع الكثير من التمثيليات والأفلام أن يسيطر على

الرأى العام العالمى وأن يغير الأفكار والتقاليد والعادات بل وأيضًا استطاعت بعض الأفلام أن تثير المظاهرات وأن نسقط الحكومات .

والمعروف أن حرب فيتنام قد توقفت نهائيًا بعد أن أنتجت إحدى الشركات الأمريكية فيلمًا عن مآسى هذه الحرب وما يقوم به الجيش الأمريكى من مذابح وأهوال لهذا الشعب الأعزل المناضل .. فما أن رأى الشعب الأمريكى هذا الفيلم حتى قامت المظاهرات العارمة ضد هذه الحرب مطالبة بانسحاب أمريكا منها ؛ هذا الفيلم هو الذى أسقط حكومة نيكسون وأوقف الحرب[1] الفيتنامية .

وفى مصر أيضًا استطاعت السينما والتليفزيون أن ينتجوا أفلامًا وتمثيليات لفضح الجماعات المتطرفة والإرهابية التى كانت تتمسح باسم الإسلام وهى تنشر الذعر وتفجر القنابل وتسفك الدماء وتحل المحرمات .

ويرغم ضعف هذه الأعمال فنيًا .. بسبب ضعف الإنفاق فقد كان لها الفضل فى تنبيه الشعب لمقاومة الإرهاب وفضح أكاذيبه وتستره بالدين مما جعله يموت بالتدريج .

■ الصهيونية العالمية والتمثيلية :

لقد تنبهت الصهيونية العالمية إلى أهمية التمثيلية منذ وقت مبكر جدًا فعملوا على السيطرة على جميع وسائل الإنتاج السينمائى والتليفزيونى والمسارح العالمية . ومعروف أن أغلب هذه الوسائل فى

---

(1) اسم هذا الفيلم الأمريكى (الرؤيا الأن) . Apocalips Now

العالم يتملكها يهود . وفى مقدمتها شركة (مترو) وشركة (وارنر) العالميتان وأصحاب مترو هما الأخوان (ناحوم جولد مان ومائير) وهما من الصهاينة المتعصبين . جاء ذلك فى بروتوكولات حكماء صهيون عن خطتهم للسيطرة على العالم[1] عن طريق السينما .

وهاهم اليوم يوجهون دعايتهم ضد العرب والإسلام فى موجة من الأفلام التى تبين الإنسان العربى والمسلم بأنه متخلف ومتعصب وإرهابى وإن الإسلام دين الرجعية والجمود والإرهاب والعالم يصدقهم .

ولاشك أن السبب فى نجاحهم هو تقصيرنا فى حق أنفسنا وديننا إذ لم نحاول أن نرد عليهم بسلاحهم .. ولم ننتج فيلمًا واحدًا بهذا المستوى العالمى المتقن يدافع عن قضايانا ، وعن ديننا . أو بفضح أكاذيبهم عنا . وذلك رغم أن العالم الإسلامى لا تنقصه الإمكانيات المادية ولا الفنية للدخول فى هذا الميدان . ولكن العالم الإسلامى ما يزال يتساءل : هل التمثيل حلال أم حرام ؟ هل مشاهدة المرأة فى التليفزيون حلال أم حرام ؟ وهل صوت المرأة عورة أم ليس عورة ؟

■ فن التمثيل فى العالم العربى :

لم يعرف العرب فن التمثيل .. لا فى الجاهلية ولا بعد الإسلام .. وهذا أمر بديهى ومتوقع .. فكما ذكرنا عن تاريخ المسرح كانت المسرحيات الأولى دينية وتقوم على مبدأ تعدد الآلهة والصراع بينها .. وهذا ما جعل العرب يبتعدون عن فن التمثيل بعد أن أغناهم الله عنه بدين التوحيد .

---

(1) بروتوكولات حكماء آل صهيون . ترجمة محمد خليفة التونسى .

ورغم شغف العرب فى أوج حضارتهم بالعلم وبترجمة الكتب الإغريقية فى كل المجالات الحضارية النافعة .. كالطب والهندسة والفلك والمعمار والموسيقى فقد انصرفوا تمامًا عن علم التمثيل ولم يترجموا كتابًا واحدًا عنه مثل كتب اسخيلوس أو سفوكلبس وغيرهم الذين وضعوا قواعد المسرح الإغريقى .

ولم يدخل التمثيل فى العالم العربى والإسلامى إلا بعد منتصف القرن 19 وبداية القرن العشرين بعد أن كان المسرح قد بلغ فى العالم درجة الكمال . وكان أول دخوله فى العالم العربى على أيدى المسيحيين العرب . ويعتبر الرواد الأول فى هدا المجال الأخوان مارون نقاش وشقيقه نقولا سنة 1847 ثم ظهر فى مصر يعقوب صنوع سنة 1870 وتلاه إسكندر فرج ثم جورج أبيض سنة 1912 . وكانت هذه جهود فردية ثم جاءت الطفرة الحقيقية على يد رائد الاقتصاد العربى محمد طلعت حرب الذى بحسه الوطنى وذوقه الفنى يقدر أهمية فن التمثيل فأسس ما يسمى (شركة ترقية التمثيل العربى) فكان بذلك فاتحة عهد جديد فى التمثيل المبنى على الدراسات العلمية الحديثة .. وبفضل هذه الرؤية السابقة لعصرها تنبهت الحكومات فى مصر إلى رعاية هذا الفن فأسست معهد التمثيل العربى وكونت الفرق القومية المدرسية والفرق العسكرية وفرق التليفزيون والسينما . وأنجبت مصر عباقرة المؤلفين فى التمثيلية والقصة مثل أحمد شوقى وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس الذين ظهرت أعمالهم فى المسرح والسينما والتليفزيون وأثروا فن التمثيل العربى .

وقد عـالجت التمثيلية العربيـة الكثير من القضايا الحيوية فى المجتمع العربى والإسلامى .. فظهرت الكثير من المسرحيات والأفلام والتى تعالج التاريخ الإسلامى ومعارك الإسلام وأمجاده .. ومن أشهرها وأعظمها فيلم (الرسالة) أو محمد رسول الله . عن حياة الرسول ﷺ وجهاده .. وفيلم (عمر المختار) وفيلم (صلاح الدين الأيوبى) ويعتبر مخرج فيلم الرسالة مصطفى العقاد من الرواد العالميين وقد أخرج منه نسخة أجنبية إلى جانب النسخة العربية فكان من أعظم الأعمال دعاية للإسلام وسوف نعود إليه بمزيد من التفصيل .

وعلى المسرح ظهرت مسرحية أهل الكهف وشهرزاد لتوفيق الحكيم وغروب الأندلس والعباسة لعزيز أباظة ومسلسل الفرسان التليفزيونى . وقد عالجت التمثيلية العربية الكثير من مشاكل المجتمع العربى والإسلامى منها قضايا اجتماعية وأخرى فقهية وأخرى اقتصادية وسياسية .

ومن هذه القضايا الاجتماعية الحساسة " أريد حلاً " و " عفوًا لا أريد هذا الطلاق " ومن القضايا السياسية " ليلة القبض على فاطمة " .. وهكذا ...

ورغم هذه المحاولة فإن التمثيلية فى العالم العربى لم تخرج إلى درجة النضج حتى يومنا هذا . ولم تأخذ دورًا ايجابيًا فى التأثير على المجتمع ولم يستفد الإسلام والمسلمون منها إلا فى أضيق الحدود مما يدعو إلى دراسة الأسباب والمعوقات .

3 - الإسلام والتمثيل :

القـرآن الكريـم والحديـث الصحيـح ليـس فيـه أى إشـارة إلى فـن التمثيـل .. لا بالإباحـة ولا بـالمنع . لأن هـذا الفـن لم يكـن معروفًـا عنـد العرب .. والقاعدة الشرعية تقول إن الأصل فى الأشياء هو الإباحة مالم يكن هناك نص على تحريمها . فالتمثيل مباح قطعًا .. وينطبق عليه ما ينطبـق علـى الغنـاء مـن قولهـم " إن الغنـاء كـالكلام . فحسـنة حسـن وقبيحه قبيح " . ونفس الشئ عن التمثيل فإذا بعد عن أى عنصر من عنـاصر الفساد التـى ذكرناهـا سـابقًا فـلا بـأس بـه .. وأهـم مـن هـذا أن التمثيلية إذا كـان الهدف منها خدمة الإسلام فـهى بـلا شـك نـوع مـن الجهاد فـى سبيل الله يثـاب عليـها القـائمون بـها . فـالتمثيل بجميـع وسـائله مـن مسـرح وسـينما وتليفزيـون ليـس إلا وسـيلة مـن وسـائل الحضـارة الحديثـة مثلـه فـى ذلـك مثـل الكـهرباء والسيارة والطـائرة .. ولـو كـانت هـذه الوسـائل معروفـة علـى عـهد الرسـول ﷺ لمـا توانـى فـى استخدامها لخدمة دعوته . فقد كان ﷺ حريصًا على استخدام أحدث وأفضل السلاح لجنوده .. وقد سمع الرسول من أصحابه العـائدين من الحبشـة عـن سـلاح فعـال يسـتعمله الأحبـاش فـى حروبـهم يقـال لـه (العنزة) فـأمرهم أن يدرسوه ويصنعوه لجيشـه وكـان أول مـن أدخـل هذا السلاح الجديد فى جزيرة العرب . وعلى هذا فإن من يحارب فن التمثيل أو يحـارب هذه الوسـائل الإعلاميـة الحديثـة إنمـا يرتكـب وزرًا كبيرًا .

المعارضون لفن التمثيل : كما رأينا معارضة شديدة لكل فن من الفنـون السـابقة كـالموسيقى والغنـاء والتصوير .. فهنـاك مـن يعـارضون فن التمثيل . وهذه هى بعض حججهم والرد عليهم .. فمنهم من يقول :

1 - إن التمثيل مهنة أهل البطالة والفساد :

وهذه فكرة خائطة وظالمة ونعود إلى عهد بعيد انتهى .. حقيقة أن أول من اشتغل بفن التمثيل فى العالم العربى كانوا من العوالم والغوانى وأهل البطالة والسكر والفساد .. ولكن الزمن قد تغير .. وأصبح للتمثيل معاهد عليا وأصبح فنًا مدروسًا .. مثله فى ذلك مثل أى مهنة شريفة أخرى كالطب والمحاماة والهندسة. واشتغل الكثير من أصحاب هذه المهن بالتمثيل .. والكثير من الممثلين المثقفين قد بلغوا مكانة أدبية واجتماعية رفيعة . ومنهم من نجح فى عضوية المجالس الشعبية ومنهم مَن أصبح من كبار رجال الأعمال . ومنهم المتدينون والمصلحون الذين يبذلون أموالهم فى أوجه الخير والبر .. وإذا كان أحد الممثلين فى أمريكا قد نجح فى انتخابات رئاسة الجمهورية .. بفضل شخصيته وكفاءته وهو الرئيس ريجان .. فليس مستبعدًا أن يأتى يوم فى العالم العربى لكى يصل أى ممثل بفضل كفاءته الشخصية إلى مثل هذا المنصب .

كل هذا لا يمنع أن يكون فى الوسط الفنى فئة من المفسدين شأنه فى هذا شأن أى مهنة أخرى . ربما كانوا فى الوسط الفنى بالذات أكثر من غيره .. وهذا أمر يمكن التحكم فيه ولو اقتضى الأمر طرد هذه العناصر من أجل صالح العمل وسمعته ونجاحه .

ويقودنا هذا الحديث إلى ظاهرة تكررت فى الوسط الفنى هذه الأيام وهى أن بعض الممثلات المشهورات قد اتجهن إلى الدين .. والعبادة .. والصلاة .. وتحجبن .. وهذه ظاهرة مباركة تستحق التشجيع والثناء ، ولكن المبالغة فيها قد يعتبر حالة مرضية وغير صحية . وخاصة

وأن بعضهن قد انقطعن عن التمثيل بعد أن قيل لهم إن التمثيل حرام .. وهذا كلام خاطئ ومضلل وقد ذكرنا أكثر من مرة فى هذا الكتاب أن هناك فارقًا بين الفن والفساد .. وأن الفنان الصالح الكفء يستطيع أن يخدم دينه ووطنه بفنه مثل ما يفعل أى مواطن شريف لوطنه ودينه . وكان الأولى بهؤلاء الممثلات اللائى أطلق عليهن لقب " التائبات " بدلاً من أن يعتزلن الفن وينقطعن فى البيوت .. أن يتبعن طريقًا أكثر إيجابية .. وأكثر ثوابًا بالجهاد عن طريق الفن والتمثيل فى أعمال فنية هادفة تخدم الدين والمجتمع .. وإلا لو كان كل إنسان فنان صالح متدين يهجر العمل الفنى فمعناه ترك الفن لأهل الفساد .

2 ـ اختلاط الجنسين فى التمثيل :

يقول المعارضون للتمثيل إن فيه اختلاط وخلوة بين الرجال والنساء وبعضهم قد يكون فى سن المراهقة مما قد يؤدى إلى الانحراف .. وهذه القضية تحتاج إلى وقفة وشرح مستفيض ودقيق لجميع أبعادها وحكم الدين فيها .. وقد فصلت ذلك من جميع الروايا فى كتابى " الاختلاط فى الدين وفى التاريخ وعلم الاجتماع "[1] وعلى من يريد التفاصيل أن يعود إلى هذا الكتاب .

والخلاصة فى هذه المسألة .. إن الإسلام يحرم الخلوة ولكنه يسمح بالاختلاط .. فالخلوة معناها وجود الرجل والمرأة فى مكان مغلق عليهما وليس معهما أحد غيرهما .. أما الاختلاط فوجودهما فى وسط المجتمع والناس والأهل وغيرهم وهو مسموح به فى الشريعة .. وقد حدد

---

(1) كتاب الاختلاط فى التاريخ وفى الدين وفى علم الاجتماع - الهيئة العامة للكتاب ، (للمؤلف) .

الإسلام شروط الاختلاط حتى يكون مأمون الجوانب .. منها الملابس المحتشمة والمكان اللائق والبعد عن المحرمات كالخمر والمخدرات .. والاتزام بالقول المعروف .

وعلى هذا فإن الممثل المسلم الغيور على دينه والممثلة المسلمة الصالحة إذا التزما بهذه التعاليم .. وإذا كات لديهما التربية الدينية الصالحة .. إلى جانب وجود رقابة وإشراف فلا خوف عليهما من الاختلاط شأنهما فى ذلك شأن أى مواطن آخر كالطبيب والطبيبة والموظف والموظفة والمرأة فى السوق والتجارة والعمل وهكذا .. وعليهما أن يتجنبا الخلوة التى حرمها الله وفيما سوى ذلك فلا حرج عليهما .

3 - هل وجه المرأة وصوتها عورة ؟

قرأت هذه الفتوى للشيخ عبد العزيز بن باز فى كتابه الفتاوى ليرد بها على سؤال عن جواز مشاهدة المرأة فى التليفزيون أثناء التمثيلية .. فأفتى بأن وجه المرأة عورة وصوتها عورة ولا يجوز مشاهدتها وسماعها فى التليفزيون ويجب إغلاق التليفزيون إذا ظهر فيه وجه امرأة .

والرد على ذلك من القرآن الكريم فى سورة المجادلة .. حيث يقول تعالى :

﴿ **قد سمع الله قول التى تجادلك** ﴾ فهذه إحدى نساء الصحابة وقد استوقفت رسول الله ﷺ فى الطريق .. وأخذت تجادله وتسأله فى قضية خاصة بها .. فكانت تجادل بوجهها وصوتها .. فوجه المرأة وصوتها ليسا عورة .

ولم يرد فى القرآن الكريم أو الحديث الصحيح ما يحرم ذلك .. ولو كان عورة لما أباح الله لهن الجدل والحوار مع النبى ومع غيره من الصحابة .. ولما أباح لهن الرسول حضور دروس الدين معه فى المسجد .

4 ـ القبل والأحضان فى التمثيلية :

يتصورا المعارضون للتمثيل أنه يقتضى وجود القبل والأحضان بين الممثلين والممثلات كما هو فى الأفلام الأجنبية .. وهذه فكرة خاطئة .. وقد ذكرنا فى أكثر من موضع فى هدا الكتاب أن الفن لا يقتضى تقليد الغرب فى كل شئ فلهم تقاليدهم ولنا تقاليدنا وديننا ...

فالقبلة والأحضان للأجنبى حرام قطعاً .. حتى لو كانت فى التمثيلية بين أب وأبنته أو رجل وزوجته أو أم وابنها ... فهذا تمثيل ولا توجد قرابة حقيقية .. وإذا كان فى أى تمثيلية عربية مشاهد عاطفية فيمكن التعبير عنها بتصرف ولباقة دون الحاجة إلى الإثارة والقبل وكثيراً ما تغنى الكلمة الرقيقة الراقية المنتقاة عن هذا الأسلوب .. وقد تكون أقوى فى التعبير، وأكثر تقبلاً للمجتمع الشرقى المسلم المحافظ على التقاليد .

وقد استطاعت الرقابة على التليفزيون أن تحل هذه المسألة بسهولة ويسر بأعتبار أن التليفزيون يدخل كل بيت محافظ ويشاهده الصغار والكبار .. والرأى يمنع القبل والأحضان فى جميع الأعمال التمثيلية العربية ويكتفى بهذا الأسلوب الرمزى الغير مباشر فى المشاهد العاطفية .

5 - أدوار الشر فى التمثيلية :

يتساءل البعض هل تمثيل دور الشرير حرام .. وهل يرتكب الممثل وزراً مثل دور السكير أو اللص أو تاجر المخدرات أو المجرم السفاح .. ؟ ونقول رداً على ذلك إن الحياة الطبيعية فيها خير وشر ، والصراع بينهما أمر ضرورى لنجاح التمثيل .. وإذا كان هناك تمثيلية فيها جانب الخير فقط فإنها تسقط وتصبح أقرب إلى الموعظة المملة .. وعلى هذا فكل من يعمل على إنجاح العمل الإسلامى سواء كان فى دور الشر أو الخير فله ثوابه وسواء كان يمثل دور أبى جهل أو دور عمر بن الخطاب فالثواب واحد عن إتقان العمل .. ونفس الشئ بالنسبة إلى الموضوعات الاجتماعية والسياسية وغيرها طالما كان الهدف هو الإصلاح .

المهم فى هذه المسألة هوموضوع القصة نفسها .. فيجب أن لا تحبب الناس فى الشر أو تظهره بمظهر جميل كمن يدعو الناس إليه أو يجعله المنتصر دائماً على الحق . أو يدعو الناس إلى اليأس من الخير وفى نفس الوقت فعلى من يمثل دور الشر أن يتقن دوره .. فمهما كان متقناً لدور الشر فإن هذا لا يقلل من ثوابه .. لأنه يوصل الرسالة المطلوبة والهدف المنشود .

6 - هل التمثيل كذب على المشاهد ؟

فى كتاب للدكتور يوسف القرضاوى قرأت هذا الرأى عن فن التمثيل يقول فيه :

" وجهت إلى فى أكثر من مكان أسئلة حول شرعية بعض القوالب الإسلامية الأدبية كالمسرحية والقصة [1] حيث يخترع المؤلف

(1) كتاب الإسلام والفن . د. يوسف القرضاوى - مكتبة وهبة - ص 28 .

المسرحى شخصيات وينطقها بأقوال وأمور لم تحدث فى الواقع . فهل يدخل هدا فى دائرة الكذب المحرم شرعًا ؟

وكان جوابى أن هذا لا يدخل فى الكذب المحظور لأن السامع يفرق ويعرف جيدًا أن المقصود ليس هو إخبار القارئ وقائع حدثت بالفعل .. إنما هو أشبه بالكلام الذى يحكى على ألسنة الطيور والحيوانات .. فهو من باب التصوير الفنى .. واستنطاق الأشخاص بما يمكن أن ينطقوا به فى هذا الموقف .

وأحب أن أضيف إلى رأى الدكتور القرضاوى حقيقة أخرى وهى أن بعض الأعمال الإسلامية قد تحتاج إلى التدقيق والصدق فى سرد الحوار كما جاء فى المراجع الإسلامية وبدون إضافة من خيال المؤلف .. وخاصة إذا كان هذا الحوار بين الرسول وأصحابه وغيرهم من البشر . وأيضًا إذا كان الحوار بين الصحابة وبعضهم فى قضية تتعلق بالتشريع والفقه الإسلامى .

فهنا يجب أن يلتزم المؤلف المسرحى بنص الحوار وألفاظه التى فى المراجع . ومن أمثلة ذلك الحوار الذى كتبه توفيق الحكيم فى قصته الرائعة " محمد " ففى هذه التمثيلية يقدم لنا المؤلف حياة الرسول ﷺ فى قالب الحوار ولكنه التزم بنص الحوار الذى ورد فى كتب السيرة . وقد اتبعت هذا الأسلوب وحرصت عليه فى جميع التمثيليات الإسلامية التى[1] ألفتها .. مثل سراقة بن مالك وسلمان الفارسى

---

(1) سلسلة التمثيليات الإسلامية - دار القلم للنشر والتوزيع - القاهرة القصر العينى رقم 26 ت:3551105

وغيرهما .. أما إذا كان الحوار لا يمس قاعدة شرعية وتقتضيه حبكة الدراما فلا بأس من استعمال الخيال ولا بأس من إضافة شخصيات خيالية .

4 - أهداف التمثيلية الإسلامية :

ذكرنا أهمية التمثيل في عصرنا الحاضر .. وكيف أصبحت الأفلام والمسلسلات التليفزيونية تؤثر على الشعوب .. وتغيّر مفاهيمها بل وصل الأمر إلى التأثير على سياسة الدول والحكومات .. من هنا نتبين أهمية أن ننتج تمثيليات إسلامية على المستوى العالمي لتحقيق الأهداف التالية :

■ أولاً : إبراز معالم التاريخ الإسلامي :

وتاريخ الإسلام والحمد لله حافل بالأحداث المشرفة .. ويبدأ من وقت نزول الرسالة على رسول الله ﷺ وبداية جهاده من أجل دعوته .. وفتوحه وغزواته .. وإذا كان شخص الرسول لن يظهر فليس هذا بعائق أو مشكلة .. فمن الممكن إبراز تاريخ حياته كلها دون أن يظهر بشخصه كما حدث في فيلم محمد رسول الله الذي أخرجه العقاد ونجح نجاحًا باهرًا .. أيضًا يمكن إنتاج تمثيليات عن جهاد كل واحد من الخلفاء الراشدين . ثم الصحابة والتابعين .. ثم هناك خلفاء وقادة جيوش على مر العصور والأجيال الذين رفعوا راية الإسلام في أنحاء الدنيا .

أيضًا هناك معارك الإسلام الفاصلة .. والفتوح المبهرة وانتصار المسلمين على الفرس والرومان .. ثم على التتار في حطين وعلى الصليبيين في عين جالوت . وعلى الفرنسيين في المنصورة وآلاف المعارك التي لا حصر لها .

■ ثانيًا : إبراز تعاليم الإسلام ومبادئه :

وذلك بأسلوب قصصى مشوق يجذب المشاهد إلى التعلق به واتباعه .. والتمثيلية الإسلامية يمكن أن تشرح للمشاهد أسباب نزول الآيات .. والمناسبة التى نزلت فيها ويمكن أن تشرح قواعد الفقه الإسلامى والعقيدة الإسلامية .. كل ذلك عن طريق القصص الدرامية ودون الحاجة إلى الخطبة أو الموعظة المباشرة .

■ ثالثاً : إعطاء المثل الأعلى والقدوة الصالحة للإنسان المسلم فى سلوكه :

بعمل التمثيليات التى تبين المعاملات الإسلامية والسلوك الأمثل وتبين علاقة كل مسلم بأسرته وبجيرانه ومجتمعه ووطنه .. وتبين له أن حب الوطن من الإيمان .. وأن مساعدة الآخرين عبادة وأن التضحية والنجدة والمروءه والأمانة والعفة صفات تقرب الإنسان إلى الله وتدخله الجنة .

■ رابعًا : إحياء اللغة العربية الفصحى :

فالتمثيلية الإسلامية لا يمكن إلا أن تكون باللغة العربية الفصحى مع الالتزام بقدر الإمكان بنفس ألفاظ الحوار التى جاءت فى كتب السيرة أو التاريخ الإسلامى .

فهناك للأسف الشديد الكثير من الجهلة وغير المثقفين الذين يدعون إن اللغة العربية الفصحى لا تصلح فى العصر الحاضر لنقل الأفكار أو للتمثيل والحوار .. وهذا فى الواقع عجز منهم . وليس عجزًا فى اللغة نفسها .. وقد أوفينا هذه المسألة حقها فى الباب الأول من الكتاب .

■ خامسًا : التبشير بالإسلام فى العالم الخارجى والدفاع عنه :

وذلك بعمل إنتاج إسلامى مشترك .. تساهم فيه الدول الإسلامية كلها أو بعضها . وتجتمع له جميع طاقات العالم الإسلامى سواء بالتمويل المادى أو الخبرات الفنية أو التمثيل والإخراج .. وبذلك نخرج عملاً على المستوى العالمى المتميز .. والذى لا يقل عن مستوى الإنتاج الأمريكى الضخم الذى يغزو العالم كله . ويجب أن نخرج من نفس الفيلم نسخًا ناطقة بلغات أخرى (دوبلاج) وعن طريق ممثلين من هذه البلاد .. وقد شاهدت هذه التجربة بنفسى فى فيلم الرسالة .

فالنسخة الإنجليزية من هذا الفيلم كان لها تأثيرًا رائعًا فى خدمة الإسلام أعظم بكثير من المراكز الإسلامية فى أوروبا .

وهذه حقيقة لا يمكن إغفالها أو التقليل من شأنها .. فبدلاً من إنفاق ملايين الدولارات على بناء المراكز الإسلامية الضخمة والفاخرة فى كل العواصم الأوروبية وبدلاً من الرواتب والميزانيات الضخمة .. فإن فيلمًا واحدًا متقنًا يمكن أن يكون له تأثير أعظم فى الدفاع عن الإسلام والدعوة إليه .

فالعبرة لبست بالمبنى والحوائط .. ولكن العبرة بالإقناع والفاعلية .

5 - حول منع ظهور بعض الشخصيات فى التمثيلية الإسلامية :

من أهم المعوقات للتمثيلية الإسلامية منع تمثيل بعض الشخصيات .. وهذا الرأى مجرد اجتهاد ولا يبنى على أى قاعدة شرعية والمقصود به من باب الخوف من إساءة تمثيل هذه الشخصية ولو بحسن نية .

فهناك من يرى عدم ظهور شخص الرسول وأزواجه .

وهناك من يضيف إلى ذلك أيضًا الخلفاء الراشدين .

وهناك من يضيف إلى ذلك العشرة المبشرين بالجنة .

بل وهناك من يتمادى فى المنع فيضيف إليهم كل جيل الصحابة .

ولما كانت هذه القضية حيوية لنجاح التمثلية الإسلامية .. وفعاليتها .. فيجب أن نناقشها بحرية وتوسع وأن نخرج منها بقرار حاسم .

فقد كنت أحد الذين عانوا أكبر المعاناة فى إنتاج المسلسلات والأفلام الإسلامية .. فكثير من الأعمال كان يقبل فى بعض الدول ويرفض فى دول أخرى مما جعل الشركة تتعرض لخسائر كبيرة بسبب تضارب الآراء .

ورأيي هو الاكتفاء بعدم ظهور شخص الرسول فقط . أما التوسع فى المنع وما زاد على ذلك فليس له أى مبرر شرعى أو سبب منطقى .. وعلى سبيل المثال فنحن نسمح بظهور بلال ولا نسمح بعمر بن

الخطاب .. فهل السبب أن بلال حبشى وعمر عربى قرشى ؟ أم السبب أن بلال كان عبدًا معتوقًا وعمر كان خليفة ؟ إن مناصب الدنيا لا تجعل لأحدهما فضلاً على الآخر.. فكلاهما واحد عند الله .. وفى أخوة الإسلام وفى صحبة الرسول .. ثم لصالح من نحرم المسلمين من معرفة حياة عمر بن الخطاب وجهاده ونحرمهم من الاقتداء به ؟ .

ثم ما هو المنطق وراء منع العشرة المبشرين بالجنة .. إنهم بشر أيضًا وليست لهم صفة التقديس .. ويجب أن لا ننسى أن المبشرين بالجنة ليسوا عشرة فقط .. بل كل شهيد فى الإسلام قد بشره القرآن بالجنة .. فهل نمنع سيرة الشهداء أيضًا ؟

إن من أهم أسباب فشل التمثيليات الإسلامية هو خوف الكاتب والمخرج من إظهار أى من الشخصيات الإسلامية القيادية والتى تعتبر المثل الأعلى والقدرة الصالحة للمسلمين . مما يضطرهم إلى أمرين :

الأول : التركيز على إظهار الشخصيات المكروهة والبغيضة من أعداء الإسلام مثل أبى جهل وأبى لهب .. فتصور تمثيلية إسلامية يكون البطل فيها والشخصية القوية بحضورها هى (أبو جهل) بينما الشخصية الإسلامية غائبة وغير حاضرة ويرمز إليها رمزًا .. مما يجعلها باهتة عديمة التأثير. والنتيجة الحتمية أنك تذهب لمشاهدة تمثيلية عن الإسلام وتعاليم الإسلام فلا تجد إلا حياة المجون والفساد التى كان يعيش فيها المشركون وأعداء الإسلام وبذلك تنتفى الحكمة والموعظة المطلوبة من التمثيلية .

الثانى : هو اضطرار الكاتب إلى نقل الحوار على لسان الراوى أو اختيار أى شخصية غير معروفة لنقل الحوار عنها . وهذا أسلوب

ممل فى التمثيل فاشل فى التأثير وهو أقرب إلى أسلوب الخطب المقروءة أو سرد البيانات وهو السبب فى اتهام التمثيلية الإسلامية بأنها لا تشد السامعين وإنها أشبه بالخطب المنبرية الطويلة .

6 - الرقابة الدينية :

إن الرقابة على التمثيليات والأعمال الدينية أمر حيوى ولا غنى عنه لنجاح هذه الأعمال وتأدية رسالتها .. والهدف منه :

1 – ضمان الالتزام بتعاليم الإسلام وأوامره ونواهيه وصحة تطبيقها .

2 – ضمان اتجاه العمل لخدمة الإسلام وعدم انحرافه عن هذا الهدف .

3 – ضمان صحة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأسباب النزول .

4 – صحة التاريخ الإسلامى والبعد عن الأحداث المشكوك فيها أو المشبوهة والمدسوسة .

5 – صحة النطق باللغة العربية .

وهذا يقتضى من الذى يتولى أمر الرقابة الدينية أن يكون على مستوى عال من العلم بالدين والفقه والتاريخ واللغة إلى جانب معرفة أساليب الدراما العصرية ومقتضياتها . وأن يكون متفتحًا واسع الأفق فاهمًا للرسالة العظيمة التى تؤديها التمثيلية الدينية . وأن يفهم أن رسالته ليست مجرد تصيد الأخطاء أو وضع العقبات لإفشال العمل .

ولكن رسالته هى إنجاح العمل الجيد بإزالة أى خطأ فيه .. فإذا لم يكن هناك خطأ فعليه أن يعطى هذا العمل حقه من التقدير فلا يكفى أن يذكر فى تقريره كلمة (يسمح بالنشر والإذاعة) بل عليه أن يعطى تقييمًا وتقديرًا للجهد المبذول فيه من باب التشجيع على الإتقان والتقدير المادى لدى محطات التليفزيون .

ولكن هناك محاذير وشروط يجب وضعها فى الحسبان فى هذا المجال فالرقابة بكافة أنواعها سلاح ذو حدين .. وقد ينقلب هذا السلاح إلى عامل قتال لإفشال تلك الأعمال وهدمها .. والحد من الخيال والابتكار والتقدم . وكم من فيلم أو مسلسل إسلامى كان مصيره الحفظ فى العلب بسبب تعنت الرقيب أو جهله برسالته .

وأهم هذه الأسباب والمحاذير هى :

أولاً : عدم وجود قواعد ثابتة ومتعارف عليها للرقابة الدينية :

بحيث يتقيد بها الرقيب ويمكن محاسبته ومساءلته إذا خرج عنها فى تقريره بالرفض أو القبول .. بل إن هذه المسألة متروكة للاجتهاد والرأى الشخصى .. فبعضهم قد يسمح بظهور شخصية معينة فى حين يعترض غيره عليها .. وبعضهم يعترض على حديث نبوى بحجة أنه ضعيف السند والبعض الآخر يجيزه .. وهكذا .

بل إن بعض الرقباء يتعدى حدود اختصاصه وحدود علمه فينتقد أسلوب الإخراج والتمثيل . وكم من أعمال إسلامية يجيزها رقيب ويرفضها غيره ثم يأتى غيره ليجيزها .. وهكذا .. وقد حدث هذا فى فيلم الرسالة الذى حرص المخرج على تصوير إجازة الأزهر فى مقدمته ثم

عاد الأزهر وألغى الترخيص ثم عاد فأجازه ثم ألغاه تحت ضغوط معينة لا علاقة لها بالدين .

ثانيًا : تعدد جهات الاختصاص فى الرقابة الدينية :

فرغم أن كل محطة تليفزيون لها رقيب مختص بالدين .. ورغم أن هذا الرقيب من رجال الدين الذين ترشحهم الجهات الدينية الرسمية مثل وزارة الأوقاف أو الأزهر .. فهناك فى تلك الجهات نفسها من خارج الرقابة الرسمية ومن خارج جهاز التليفزيون . من يريد التدخل أيضًا فى العمل ويريد أن يكون رقيبًا فوق الرقيب وإذا أجيز العمل دون أن يكون له رأى ونصيب فيه احتج وثار وأخذ يبحث عن المعاييب والثغرات إلى حد اتهام العمل بأنه يسئ إلى الدين .

وكثير من الأعمال قد توقف أو تعطل عرضه بعد إتمامه بسنوات طويلة لهذا السبب .

ولا يخفى علينا ما فى ذلك من إحباط للأعمال الإسلامية إلى جانب ما فيه من إساءة إلى الدين ورجاله . والرأى أن يكتفى برقيب دينى واحد ودائم فى التليفزيون ولا حاجة إلى تعدد جهات الاختصاص والعرض إذا انتقل العمل إلى أى دولة إسلامية أخرى .

ثالثًا : الرقيب موظف فى الدولة ويأخذ راتبه الرسمى من الدولة :

فيجب منع المكافآت المالية للرقيب خلاف راتبه فدخول المادة إلى جانب السلطات الرهيبة تغرى بالانحراف والتحيز . وبعض شركات الإنتاج فى الدول العربية يضطر إلى دفع إتاوة كبيرة لإجازة عملهم وهذا يسىء إلى الإسلام .

7 - ما هو المطلوب من دعاة الإسلام لإنجاح العمل الفنى الإسلامى ؟

تقول الحكمة " على قدر الغاية والهدف يهون البذل والعطاء " والآن وقد تبينت لنا الأهداف العظيمة التى يمكن تحقيقها فى خدمة الإسلام عن طريق التمثيلية فيجب أن نعطيها حقها من العناية والرعاية والبذل .. وذلك بالآتى :

1 – إنشاء فرع متخصص فى معاهد التمثيل لكتاب القصة والسيناريو الإسلامى : فالكتابة فى هذا النوع تحتاج إلى نوع خاص من الدراسة والتخصص حتى ينجح العمل ويصل إلى درجة الإتقان التى تشد جمهور المشاهدين والمستمعين ولا تتعارض مع متطلبات الرقابة على العمل الدينى . فالملاحظ على الأعمال الإسلامية بالذات :

- خلوها من الدراما والحبكة القصصية .
- استعمال لغة عربية معقدة وغير دارجة وألفاظ متقعرة .
- طول جمل الحوار حتى كأن الممثلين يخطبون خطبًا منبرية مملة وطويلة .
- طول المشاهد فى مكان واحد وهو أسلوب يصلح للمسرح ولا يصلح للسينما أو التليفزيون التى تحتاج إلى نقلات سريعة ومشاهد قصيرة ..

وقد يقول قائل إن أى كاتب قصة وسيناريو جيد ومتخصص يفهم كيف يتلافى هذه العيوب .. ولا يحتاج الأمر إلى علم متخصص أو دراسة مستقلة ..

ونقول إن العمل الفنى الإسلامى بالذات يختلف عن أى نوع آخر من الدراما فى أن عليه قيودًا ومحادير كثيرة .. وهو يحتاج إلى تمكن من الدين والشريعة والتاريخ الإسلامى إلى جانب دراسة الجوانب الفنية والتكنيك العلمى .

2 – يجب عدم البخل بالجهد والمال على العمل الفنى الإسلامى : فالملاحظ أن التمثيليات الإسلامية تعمل بنوع من الارتجال وعدم الإتقان فالملابس مهلهلة .. والسيوف من ورق والمعارك الكبرى تصور بفرسين أو ثلاثة .. والجيش الكبير يمثل ببضعة أنفار . كل ذلك بحجة أن هذه الأعمال غير مربحة تجاريًا .. ونحن نرى واجبًا على الحكومات الإسلامية ووزارة الأوقاف والبنوك الإسلامية والجامعات والهيئات الإسلامية .. على كل من هذه الجهات أن ترصد ميزانية خاصة لدعم أو إنتاج الأعمال الفنية الإسلامية كوجه من أوجه الجهاد ونشر الدعوة والحق أنه لولا دعم وزارة الأوقاف فى الكويت لشركة " الفن الإسلامى " لما تمكنت من الاستمرار فى إنتاج هذه المسلسلات الإسلامية .. وفى نظرى أن الميزانية التى تنفق على إنتاج فيلم إسلامى عالمى .. أو مسلسل ضخم يعرض فى أنحاء الدنيا أفيد للإسلام مما ينفق على بناء مسجد جديد فاخر.. " وأرجو أن لا تغضب هذه الحقيقة أحدًا " .. فالرسول ﷺ يقول " وجعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا " وليس شرطًا فى الإسلام أن يكون المسجد فاخرًا جدًا وفيه رفاهية زائدة .. بل إن البساطة والتقشف مطلوبة فى المساجد .

أما التمثيلية فلابد من السخاء والبذل فى إخراجها لأنها تواجه أعمالاً منافسة .

3 – عمل المسابقات ورصد الجوائز للأعمال الفنية الإسلامية : وذلك لتشجيع الكتاب والمخرجين والممثلين على الجودة والإتقان وتبنى القصص الفائزة وإخراجها وطبعها . ولا بأس أن يقام مهرجان سنوى للتمثيلية الإسلامية مثل مهرجان كان وقرطاج السينمائى وغيرها لتشجيع العمل الجيد . وكم أتمنى لو تتضافر جهود جميع الجهات الرسمية فى إنتاج فيلم واحد إسلامى على المستوى العالمى تتبع فيه أسلوب شركات هوليود الضخمة . من اختيار أفضل قصة وأفضل سيناريو وأفضل تصوير وأفضل موسيقى تصويرية .

وقطعًا سيكون هذا العمل مربحًا .. وسيكون من أعظم أبواب خدمة الإسلام والدفاع عنه .

4 – إنشاء المسرح الإسلامى فى كل مدينة وكل مدرسة : فالمسرح هو النواة الرئيسية لإخراج الفنان المسلم الملتزم .. وهو الوسيلة الأولى لمخاطبة النشأ وتوجيههم وهى وسيلة غير مكلفة . ويمكن للفرق المسرحية الكبرى أن تسافر من بلد إلى بلد مجاهدة فى سبيل الله .

5 – رصد ميزانيات لترجمة (دوبلاج) الأعمال الإسلامية المنتقاة وتسويقها فى أنحاء العالم وليس القصد بالترجمة وضع اللغة الأجنبية على الفيلم بل القصد إعادة تمثيلية بممثلين أجانب كما فعل المخرج الكبير العقاد فى فيلم الرسالة .

6 – التوصية إلى محطات التليفزيون بتشجيع الأعمال الإسلامية فقد دأبت محطات التليفزيون فى العالم العربى على وضع الأعمال الإسلامية فى المكان الثانى أو الأخير بعد الأعمال الكوميدية والاجتماعية والاجنبية . فالعمل الإسلامى لا يذاع إلا فى الوقت الميت

مثل وقت الظهيرة أو بعد صلاة الجمعة وهو لا يذاع إلا فى المناسبات الدينية فقط . مثل عيد الهجرة والمولد النبوى وكأن الإسلام دين للمناسبات فقط . ثم أن أجر العمل الإسلامى أقل بكثير من أجر الأعمال الناطقة باللهجة المحلية وذلك بحجة أنه ناطق باللغة العربية الفصحى . كل هذه العوامل تؤدى إلى فشل الرسالة وضياع الهدف وإحجام الشركات عن إتقان العمل الإسلامى .

7 – وضع قواعد ثابتة ومتعارف عليها لرقابة العمل الفنى الإسلامى : وهذا يحتاج منا إلى الاجتهاد فى الفقه والاتفاق على وجهات النظر .. وإصدار الفتاوى العصرية المناسبة وبذلك تصبح الصلة بين المؤلف والرقيب صلة التعاون والتفاهم على أسس ثابتة وراسخة .

وختامًا .. لقد شاركت فى الأعمال الفنية الإسلامية سنين طويلة تأليفًا وتمثيلاً وإنتاجًا .. ولمست بنفسى العقبات والمشاكل .. ولكننى لمست أيضًا قيمة هذه الوسيلة الإعلامية وخطرها فى خدمة الإسلام ونشر دعوته ومبادئه .. لقد رأيت المسرح والاستديو كله يهتز تأثرًا بالمشاهد الإسلامية الجيدة وبالحوار الإسلامى الصادق . ورأيت الناس وقد اقشعرت جلودهم .. ووقف شعر رؤوسهم من شدة الانفعال والعواطف الجياشة .

ورأيت أن التمثيلية الإسلامية إذا أحسن استخدامها تحولت إلى سلاح وميدان جهاد للمسلمين أقوى فعلاً وأثرًا من كل الأسلحة الحديثة فى الدفاع عن هذا الدين .

وما أصدق تلك الكلمات التى جاءت فى قرارات المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة والدعاة الإسلاميين والذى عقد فى المدينة المنورة سنة 1977 حيث جاء فيها :

" إن الإعلام الإسلامى إذا صدقت فيه النية واستقامت الوسيلة . فإن الاستديو يتحول إلى ميدان جهاد لإعلاء كلمة اللّٰه " .

8 - فيلم " محمد رسول اللّٰه " لماذا منع ؟

لأول مرة فى تاريخ أمتنا الإسلامية تظهر فكرة إخراج فيلم سينمائى عن حياة رسول اللّٰه ﷺ . ومنذ البداية كانت لى عدة لقاءات مع صاحب الفكرة المخرج العالمى الكبير السورى الأصل مصطفى العقاد حيث كان يجوب دول العالم الإسلامى وخاصة دول الخليج الغنية لتكوين شركة ضخمة لإنتاج هذا الفيلم وحشد طاقات وكفاءات علماء المسلمين له . وقد حكى لى كيف تسابق كبار أثرياء المسلمين على المساهمة بملايين الدولارات فى هذا المشروع إيمانًا منهم بالفكرة وحتى يتناسب الإنتاج مع عظمة الرسالة وعظمة الرسول .

وعندما علمت بالميزانية الضخمة التى رصدت لهذا العمل أخذت أشفق عليهم . فأمتنا الإسلامية تمر الآن بحالة من التخلف وعدم النضج . ويتحكم فى الفكر الإسلامى اليوم جماعات من المتحجرين وأنصاف المتعلمين الذى يظنون بأن السينما والمسرح والتليفزيون بدعة محرمة .. ويحاربونها فى بلادهم . فما بالك إذا استعلمت هذه البدعة فى الدعوة إلى الإسلام . أو فى إخراج فيلم عن حياة الرسول ﷺ وجهاده .

وقديمًا عندما أراد الشيخ محمد عبده إمام الأزهر الشريف إدخال حنفيات المياه فى الأزهر لكى يتوضأ المصلون ويشربون منها بدلاً من استعمال (الزير والقلة) عند ذلك ثار عليه الشيوخ . واتهموه بالزندقة لأنه أدخل على الدين بدعة وضلالة .

ومنذ اللحظة الأولى للإعلان عن فكرة الفيلم انشغل المنتجون بالرد على الحملة الظالمة التى داهمتهم .. فأكدوا أن شخص الرسول لن يظهر على الشاشة لا بالصورة ولا بالصوت ولا بالإشارة وسجلوا ذلك فى مقدمة الفيلم فى النسخة العربية والإنجليزية . كما أبرزوا موافقة الأزهر الشريف على النصوص وإشرافه على كل خطوة فى التصوير والإخراج .. وقد بلغ الأمر أنهم اضطروا إلى تغيير اسم الفيلم من (محمد رسول الله) إلى اسم جديد وهو (الرسالة) لإبعاد شبهة تمثيل شخص الرسول .. وأعلنوا فى جميع وسائل الإعلام أن الهدف العظيم الذى يسعون إليه هو الدعوة إلى الإسلام بأسلوب القرن العشرين .. وإظهار عظمة الرسول وجهاده بطريقة حديثة تختلف عن الأسلوب الممل المعتاد فى الخطب المنبرية .. وأن هذه أول مرة تخاطب فيها شعوب العالم كلها فى أوروبا وأمريكا وآسيا عن طريق النسخة الإنجليزية لتشرح لهم عظمة هذا الدين وهذا النبى .

وإيمانًا منهم بأهمية هذه الرسالة ، والثواب عند الله .: فقد حشدوا لهذا الفيلم أعظم الإمكانيات بصرف النظر عن التكلفة المادية . وكانت البداية هى تكليف أعظم خمسة كتاب إسلاميين ممن اشتهروا فى العصر الحديث بتأليف الدراما والسيناريو الإسلامى وهم توفيق الحكيم وعبد الحميد جودة السحار وعبد الرحمن الشرقاوى ومحمد على ماهر ودكتور أحمد شلبى . وكل واحد من هؤلاء قمة فى ميدانه - وفى

نفس الوقت فقد استعانوا بعدد من كبار علماء الأزهر الذين كانوا يشرفون على كل كبيرة وصغيرة ابتداء من النص الأدبى إلى التصوير والإخراج .

وقد مثل دور حمزة عم رسول الله الممثل القدير عبد الله غيث .. ومثل دور هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان الممثلة منى واصف .. أما النسخة الإنجليزية فقد مثل دور حمزة الممثل العالمى أنتونى كوين ومثلت دور هند الممثلة العظيمة إيرين باباس .. وقد أجمع النقاد أن عبد الله غيث قد تفوق على الممثل الأمريكى الشهير أنتونى كوين فى دور حمزة .. ولما سئل فى ذلك قال : " إن السبب هو إيمانى بأنى أخدم دينى وليس مجرد تمثيل " .

ولأول مرة فى تاريخ السينما العربية أو الإسلامية يتم الإخراج بمثل هذه الجودة والسخاء . وذلك بشهادة جميع النقاد الفنيين العالميين .. فالجموع الكبيرة .. وأسواق البيع والتجارة والمعابد الوثنية ذات التماثيل المختلفة .. كل ذلك قد أخرج بإتقان جيد ينقلك إلى حياة الجاهلة بكل مساوئها حتى تتبين عظمة الرسول فى تحدى هذا الطغيان وإزالته .

ولأول مرة أيضًا يتم إخراج المعارك وكأنها حقيقة .. فقد اعتدنا فى الأفلام العربية التاريخية أن تمثل المعارك الكبيرة بعدد محدود من الفرسان وغالبًا تكون السيوف من الورق أو الخشب .. وتتم المبارزة بطريقة تثير الضحك والسخرية .. بدلاً من أن تثير الإعجاب والتقدير .. أما هنا فنجد المخرج يستعين بخبير عالمى فى تصوير المعارك التاريخية ونجد فرسانًا مدربين على فنون المبارزة .. ونجد ساحات القتال الواسعة التى تمتد على مرمى البصر.

وقد لعبت الموسيقى فى هذا الفيلم المتقن دورًا حيويًا مؤثرًا وفعالاً فقد ألفها أحد أعظم الموسيقيين العالميين وهو الموسيقار " موريس جار " الذى أبدع فى تأليف لحن إسلامى جديد .. فيه الكثير من المعانى التى وردت فى الفيلم من الروحانية والصبر على الأذى والإصرار على الجهاد والإصلاح .. وأصبحت موسيقى هذا الفيلم تستعمل فى الكثير من التمثيليات الإسلامية والعالمية .

أما عن قصة الفيلم .. فقد وفق المؤلفون كل التوفيق فى عرض حياة الرسول ﷺ دون الحاجة إلى إظهار شخصه . وكما ذكرنا فهذه ليست بالمهمة السهلة .. فنقطة الضعف فى الأعمال الإسلامية أن يضطر المؤلف إلى نقل الحوار عن الراوى خوفًا من إظهار أحد الشخصيات الممنوعة .. وقد يضطر إلى التركيز على الشخصيات الكافرة والبغيضة .. مما يضعف العمل ويجعله مملاً .. ولكن منتج هذا الفيلم لم يقع فى هذا الخطأ .. واستعاض عن هذا بقوة الإخراج .. وسرعة النقل والمشاهد وقصر جمل الحوار .. وبذلك أستطاع التركيز على القضايا الهامة التى جاءت بها رسالة الإسلام وقصة جهاد النبى ﷺ لإظهار الحق .

وأول هذه الحقائق : (التى يظهرها الفيلم من هو الله خالق كل شئ ؟ .. وأين مكانه ؟ وكيف نعرفه ؟) . ثم يستعرض الكثير من الإعلان الأول الذى نادى به النبى محمد إلى البشرية كلها .. مثل الأخوة بين البشر .. فلا فارق فى الألوان ولا الأجناس .. ومثل السلام على الأرض .. ومثل كرامة المرأة وحقوقها .. ومحاربة وأد البنات .. وعشرات المعانى النبيلة التى جاءت فى شعار " لا إله إلا الله .. محمد رسول الله " .

وتتوالى الأحداث منذ لحظة نزول الوحي . وجهاد الرسول واضطهاد الكفار له وأصحابه . ثم الهجرة إلى المدينة وبناء أول دولة مثالية في تاريخ الإنسانية .. تطبق فيها كل المثل العليا التي نادى بها في مكة .. تطبيقًا أمينًا .. فكان بذلك أول نبي من بين جميع الرسل والأنبياء وأول زعيم في التاريخ الإنساني كله يأتي بالنظرية والتطبيق في وقت واحد . ونرى قيادته الحكيمة لهذه الأمة . والتزامه بدستورها الخالد وهو القرآن . ثم انتصاراته العسكرية وتوحيده جزيرة العرب كلها . ثم خروجه بدعوته من حدود البادية إلى الدنيا كلها ودعوة ملوك العالم المعاصر له إلى دين الإسلام . كل هذه الأحداث المتوالية بدون أن يشعر المشاهد بلحظة ملل واحدة ..

ويشاء القدر أن أول مرة أشاهد فيها هذا الفيلم في مدينة نيويورك منذ عدة سنوات من النسخة الإنجليزية .. وكانت السينما مزدحمة والحجز بموعد مسبق والإقبال لا مثيل له .. وكنت أصغي لكل همسة أو تعليق للمشاهد الأمريكي .. وبعد انتهاء العرض دار بيني وبين الكثيرين منهم حوار طويل يسوده الاحترام والتقدير .. وقال لي بعضهم إن هذه أول مرة يعرفون فيها شيئًا عن حقيقة الإسلام . ويعرفون لماذا يضع المؤرخون المنصفون النبي محمد كأعظم بطل في التاريخ الإنساني كله بما فيهم جميع الأنبياء .

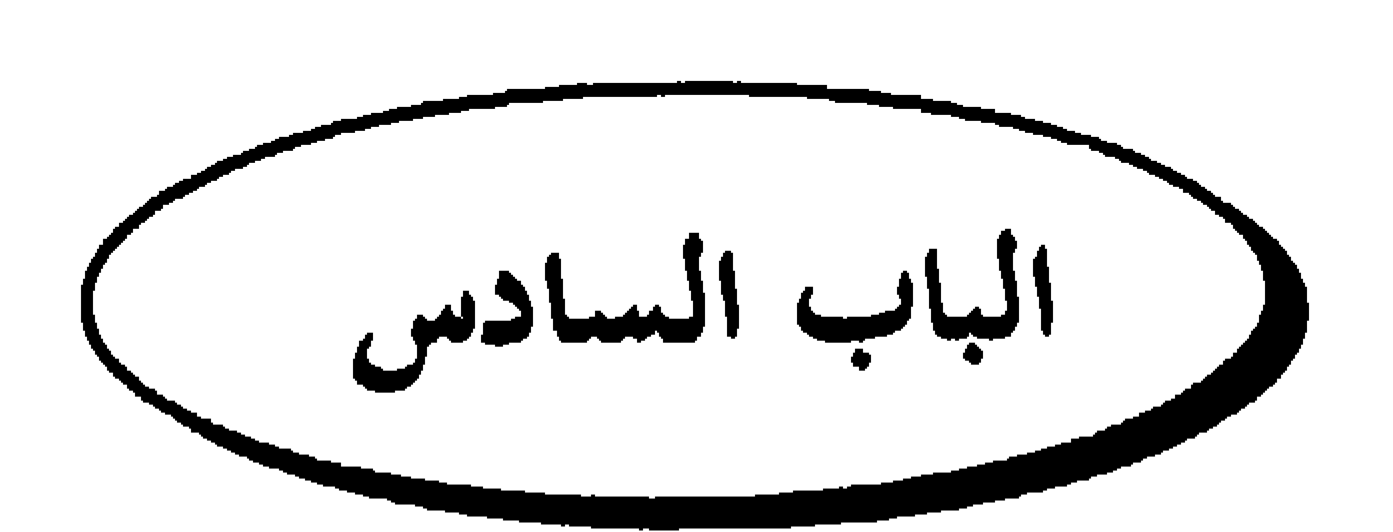
وعندما عدت إلى العالم العربي كانت الصدمة عنيفة على نفسي .. فقد ثار أعداء التقدم وأنصار التحجر والجمود وحشدوا كل قواهم في أنحاء العالم الإسلامي .. وقاموا بحملة عنيفة على الفيلم أنفقوا فيها

مالم ينفقوه على قضية فلسطين .. ولا أدرى كيف انتصروا واستصدروا قرارًا بمنع عرض الفيلم فى أى دار من دور السينما فى العالم الإسلامى كله ..

ومعروف أن هذه أول مرة فى عصرنا الحاضر تجمع فيه الدول الإسلامية كلها على قضية واحدة وتنفذها حرفيًا .. بينما هم يختلفون فى جميع القضايا الأخرى الحيوية .. فالظاهر أن الهدم سهل جدًا وليس صعبًا كالبناء .. وقد ذكرنى هذا القرار بما فعله طلبه الأزهر منذ مائة عام بمنع الحنفية وتكفير من يستعملها .

وتكتمل المحنة بتدخل جماعات التطرف والإرهاب بما يعرف عنها من أستجابة عمياء حيث بدأوا يرسلون خطابات التهديد والإنذار بنسف أى دار سينما تعرض هذا الفيلم .

واليوم إن الأمل كبير .. فى فضيلة شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى ، وهو الذى عرف بالعلم والتقدم وشجاعة القرار أن يرى بنفسه هذا الفيلم .. وأن يفرج عنه ويسمح بعرضه إكرامًا لصاحب الرسالة (محمد رسول الله) وتدعيمًا لدعوته . ودفاعًا عن دين الإسلام الذى يصمه هؤلاء الجهلة فى أنظار العالم بأنه دين العنف والتطرف والدماء . فى حين أنه دين الحضارة والعلم والبناء .


الباب السادس

العمارة الإسلامية

■ قصة لها دلالتها :

عندما سمع إمبراطور الرومان (اليون) أن المسلمين قد بنوا مسجدًا فى دمشق يعتبر أكبر معجزة معمارية فى عصره لم يصدق ذلك .. وشكل بعثة من المهندسين والمعماريين الرومان وقال لهم :

إن المسلمين قد غلبونا فى حروب البر.. ثم غلبونا فى حروب البحر ولكن أن يستطيع رعاة الغنم وسكان الخيام أن يغلبونا فى فن العمارة فهذا ما لا أصدق به أبدًا . فاذهبوا إلى دمشق وزوروا المسجد الأموى وأخبرونى بحقيقة الأمر.

وتقول الرواية إن المعماريين الرومان عندما شاهدوا الرسوم التى وضعها المسلمون للمسجد لم يصدقوا أن هذه يمكن تنفيذها . فلما زاروا المسجد وقفوا فى ذهول أمام روعة الفن والعمارة .. وشهق رئيس المعماريين شهقة عالية كادت تصعد معها روحه . وتقول الروايات الإسلامية إن هذا المسجد قد أعتبر فى عصره المعجزة الخامسة لأن المعجزات التى كانت معروفة فى ذلك التاريخ والتى من صنع الإنسان كانت أربعة .. وقد وضع حجر الأساس لهذا المسجد الخليفة الوليد بن عبد اللّه سنة 86 هجريًا واستغرق البناء عشرين عامًا فى عهد أخيه سليمان ثم عمر بن عبد العزيز.

وهذه القصة تعطيك فكرة عما وصل إليه المسلون فى ذلك العصر المبكر من تاريخهم فى فن المعمار.

■ فن العمارة الإسلامية :

علم العمارة الإسلامية هو أحد الفنون التى تأثرت تأثرًا كبيرًا بالدين والتزمت بتعاليمه .. لقد فتح المسلمون ممالك شاسعة وانطوت تحت راية الإسلام شعوب متنوعة عرفت بالعراقة فى المعمار مثل الفرس والرومان والأشوريين والمصريين والأسبان . ولكن المعمار فى تلك البلاد كان يقوم على عقائدهم الدينية . ويتمثل فى التماثيل والصور والمحاريب والأديرة . فكان لابد للمسلمين من فن معمارى خاص بهم يختلف فى جوهره ومظهره وأهدافه عن المعمار السابق . وهكذا لم يمض القرن الأول للهجرة حتى كان المسلمون قد شيدوا الجوامع الشاهقة والقصور الفاخرة وبنوا البيمارستانات الضخمة والحمامات .. والمطاعم الشعبية والاستراحات .. وبنوا القلاع العسكرية والحصون والرباط والأسوار حول المدن . وبنوا القناطر والخزانات والسدود للرى وبنوا المراصد والجامعات العلمية .

كل ذلك بأسلوب الفن المعمارى الإسلامى المتميز .. وإذا كان الكثير من تلك المبانى الإسلامية قد اندثرت بفعل الزمن أو الحروب الصليبية فإن القليل المتبقى يدل على ذلك الماضى التليد .

■ المساجد

المساجد أول شئ بناه المسلمون من العمارة .. فقد بنوا المساجد قبل أن يبنوا القصور أو القلاع أو المدارس . ومن هنا كان المسجد الدعامة الأولى لنشأة فن العمارة الإسلامية .

ورسالة المسجد فى الإسلام لا تقتصر على الصلاة والعبادة فحسب ، فمسجد الرسول ﷺ رغم بساطة البناء كان بمثابة مدرسة

للعلم والتربية . وبرلمان للأمة تعقد فيه الانتخابات (البيعة) وندار فيه الاجتماعات السياسية والعسكرية وكان فيه أيضًا عيادة للتمريض وهى (خيمة رفيدة) وفى ساحته كان نساء الصحابة يتركن أطفالهن فى أمان بعد الصلاة ريثما يقضين حاجاتهن من الأسواق فكان أيضًا دار حضانة . وكان الرسول ﷺ يطلق على هؤلاء الأطفال " حمام المسجد " .

وقد بنى المسلمون جوامع ضخمة بنفس الأهداف .

ويعتبر المسجد الأموى فى دمشق سنة 710 ميلادية أول تحدّى معمارى فى الإسلام فقد كان بناء جديدًا فى تصميمه له طابعه الخاص وشخصيته المستقلة عن المعمار فى الحضارات السابقة للإسلام .

وفى أنحاء العالم اليوم الكثير من المساجد الأثرية الشهيرة التى تنوعت . فهناك المساجد الأموية فى الشام والعباسية فى العراق والأندلسية فى الأندلس والفاطمية فى الشمال الأفريقى ومصر وفى إيران وهناك المغولية والصفوية . ثم هناك مساجد الهند والمساجد العثمانية فى تركيا .

وهذا الاختلاف فى المظهر يزيد العمارة الإسلامية ثراء وعمقًا .. ولكنه لا يشمل اختلافًا فى الجوهر .

وقد راعى المعماريون فى بناء المساجد الفخمة مسألة الصوت لتوصيل الخطبة إلى آلاف المصلين والضوء والتدفئة والتبريد .. كل ذلك بالوسائل الطبيعية .

ونعتبر المآذن من أهم معالم المدينة الإسلامية .. فهى تبدو وكأنها أذرع ممتدة بالدعاء والضراعة نحو السماء . ويتوج كل مئذنة فى أعلاها قبة لها تاج وفوقها هلال كبير .. ويحيط بوسطها عدد من الشرفات الدائرية لكل منها نوافذ يطل منها المؤذن .

ولا تقتصر وظيفة المئذنة على النداء للصلاة .. فكثير من المآذن كانت تبنى كمنارة فى البر أو فى البحر ولو لم يكن تحتها مسجد . ومن أهم وظائف المئذنة استعمالها كملاقف للهواء لتبريد المساحات السفلية تحتها .. وبعض المساجد يشتمل على مئذنتين وبعضها كالمساجد التركية تحتوى على أربع مآذن .

وتزدان المئذنة بزخارف إسلامية جذابة تزينها الآيات القرآنية كما أن بعضها كالمآذن الفارسية يحلى بالزليخ (القيشانى) الذى يبرق تحت أشعة الشمس .

وهناك مآذن ذات شهرة خاصة لانفرادها فى التصميم المعمارى . من ذلك مئذنة ابن طولون ذات السلم الحلزونى الخارجى وقد بنيت على طراز مأذنة (سر من رأى) .

ومئذنة جامع الناصرية ذات الشعبتين .. ومئذنة جامع ابن سنان فى دمشق المكسية بالزخرف الزنجارى .. والمئذنة المتحركة فى أصفهان وهى عبارة عن كتلة حجرية واحدة مجوفة من الداخل ويمكن لمن يصعد فيها أن يهزها فى كل اتجاه دون أن تسقط به .

ومئذنة مسجد اللقلاقة فى سمرقند .. وهى مئذنة متحركة ترتبط من أسفلها بمئذنة أخرى فإذا حركت الأولى تحركت الثانية .. وهكذا

وجد المعماريون المسلمون فى المآذن فرصة للإبداع الفنى الذى يعبرون من خلاله عن مشاعرهم نحو عظمة الخالق وإبداعه فى خلقه .

* - التحكم بالصوت داخل المعمارة الإسلامية :

فقد بنى المسلمون مساجد ضخمة يسع الواحد منها آلاف المصلين فى وقت لم تكن فيه أجهزة صوتية توصل خطبة الجمعة أو صوت المقرئ إلى هذه المسافات البعيدة ومع ذلك فقد كان آخر مصل فى الصف يسمع بوضوح وذلك عن طريق تصميم خاص فى جدران المسجد والأعمدة لنقل الصوت من المنبر وتوزيعه على الساحة كلها بوضوح . وقد كان فى بعض بيوت الخلفاء وأثرياء المسلمين قاعة خاصة تسمى قاعة الموسيقى أو قاعة الصدى .. وهى قاعة فى حوائطها فجوات مفرغة على شكل آلات موسيقية أو أوانى فخارية فإذا عزفت الموسيقى فى القاعة فإن هذه الفجوات تمتص الصوت وتكسر الصدى وتمنع التشويش على العازفين .. وقد أشرنا إلى هذه القاعة فى باب السماع .

* - الملاقف الهوائية وتكييف الهواء :

فقد توصل علماء المسلمين إلى معرفة أن الهواء البارد أثقل من الهواء الحار .. فاستفادوا من ذلك فى تبريد البيوت والمعمار بصنع ما يسمى بالملاقف . وهى عبارة عن غرفة صغيرة فى أعلا المبنى بها فتحة رئيسية فى اتجاه الريح ومتصلة بالغرف السفلية .. وبذلك يدخل الهواء

البارد من الطبقات العليا ويهبط إلى أسفل ليحل مكان الهواء الحار ويلطف جو المبنى .

وهناك مدن كاملة فى إيران وأفغانستان والأندلس وشمال أفريقيا قد صممت بيوتها بهذا النظام كما نجده فى بعض المساجد الكبرى القديمة فى القاهرة ودمشق وبغداد حيث كان يستفاد من المآذن المرتفعة كملاقف للهواء .. وإلى جانب هذه الطريقة كان المسلمون يستفيدون من النوافير المائية التى توضع داخل القصور والمساجد وحتى البيوت الصغيرة فكانت هذه النوافير توضع فى طريق التيارات الهوائية القادمة من أعلى إلى أسفل مما يساعد على تبريد الهواء وتنقيته من الأتربة .

* - المعمار كمقياس للحضارة :

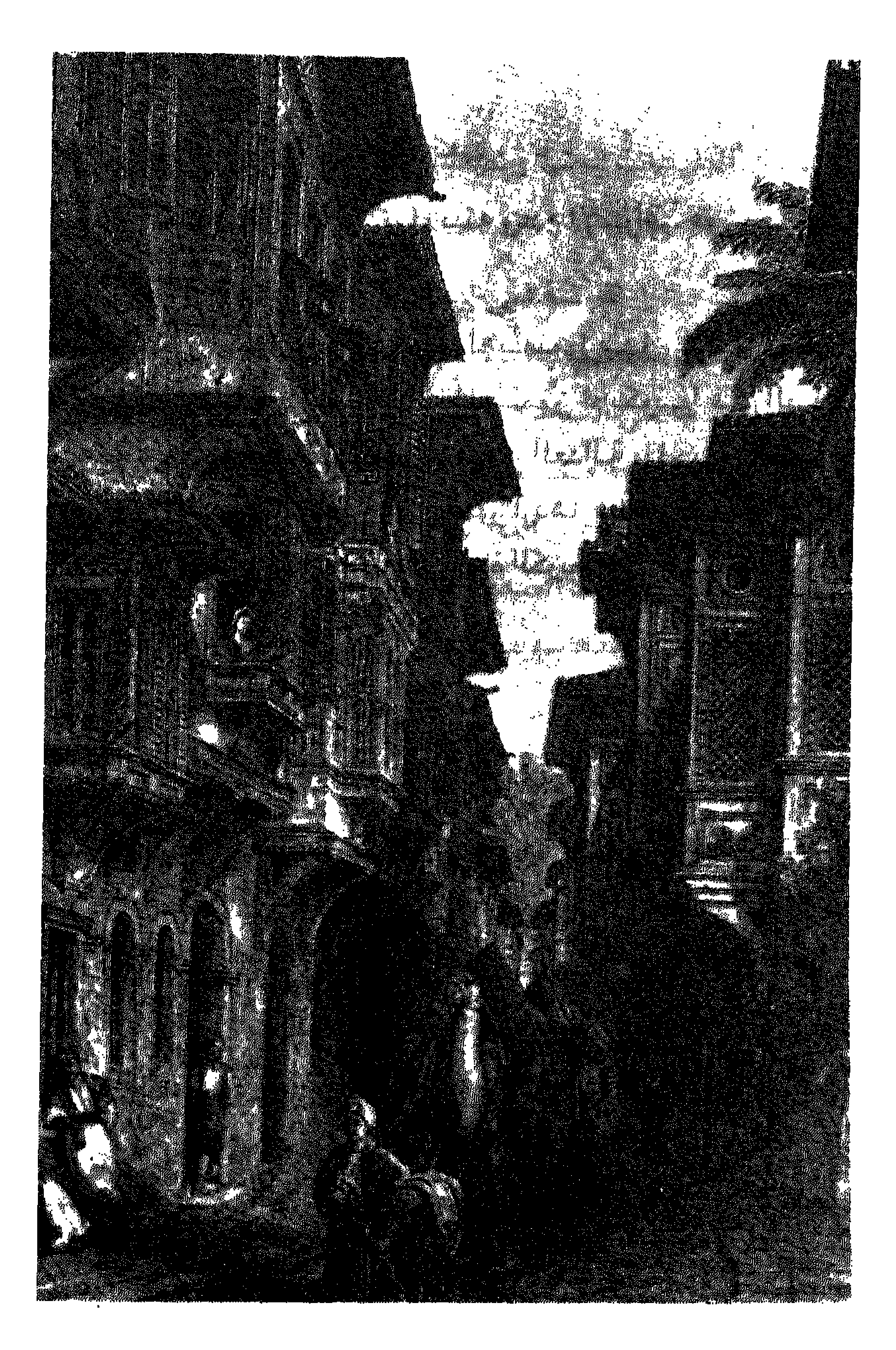
يميل المؤرخون الغربيون عند تقييمهم للحضارات القديمة إلى اتخاذ الآثار المعمارية كمقياس للتفوق الحضارى .. وتتمثل هذه العمارة فى القلاع والحصون الضخمة . وتماثيل الملوك والأبطال . والمقابر الفاخرة والقصور الزاهية النقوش والزخارف . ولو كان هذا المقياس صحيحًا لاعتبرنا الإغريق والرومان والفراعنة والأشوريين أعظم حضارة من المسلمين لما تركوه من الآثار الهائلة .. وهذا لا ينطبق على الإسلام . فالحضارة الإسلامية كانت تهدف إلى بناء الإنسان لا بناء الحيطان والجدران .. كانت موجهة إلى بناء الشعوب لا إلى رص الحجارة .

فقد نهت تعاليم الإسلام عن بناء المقابر الضخمة لأن فيها تقديسًا للموتى .

ونهت عن التماثيل لأنها كانت تعبد .

وأمرت المسلم بالتواضع فى بناء بيته وعدم الإسراف فوق حاجته مهما بلغ من الغنى .

أما القلاع والحصون فالمسلمون لم يهتموا بها .. لأنها كانت وسيلة حماية للجيوش المستعمرة . والمسلمون لم يكونوا فى البلاد المفتوحة مستعمرين وكانت حصونهم هى العدالة والمحبة والرحمة وهكذا تميزت العمارة الإسلامية فى عصور أزدهارها بأنها سخرت لما ينفع الإنسان وييسر له سبيل الحياة الكريمة وليست للتظاهر أو تقديس الأفراد .



فن العمارة الإسلامية


الباب السابع

فن الخط العربى

1 – قصة لها دلالتها .

2 – الخط العربى علم وفن .

3 – جمالية الخط العربى .

4 – أنواع الخط العربى .

5 – القيمة المادية لهذا التراث

6 – الأرقام الأوروبية أصلها عربى .

1 قصة لها دلالتها :

بعد أن أنتهى السلطان التركى (بايزيد الثانى) من بناء قصره الفاخر الذى سيقيم فيه فى أستنبول . استدعى الخطاط الكبير محمد الطونجى وكان أعظم خطاط فى العالم الإسلامى وطلب منه أن يخط بريشته على حوائط القصر وسقفه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المناسبة .

وبرغم مشاغل السلطان الكثيرة .. إذا أنه كان يحكم دولة تمتد فى أوربا وآسيا وأفريقيا ورغم هيبته التى كانت تجعل ملوك أوروبا يرجفون أمامه .. والقادة العظام لا يجرؤون على الدخول عليه إلا بإذنه . رغم ذلك كله فقد كان تقديره للخطاط الكبير ولعلمه وفنه لا مثيل له ..

فكان يقف بجواره الساعات الطويلة يتابع رسومه .. ويصر على أن يحمل له المداد بيده .

وهذه القصة تدلنا على مكانة الخط والخطاطين فى العالم الإسلامى . وعلى مدى احترام المسلمين واعتزازهم بهذا الفن العربى الأصيل .

2 - الخط العربى علم وفن :

والخطاطون المسلمون مثل رسامى أوربا العظام .

لا توجد أمة فى التاريخ لعب الخط الجميل فى حياتها دورًا هامًا مثل الأمة العربية والإسلامية .. فأينما أدرت عينيك فى الآثار الإسلامية القديمة .. فسوف تجد الكلمات المكتوبة بخط جميل وزخرف إسلامى بديع .. تملأ القصور والمساجد والمدارس والحمامات والبيمارستانات .

فعلى الحوائط والسقوف آيات قرآنية وشعارات إسلامية مكتوبة بخط جميل .. يتناسب مع المكان والغرض الذى يستعمل من أجله .. وعلى المعلقات والقناديل الضوئية والأوانى الفخارية والنحاسية والبرونزية وعلى الصناديق والأبواب الخشبية والمقابض النحاسية .. وعلى العملات الذهبية وآلات الجراحة والأسلحة بأنواعها من دروع وسيوف وسهام ورماح .. بل إن المسلمين عندما استعملوا البندقية والمسدس والمدفع لأول مرة لم يستغنوا عن تزيينها بآيات من القرآن من باب التبرك والدعاء بالنصر أولاً .. ثم الناحية الزخرفية والجمالية ثانيًا .

■ الخط العربي علم وفن :

إنه علم لأن الخطاط يعتمد على علم الهندسة وحساب المثلثات والدوائر وعلم الحساب . وجميع اللوحات القيمة يعمل لها رسم هندسى قبل تنفيذها على الطبيعة .. وتعمل لها مقاييس ونسب مدروسة تمامًا كما يفعل المهندس المعمارى قبل أن يبنى العمارة الضخمة . ويستوى فى ذلك إذا كان الرسم ضخمًا يملأ قبة كبيرة فى سقف مسجد .. أو كان دقيقًا كمن يكتب القرآن كله على قشرة بيض أو يكتب سورة كاملة على حبة قمح (متحف طوب كابى إسطنبول) .

أما كون الخط العربي فن فلأن الخطاط لا يكتب مجرد كتابة تؤدى الوظيفة والغرض . ولكنه يضع روحه وخياله وفنه فى كل حرف يخطه بيده .. وإذا كان الإسلام قد كره رسم الأشخاص فقد شجع على رسم الكلمات وإحسان الخط .. ومن هنا فقد وضع الفنان المسلم كل طاقاته الفنية وعبقريته فى إظهار الكلمات بطريقة تعبر عن مشاعره ..

ومن هنا أيضًا نقول إن كبار الخطاطين المسلمين لا يقلون أهمية عن كبار الرسامين فى أوربا أمثال ليوناردو - وروفائييل - وبيكاسو. ورغم أنهم أقل شهرة من هؤلاء الرسامين إلا أن فنهم أصعب من فن الرسم لأنه فن تجريدى بحت.

■ دلالة الحروف العربية :

للحروف العربية دلالة صوتية وأخرى مرئية.

أما الدلالة الصوتية : فسوف نجد لكل حرف رنة فى الأذن وطريقة فى النطق وأيضًا طريقة فى الرسم تتناسب مع الحرف نفسه وتعطيه سمة مستقلة ودلالة واضحة .. فحرف الميم " م " يعبر عن الجزم والحزم والعزم .. لذلك ننطقه بضم الشفاه وزمها وحرف " ع " له رنة تعبر عن العمق والسعة ولذلك ننطقه من أعماق الصدر والحنجرة .. فنقول (القاع .. والباع) وحرف السين " س " يعبر عن البسمة والأسنان . الجميلة .. والثغر البسام .. ولذلك ننطقه بفتح الشفاه وانفراج الأسنان وحرف الراء عن الكر والفر والأمر أما حرف الألف " أ " فيعبر عن الوقفة الثابتة الشامخة ..

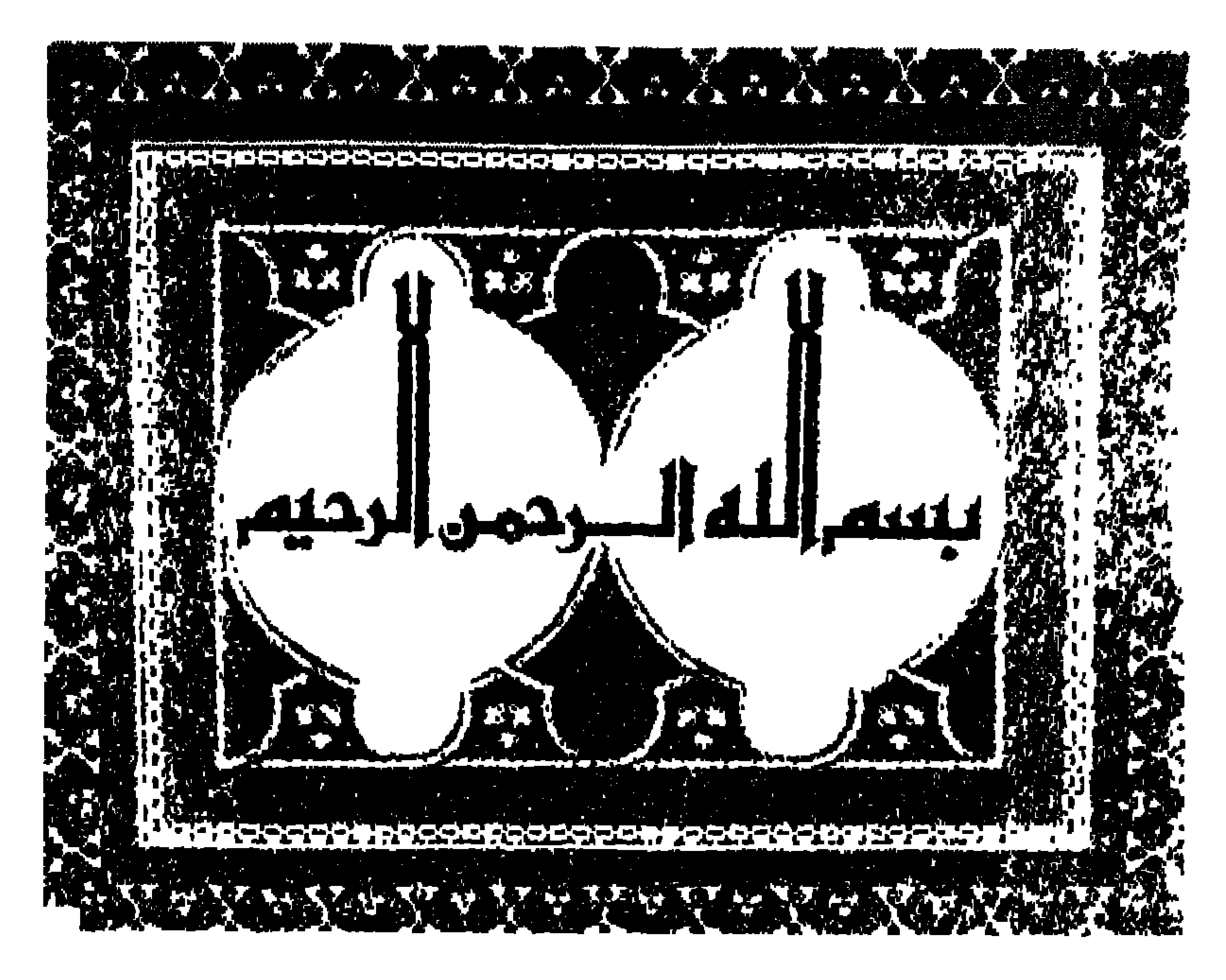
ولا شك أن أجدادنا الأولين الذين اخترعوا هذه الحروف كانت فى أذهانهم صورة صوتية لكل حرف قبل أن يعرف علم الصوتيات (Phonics) ولهذا لم يستغرب العرب الأولون عندما نزلت بعض آيات القرآن مبتدئة بحروف معينة مثل (نون) و (كاف) و (ص) فقد فهموا أن وراء كل حرف دلالة معينة .. وأنه ما أورده اللّه فى هذا الموقع إلا لهدف مقصود.

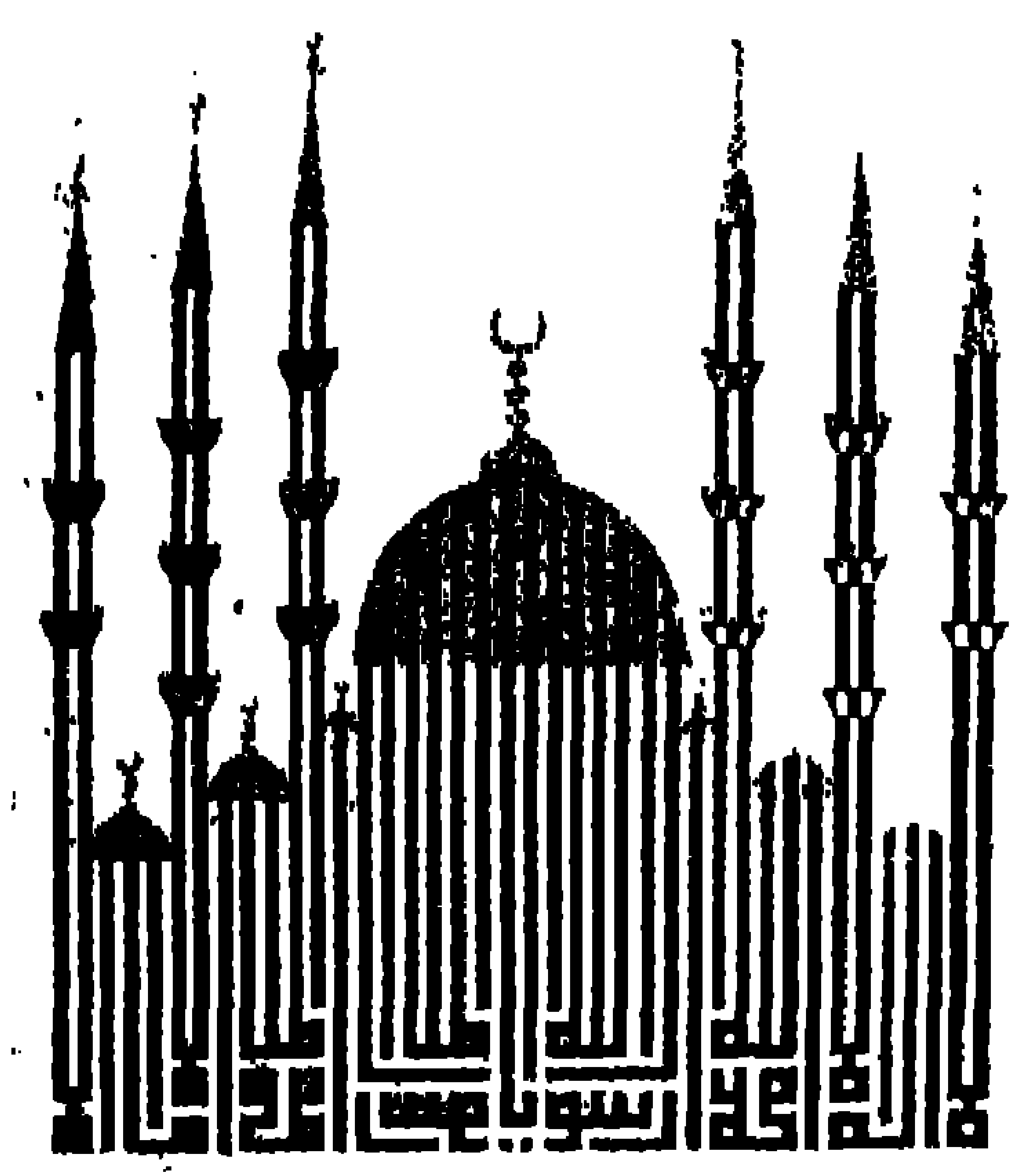
الدلالة المرئية :

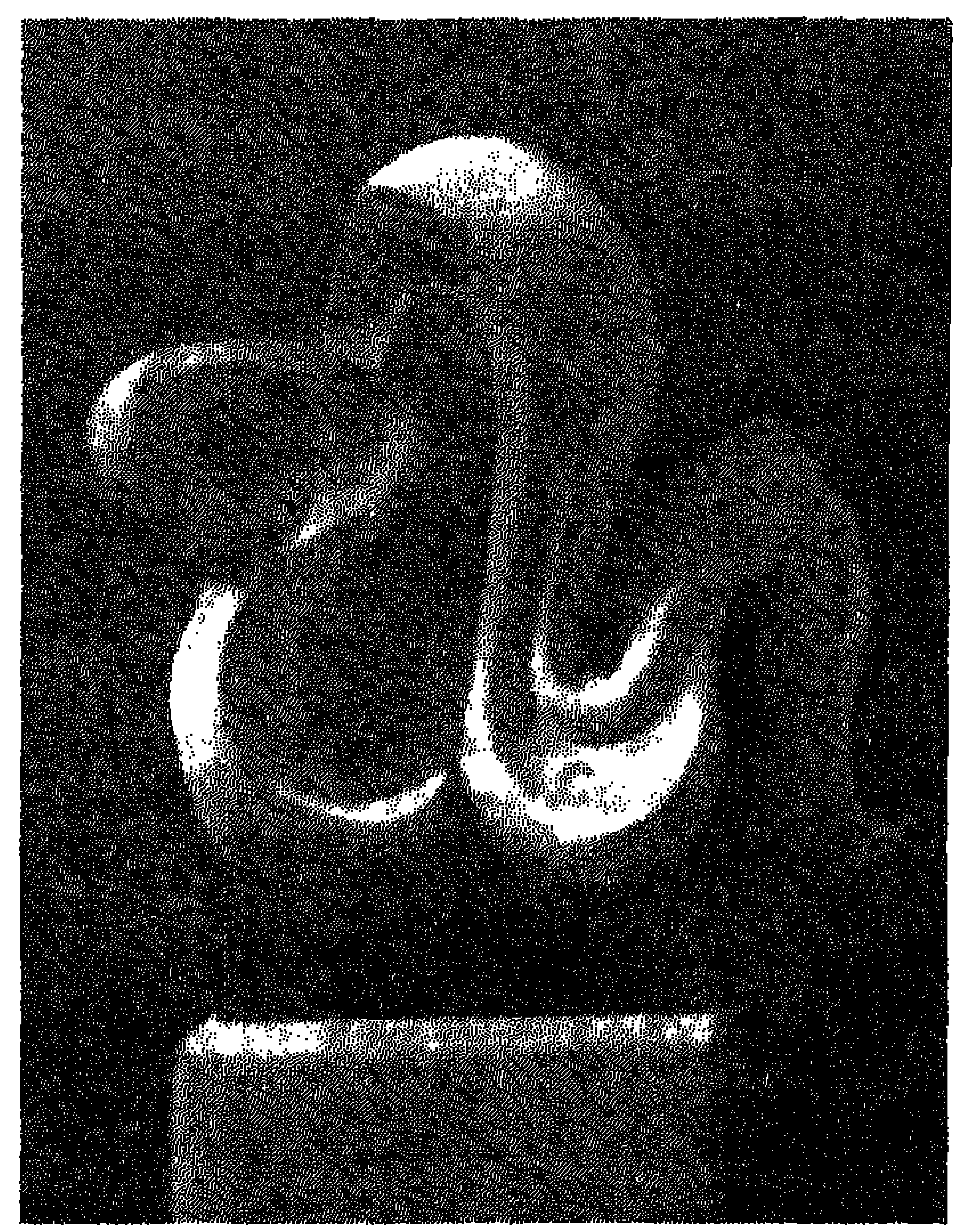
إن الفنان المسلم الأصيل يرى فى كل حرف عربى .. صورة مرئية تتناسب مع الحرف ذاته ومع الكلمة التى يكونها .. وقد يكفى الفنان صورة الحرف المجرد فيضيف إليه حلية أو رقشا بحيث تظهر لوحاته فى النهاية معبرة عن المعنى الذى يقصده .

فإذا كانت الكتابة على حائط قصر إسلامى فإن الفنان يجعلها فى صورة مبهجة ومشرقة .. وإذا كانت فى مسجد أعطاها صورة من التسامى والروحانية وإذا كانت على قبر وضريح يعطيها مسحة من الحزن والوقار وهكذا . انظر مثلا إلى جملة " لا إله إلا الله محمد رسول الله " وجملة " لا غالب إلا الله " وهما من أكثر الجمل استعمالا . وتأمل فى (لا) وتذكر قول الفنان التركى (اصف شلبى) الذى رسمها فقال : (إنها تشبه الإنسان الذى يرفع يديه إلى السماء مستغيثا بالله) أو قول فنان آخر يصفها (إنها صرخة عالية بإباء وشمم .. تنكر الشرك والعبودية وترفض الخضوع والذلة إلا لله) وتأمل كلمة (لا غالب إلا الله) فى الرسمة أسفل صفحة 223 فتجد حروف الكلمة فى قمة المثلث ..

فهى أعلا الكلمات جميعا .. وتحت اسم الجلالة مباشرة تأتى كلمة (محمد) فى تنسيق بديع يقصده الفنان .. ثم تأمل جملة " العزة لله " وجملة " وما النصر إلا من عند الله " وهى جمل تكتب فى مناسبات الفرح والنصر والظفر .. فسوف نجد أن الفنان كتب حروف المد مرتفعة إلى أعلا وكأنها رايات الفرح منصوبة للنصر.

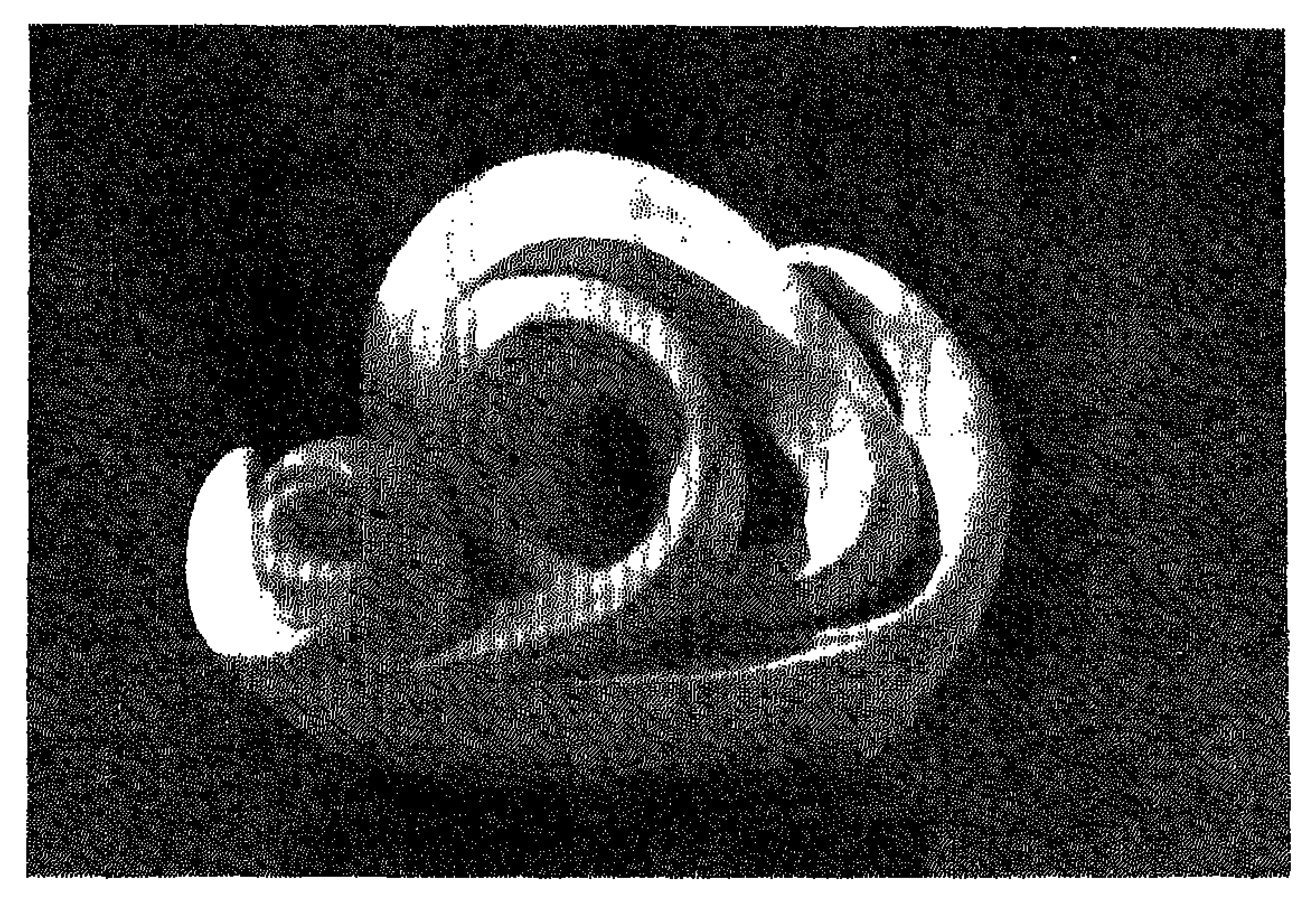

بسم الله الرحمن الرحيم





نحت من الجبس

يمثل لفظ الجلالة (اللّٰه)



نحت من الجبس يمثل كلمة (هو)

للدكتورة روحية توفيق

3 - جمالية الخط العربى :

والخط العربي بطبيعته جميل .. وليس هذا فى نظرنا نحن العرب فحسب ولكن بإجماع الكتاب والفنانين وا لمستشرقين الأوروبيين . وقد ذكر بعض الغربيين الذين أسلموا أن بداية إسلامهم كانت إعجابهم بالخط العربى مما يجذبهم إلى دراسته ودراسة معناه . فالكتابة بالحروف العربية تتميز بما يسمى بالتواصل الشكلى .. وهو ما يعرف فى الفن التشكيلى بالدائرة .. سواء كانت دائرة صريحة أو موحاة .. فإذا استعرضت حروف ب - ح - د - س - ص إلخ فسوف تجد أنها كلها مجموعة خطوط منحنية تشكل فى أساسها أشكال دائرة أو أجزاء من الدائرة .. وكما هو متفق عليه فإن الدوائر فى الفن التشكيلى تمثل قمة التوازن وصحة الزوايا والكمال . وزيادة فى التعبير فقد أضاف الخطاطون ا لمسلمون إلى الخط العربى الكثير من الحليات والرقش الذى يساير معانى الكلمات ويزيد قوة التعبير .

■ الخط العربي فى التاريخ :

لقد كان عرب الجاهلية أميين .. لا يعرفون القراءة والكتابة ولم يكن للخط دور يذكر فى حياتهم .. وما أن نزل القرآن حتى تغير الوضع .. ودخل الخط العربى الحياة من كل أبوابها .. فأول ما ظهر من الخطاطين طبقة نساخ القرآن الذين يكتبونه على عظام الجمال وعلى سعف النخيل فكانوا بالدافع العقائدى يحسنون خطوطهم حتى أصبحوا النواة الأولى لكبار الخطاطين الذين ظهروا من بعدهم .. ورغم أن الرسول ﷺ كان أميًا إلا أنه كان حريصًا على تعليم المسلمين

الكتابة .. فكان الأسيرا المشرك يطلق سراحه إذا قام بتعليم عشرة من المسلمين الكتابة .. وكان ﷺ يحرص على تعليم زوجاته أيضًا ويقول للمعلمة (ألا تعلمينها رقية النملة) أى دقة الخط وتحسينه .

ومع انتشار الإسلام والفتوح الإسلامية أصبحت الكتابة العربية فجأة تواجه أعرق الحضارات فى مضمار الكتابة .. ومن ذلك الكتابة الفارسية القديمة والفرعونية والآشورية والهندية .. ولكنها بفضل القرآن سرعان ما اكتسحت هذه اللغات فحلت الحروف العربية محل الحروف الفهلوية عند الفرس . واستخدمها الأفغانيون والباجستان فى كتابة لهجاتهم . وفى الهند حلت الكتابة العربية مكان الأوردية والهندوستانية . وكذلك كتبت بها النصوص الدينية الإسلامية فى الصين وفى عدة بلدان مثل سمرقند وبخارى وجنوبى روسيا وأصبحت اللغة العربية لغة العلم والأدب الأولى فى العالم كله على مدى عدة قرون حتى قدر المؤرخون الغربيون أن ما كتب من مؤلفات باللغة العربية فى أنحاء العالم الإسلامى من غير العرب أضعاف ما كتب من العرب وفى العالم العربى .. ومع هذا الاتساع فى استعمال العربية اتسع أيضًا فن الخط العربى .. وأصبح كل شعب مسلم يضيف إليه نوعًا جديدًا وثراء جديدًا .

4 - أنواع الخط العربى :

1 - الخط الكوفى : وقد ظهر فى الكوفة ويعتبر أصل الخطوط كلها .. وقد ابتكره الخطاط الإسلامى (ابن مقلة) وهو يأخذ أصوله من الخط المسمارى الذى كان سائدًا فى تلك المنطقة .

2 – الخط الثلث · ويعتمل فى كتابة أسماء الكتب والآيات القرآنية والزخارف فى المعمار.

3 – الخط النسخ : وكان الكتاب ينسخون به المصاحف .

4 – الخط الإجازة : استنبط هذا النوع من خط الثلث وخط النسخ .

5 – الخط الرقعة : وهو يستعمل فى الكتابة العادية لسهولته وقد ابتكره العثمانيون .

6 – الخط الفارسى : وقد ابتكره الفرس ويستعمله الهنود والأفغان .

7 – الخط الديوانى : وسمى كذلك لاستعماله فى دواوين الملوك ومنشؤه فى الدولة العثمانية .

8 – خط الجلى ديوانى .

5 - القيمة المادية لهذا التراث :

كما اشتهرت لوحات كبار الرسامين فى أوربا أمثال دافنشى وبيكاسو وبلغت قيمة بعضها اليوم ملايين الدولارات وتتسابق مناطق العالم على اقتنائها فكذلك اشتهرت بعض لوحات كبار الخطاطين المسلمين وبلغت قيمتها الملايين .. وقد أعلن فى إنجلترا فى شهر نوفمبر 1983 أن خوذة إسلامية تخص آخر ملوك العرب فى الأندلس والتى يعود تاريخها إلى سنة 1492 وهى محلاة بآيات قرآنية وعليها اسم الملك بخط جميل قد بيعت فى مزاد بإنجلترا لأحد المتاحف بعده ملايين من الجنيهات .

وهناك مصاحف نادرة قديمة فى متاحب لندن وباريس ومدريد وفى مكتبة الفاتيكان ويقدر الواحد منها بملايين الدولارات . هذا إلى جانب الكثير من التحف التى تحمل كتابة عربية مثل الفازات والصحون والمقاعد والأبواب .. والقناديل والمشكاة والأسلحة الأثرية وكلها تحمل كتابة وزخرفًا عربيًا بارزًا أو محفورًا .

■ حاجتنا إلى إحياء الخط العربى :

منذ أن دخلت الطباعة فى حياة الإنسان المعاصر فقد الخط كثيرًا من جاذبيته واهتمام الناس به .. هذا إلى جانب اتجاه أكثر المسلمين إلى تقليد الغرب بالاتجاه نحو الرسم والتصوير بدلاً من الخط .. وأصبح أثرياء المسلمين ودوائر العمل تقتنى الصور بدلاً من الخطوط . أضف إلى ذلك هبوط الذوق العام والإحساس بالنواحى الجمالية الذى كان يتمتع به المسلمون الأولون ويعتدون به .. ومن هنا فقد اختفت طبقة الخطاطين العظام وأصبح الخط قاصرًا على الهواية .

وإذا أردنا لهذا التراث الثمين أن يحيا فلابد من الاهتمام بمدارس تحسين الخطوط .. وعمل دراسات جديدة لتطوير الخطوط العربية فى قالب جديد يساير الاتجاهات الفنية المعاصرة .

وقد بدأ فعلاً جماعة من الرسامين بابتكار خطوط جديدة تجمع بين فن الرسم وفن الخط .. أو عمل لوحات سريالية بالخط العربى . أيضًا يجب إحياء لوحات التراث القديم بعد أن عفا عليها الزمن وأكلتها عوامل التعرية وتلوث البيئة .. وعندما أرادت الحكومة

الأسبانية إحياء التراث الأندلسى بهدف تنشيط السياحة فى بلادها استجلبت أعظم الخطاطبن من المغرب ومن مصر ومن تركيا لإحياء الكتابة والنقوش فى القصور والمساجد الإسلامية القديمة وقد تكلفت العملية ثروة ضخمة ولكنها جاءت بعائد سياحى يفوق الخيال .

وليتنا نفعل مثلهم .

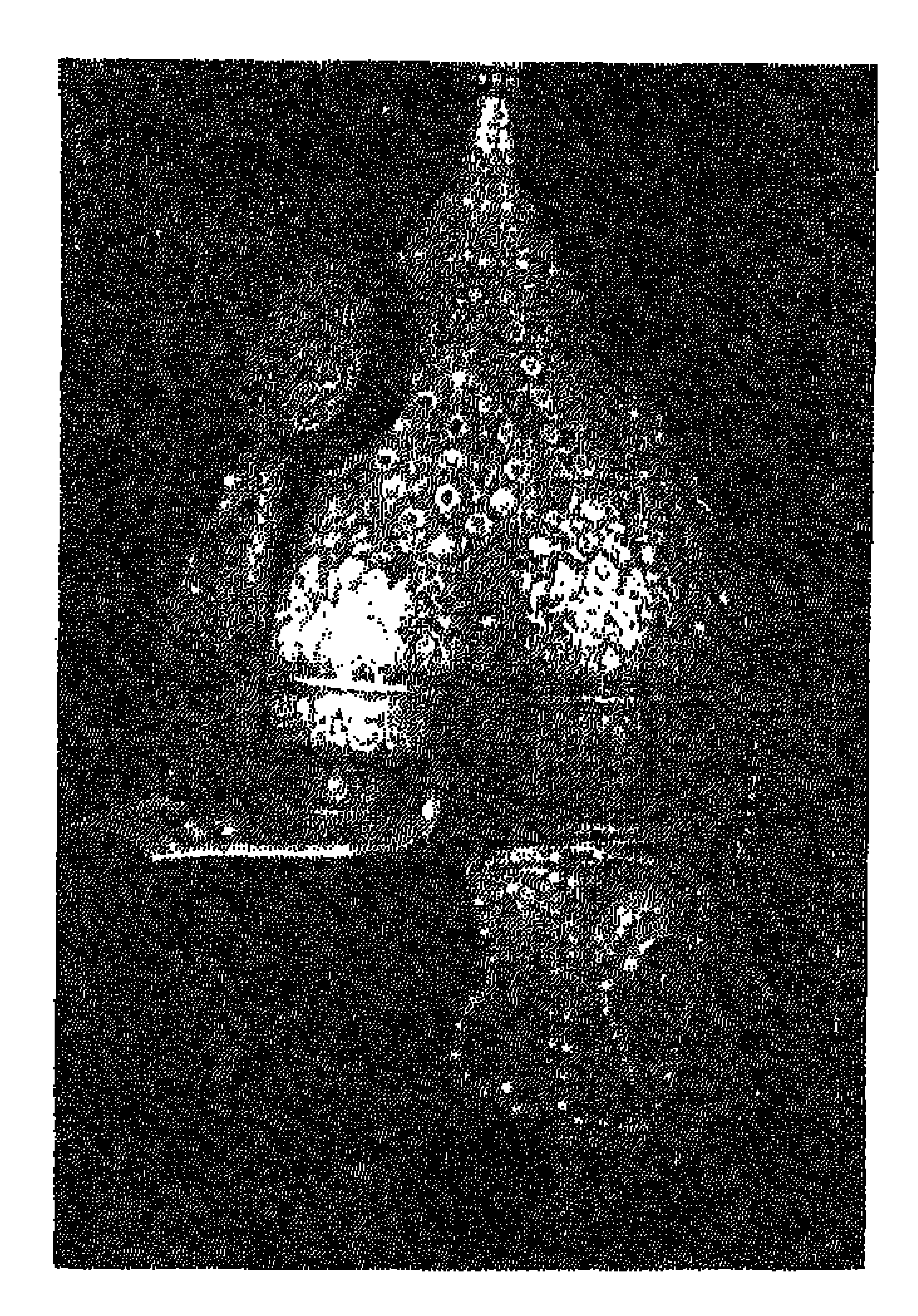
6 - الأرقام المستعملة فى أوروبا مأخوذة من الخط العربى :

ربما لاحظ القارئ أننى فى هذا الكتاب بالذات أستعمل ما يسمى بالأرقام الأوروبية .. والسبب فى ذلك أن هذه الأرقام أصلها عربى ومأخوذة من حروف الكتابة العربية .. فمن المعروف أن أوروبا كانت تستعمل الأرقام اللاتينية I-II-III ولكن هذه الأرقام عجزت عن التعبير عن الأعداد الكبيرة : مثل الآلاف والملايين والبلايين .. وفى بداية نهضة أوروبا اتجهوا إلى الأندلس والعالم العربى للبحث عن طريقة جديدة للحساب فقد كان العرب أصحاب الحضارة الرائدة فى ذلك الوقت وعباقرة علم الحساب .. وهم الذين اخترعوا الصفر الذى لم يكن معروفًا عند الإغريق أو عند الهنود . وقد ألف العرب حروفًا خاصة بهم مستقاه من حروف الخط العربى .. فرقم 1 أصله أ - ورقم 2 أصله خ ورقم 3 حج (ح - ج) ورقم 4 أصله هـ ورقم 9 - 6 أصلها واو معدولة ومقلوبة .. ورقم 8 أصلها صفران (8) .

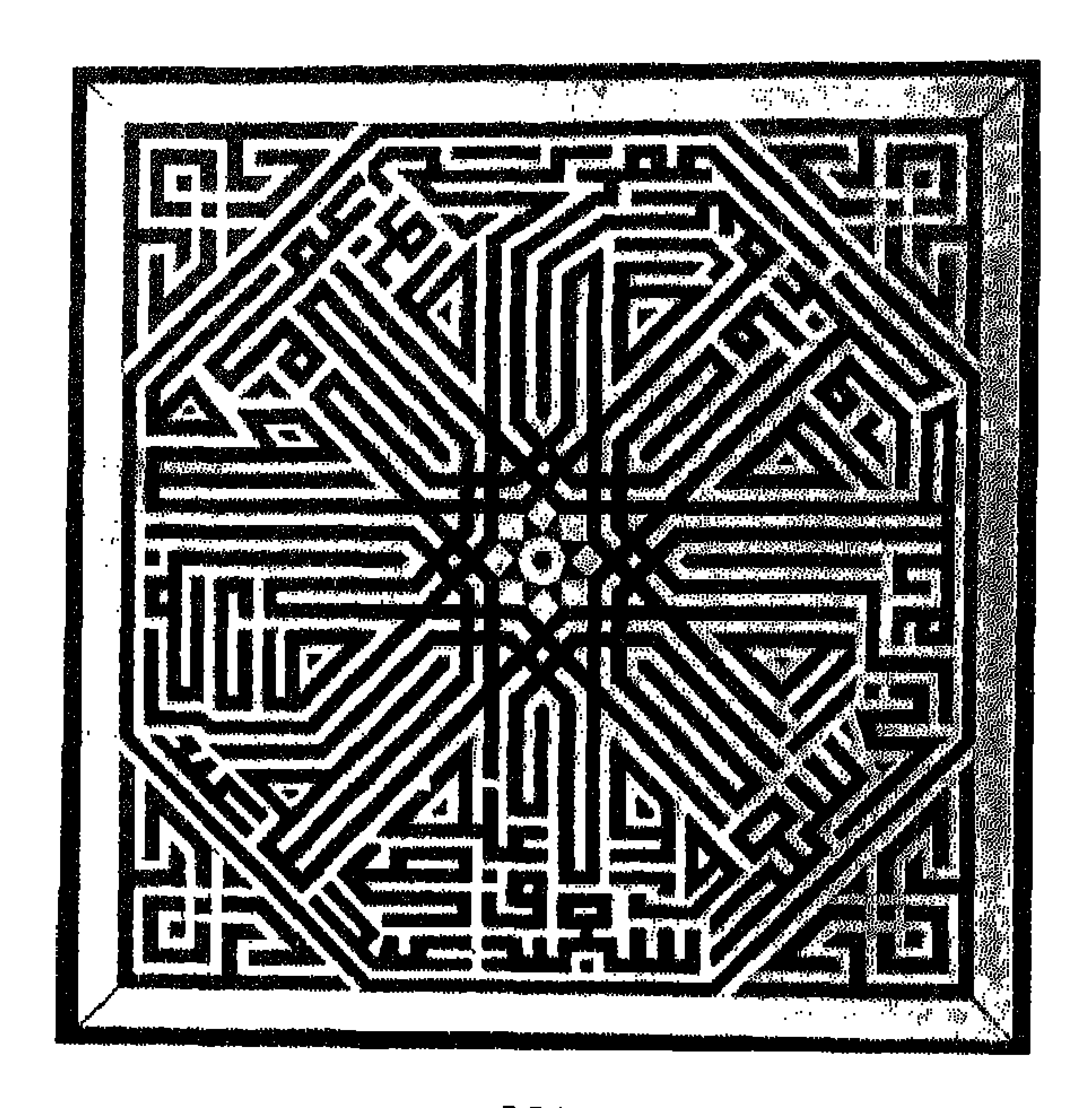
هذه هى الأرقام العربية الأصلية التى كانت تستعمل فى الأندلس والمغرب العربى كله .. ومازالت مستعملة حتى اليوم فى تونس والمغرب والجزائر. ومازالت أوروبا تطلق عليها الأرقام العربية .. أما الأرقام التى يستعملها عرب المشرق البوم كما فى مصر والشام والعراق فهى أساسًا أرقام هندية وليست العربية الأصل .. وقد نشر هدا البحث القيم فى كتاب تاريخ الإنسانية[1] الذى أصدرته هيئة البونسكو .

---

(1) لمزيد من الاطلاع أقرأ كتاب " الإسلام فى حضارتة ونظمه " تأليف - أنور الرفاعى - دار الفكر العربى طبعة 1973 صفحة 649 .



خوذة محلاى بآيات من القرآن



خاتمة

كلمة ختام :

من الواضح . أن أحد أهداف هذا البحث هو الدفاع عن الفن النظيف الهادف الذى أصبح سمة من سمات الحضارة والتقدم .. ولكن الهدف الأعظم والأسمى هو الدفاع عن دين الإسلام .. حتى لا يتهم بأنه دين التخلف والرجعية .. أو أنه ضد الفن والحضارة .. وضد الجمال والذوق الرفيع .

وإذا كان هناك فريق من المسلمين .. يدعى أن الإسلام ضد الفنون الراقية .. أو أنه يحرمها .. فإن العلة فى أفكارهم وفى أنفسهم .. وليست العلة فى دين الإسلام .. فعندما كان الإسلام يطبق تطبيقًا صحيحًا .. فقد وهب هذه الأمة حضارة فاقت كل الحضارات فى عصرها .. وسبقت .. زمانها .. وكانت مفتاحًا ونبراسًا لحضارة الغرب الحالية .. فحرام والله أن يتهم هذا الدين بتخلف بعض المسلمين ..

د. أحمد شوقى الفنجرى

القاهرة – المعادى

ابراج عثمان برج 14 دور 24

ت: 3511756


بسم الله الرحمن الرحيم

كتب للمؤلف

1 - " **إسرائيل كما عرفتها** " يشرح خبرة المؤلف حول إسرائيل من خلال عمله كطبيب فى قطاع غزة ثم احتلال القطاع فى حرب سنة 1956 حيث أخذ أسير حرب إلى معتقل عتليت شمالى عكا ، الناشر : دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع . ت : 3473691 .

2 - " **كيف تحكم بالإسلام فى دولة عصرية** " يكشف المفاهيم الخاطئة والممارسات المنحرفة التى تطبق بها بعض الدول الحكم بالإسلام ويقدم الفهم الصحيح للحكم الإسلامى - " الهيئة العامة للكتاب " .

3 - " **الطب الوقائى فى الإسلام** " يبين تعاليم الإسلام للوقاية من الأمراض وإقامة مجتمع صحى منيع ضد الأوبئة ويشرح تعاليم الإسلام الطبية فى ضوء التكنولوجيا المعاصرة والطب الحديث - " الهيئة العامة للكتاب " .

4 - " **الاختلاط .. فى الدين وفى التاريخ وفى علم الاجتماع** " يبين مكانه المرأة المسلمة فى المجتمع ودورها فى العمل إلى جانب الرجل لبناء أمة قوية سليمة - " الهيئة العامة للكتاب " .

5 - " **ثقافة الجنس . فى ضوء الطب والديانات** " الناشر : دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع . ت : 3473691 .

6 - " **النقاب .. فى التاريخ وفى الدين وفى علم الاجتماع** " يبين النصوص من القرآن والسنة وآراء كبار علماء الفقه والشريعة على أن النقاب لم يفرضه الإسلام بل هو مكروه شرعًا - " الهيئة العامة للكتاب " ، " سلسلة قضايا إسلامية " .

7 – " **العلوم الإسلامية** " ، 3 أجزاء بالصور الملونة – مؤسسة الكويت للتقدم العلمى . الكويت . إدارة الثقافة العلمبة . شارع أحمد الجابر – ص . ب 25263 الرمز البريدى 13113 الصفاة – الكويت .

8 – " **التطرف والإرهاب** " يشرح الفكر الإرهابى وإنحرافاته وخطره على الإسلام ومصادره الفكرية والمادية وعلاقة إسرائيل به . " الهيئة العامة للكتاب ، سلسلة المواجهة " .

9 – " **الإسلام والديموقراطية** " – الهيئة العامة للكتاب – " تحت الطبع " .

10 – " **الختان – فى الطب وفى الدين وفى القانون** " – دار الأمين للنشر والتوزيع . ت : 3473691 .

11 – " **الإعجاز الطبى فى القرآن والسنة مقارنا بالتوراة والإنجيل** " – تحت الطبع .

12 – " **الإسلام والفنون** " .

سلسلة التمثيليات الإسلامية :

مجموعة التمثيليات التى تصلح للمسرح أو التليفزيون أو السينما . تجمع بين الدقة والأمانة التاريخية إلى جانب الأسلوب الدرامى .

1 – " **خولة بن الأزور** " . " فارسة الإسلام " .

2 – " **سراقة بن مالك** " . " الصحابى المتوج " .

3 – " **رفيدة** " . " المرضة الأولى فى الإسلام " . الحائزة على جائزة وزارة الصحى والهلال الأحمر الكويتى .

4 – " **شروق الإسلام فى مصر** " عن فترة الحياة فى مصر وقت دخول الإسلام بقيادة عمرو ابن العاص والسر فى إقبال المصريين على الإسلام .

5 – " **عمرو بن عبد العزيز** " . " خامس الراشدين " . كيف أعاد إلى الحكم بالإسلام وجهه الصحيح .

6 – " **السابقون إلي الإسلام** " .

- تطلب هذه السلسلة من دار القلم للنشر والتوزيع ، القاهرة ش القصر العينى رقم 26 ت : 3551105 .

7 – " **سليمان الفارسى** " . " الباحث عن الحقيقة " – دار عالم الكتب 28 ش عبد الخالق ثروت – ت : 2926401 .

أبحاث تجمع بين الطب والدين : فى مؤتمرات الطب الإسلامى فى : الكويت – القاهرة ، جامع الدول العربية – أسطانبول بتركيا – دالاس بأمريكا – أونتاريو بكندا . وقد نشرت فى مجلة الطب الإسلامى ومجلة الوعى الإسلامى ومجلة العربى ومجلة الفيصل .

أعمال تليفزيونية وإذاعية :

1 – مسلسل **صور من الحضارة الإسلامية** " 30 حلقة تليفزيونية ، أذيع من تليفزيون القاهرة فى شهر رمضان .

2 – مسلسل " **خولة بنت الأزور** " تليفزيون الكويت .

3 – مسلسل " **سراقة بن مالك** " تليفزيون الكويت .

4 – " **سليمان الفارسى** " تمثيلية سهرة تليفزيونية .

5 – " **بلال الحبشى وصهيب الرومى** " تمثيلية سهرة تليفزيونية إنتاج شركة " الفن الإسلامى " .

6 – المسلسل الإذاعى " **عمر بن عبد العزيز** " 30 حلقة إذاعة الكويت .

7 – المسلسل الإذاعى **الأسرة المسلمة** " 30 حلقة إذاعة الكويت .

أعمال فنية :

1 – **النتيجة العلمية المصورة** : الناشر مؤسسة الكويت للتقدم العلمى 3 أعداد : الطب الإسلامى – العمارة الإسلامية – علم الفلك . ت : 2413392 (00965) .

2 – **مجموعة المعارض الفنية** : الكويت – لندن .

عن المؤلف

دكتور أحمد شوقى الفنجرى .

طبيب وأستاذ الطب الوقائى وصحة البيئة .

كاتب ومفكر إسلامى له أكثر من عشرين كتابًا فى مجالات الدين والعلم والفن .

فنان يهوى الموسيقى الكلاسيك والتصوير وقد حازت صوره على الجوائز العالمية .

مؤسس شركة الفن الإسلامى للأعمال التليفزيونية الإسلامية .

عن الكتاب :

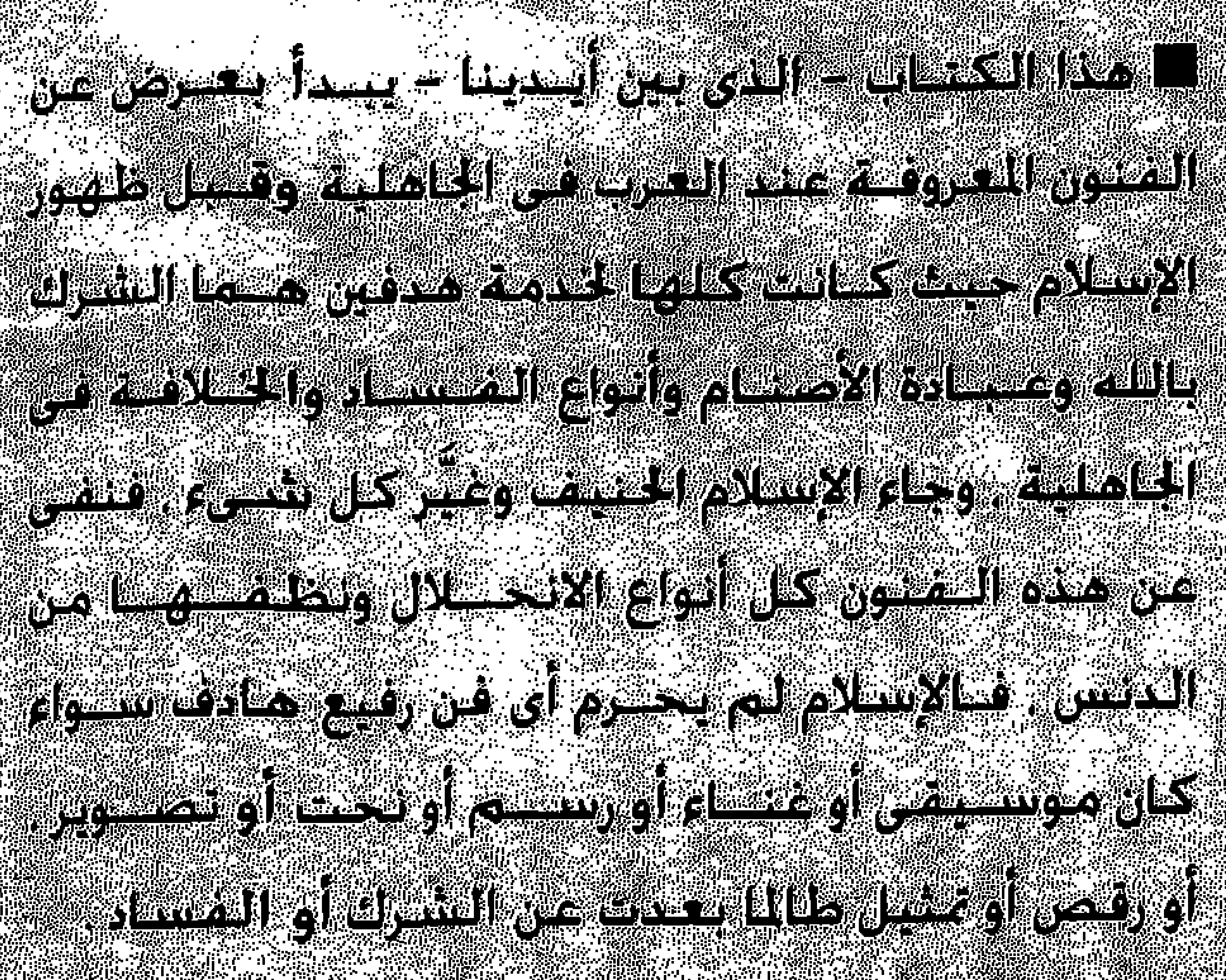
- الإسلام لم يحرم أى نوع من الفنون الجميلة .. سواء كانت الموسيقى .. والغناء .. أو الرسم والنحت والتصوير .. أو الرقص أو التمثيل ..
- ولكنه يحرم كل ما يفضى إلى الشرك أو الفساد ..
- وما يأباه الذوق السليم والحس الراقى ..
- وهو يحث على حب الجمال وكراهة القبح ..
- هذا هو ما يثبته هذا الكتاب ..
- من آيات القرآن وتعاليم الرسول وحياته ..
- وإذا كان هذا المعنى قد غاب عن بعض الإسلاميين .. فالعلى فى مفاهيمهم وليست فى الإسلام .
- والإسلام برئ من جهل بعض أبنائه .



دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع

٨ ش أبو المعالي (المجوزة) الجيزة - ت/ فاكس: ٣٤٧٣٦٩١

١ ش سوهاج من ش الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم - جيزة
تليفون وفاكس ٥٦٣٤٦٩٩



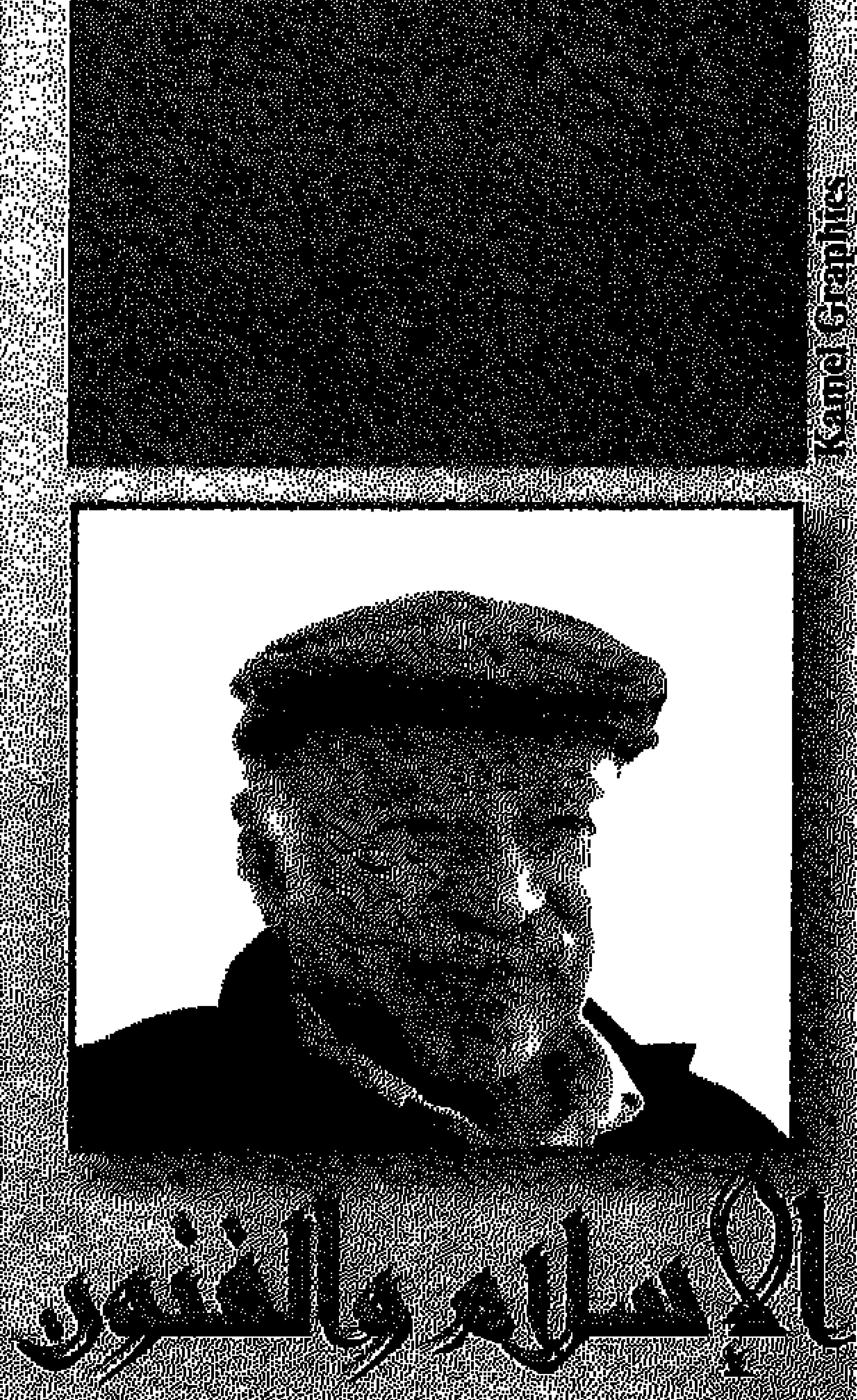
■ هذا الكتاب - الذى بين أيدينا - يبدأ بعرض عن الفنون المعروفة عند العرب فى الجاهلية وقبل ظهور الإسلام حيث كانت كلها لخدمة هدفين هما الشرك بالله وعبادة الأصنام وأنواع الفساد والخلاعة فى الجاهلية . وجاء الإسلام الحنيف وغيَّر كل شىء ، فنفى عن هذه الفنون كل أنواع الانحلال ونظفها من الدنس . فالإسلام لم يحرم أى فن رفيع هادف سواء كان موسيقى أو غناء أو رسم أو نحت أو تصوير ، أو رقص أو تمثيل طالما بعدت عن الشرك أو الفساد .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستمتع بكل واحدة من هذه الفنون بعد تنقيتها . ويصطحب عائلته معه لمشاهدتها .

فقد استمع الرسول إلى غناء نساء الأنصار وهن يعزفن على الدفوف ويرقصن لقدمه قائلات : (طلع البدر علينا) . واستمع الرسول فى بيته إلى جاريات يغنين . واصطحب زوجته عائشة لتشاهد رقص الأحباش عند قدومهم إلى المدينة .

وللأسف الشديد أن هناك فى عصرنا هذا أناس يحاربون الفنون باسم الإسلام . والإسلام برىء من هذا . وقد عنى علماء المسلمين فى مختلف العصور بتصحيح هذه المفاهيم الباطلة منهم الإمام الغزالى والإمام القشيرى والشوكانى والشيخ شلتوت والحافظ القيسرانى . وكل منهم أباح مختلف الفنون بعد أن تخلصت من انحرافات الجاهلية .

الناشر



الإسلام والفنون

Kamel Graphics

